علي المسعودي

سعاد الصباح

حمامة السلام

حمامة السلام ...

سعاد الصباح

الجزء الأول

حوارات معها

إعداد وتنفيذ وإخراج: علي المسعودي

صورة الغلاف: سعاد الصباح في العشرينات من عمرها

الناشر: شركة المختلف للطباعة والنشر

تـوزيع:

المجموعة الإعلامية العالمية. الكويت

هـاتـف: ٤٨٢٤٢٤٩

الطبعـــة الأولـــى. ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى ١٩٤٢/٥/٢٢

اليوم الذي تلمّست فيه الأرض وجه القمر.

وإلى محمد عبدالله المبارك... أحد نبلاء هذا الزمن

تقديم:

امرأة من الزمن الجميل

هناك حديث لا تسمعه، ولكنك تحسه، وربما تعرف تفاصيله.
إنها مثل رؤيتك شخصا يصلي بسكينة وهدوء وقدسية، فتعرف ماذا يقول من دون أن تسمع.
أعرف الساكن هنا، لأنني أعرف تماماً حيثية «الهنا» هذه.
عرفت الجدار، وتفاصيل الغرفة، واهتمام من مرّ.
هناك حديث لا تود أن تقوله، على أمل أن يقوله الآخرون.
هناك شهادة مجروحة.. وهناك شهادة جريحة.
وهذه شيء من تزاوج الشيئين.

عرفت سعاد الصباح جيداً.
أيقنت حزنها، حفظت ابتسامتها، ولمست إصرارها، وحاورت حضورها.. وولجت همومها.
هي امرأة منسوجة من تلاقح غيمة بشجرة.
كانت تحضر في كل المناسبات.
وها هي تغيب.
تغيب مثل حمامة سلام.. أطلقناها لتملي رسالتنا إلى الفضاء ثم تعود.
ولكنها لم تعد.

نسوها منشغلين بحروبهم.
لم يكرمها أحد.
لم يذكرها أحد.
لم يداو جناحها المجروح أحد.
تركت لنا برد الشتاء، وقسوة الصيف.
وتركوا لها النسيان القارس.
«سعاد الصباح» ما زالت تعالج في الخارج، معتزلة العالم كله..
تنتظر على الطرف الآخر من الهاتف أن يرن ليخرج لها صوت يقول: كيف حالك؟
المنابر لم تنسها.
الشوارع لم تنسها.
العشاق يذكرونها.
الشعر يرشحها.
ونحن نخنق مثل هذا الجموح.

●●●

لماذا سعاد الصباح تحديداً؟

ألأن لغتها تستفز الذهول ليسكن في عاصفة القلوب.

ألأنها امرأة نادرة.. تحفل بالعصر ويحتفل بها الزمن.

ألأنها شاعرة ترمي البحار في أحضاننا، ثم تنام... في قلوبنا.

ألأن لديها من الشفافية.. مايحوّل السراب إلى غدران لانهائية العذوبة.

ألأن مسحة الجمال الهادئ في وجهها تحوّل القراءة الإنسانية إلى متعة قصوى.

ألأنني عندما عرفتها كشاعرة... دخلت بحراً غزيرا من الدهشة ؟

ألأنني عندما عرفتها كإنسانة.. واجهت الجانب البرئ من الحياة؟

ألأنني عندما درستها أيقنت أن امرأة هذا الزمان بألف رجل؟

تلك هي سعاد الصباح.. وهذا جزء يسير منها.

●●●

جاءت في الزمن الجميل... وإليه ذهبت.

زمن العروبة والإخلاص للقضايا، وزمن الحب، والبحر والصحراء، وربيع البراري، ونقاء الناس.. قبل عمليات التجميل التي أجرتها المدينة في وجوه الناس، فأصبحوا ليسوا هم..

جاءت في زمن الفن والتكوين البكر والتغزل بالنجوم والقمر.. قبل أن تغزونا مصابيح الشوارع، وكهرباء المحطات.

وظلت محافظة على ذلك القمر مضيئا في داخلها، تشع بنورها الجميل فنقتطف منه وثباتنا.. و.. ثباتنا.

●●●

منذ عام ١٩٦٢ حيث صدر لها - وهي في العشرين من العمر - أول مجموعاتها الشعرية «ومضات باكرة» والدكتورة سعاد الصباح تنزع الشوك من الورد في أرواحنا.

وفي هذا الكتاب حاولت الدخول إلى عوالمها المتشعبة.. فوجدتني أمام زخم هائل من الذكريات والمتغيرات والمفاجآت والنضال والقضايا.

ووجدت أن السيطرة على كل ذلك لايسعه كتاب واحد، مما جعلني أقسّم مشروع الكتاب إلى جزءين.

الجزء الأول تتحدث فيه هي.. ويكون الحوار معها هي.

أما الجزء الثاني.. فالحديث يكون مع إبداعها ونشاطاتها وفكرها وإنتاجها وإصداراتها وشخصيتها بإيحاءاتها المختلفة.

الجزء الأول هو الذي بين أيدينا الآن. أما الجزء الثاني فيضمه إصدار آخر يلحق بهذا الإصدار.

هذا الجزء ضمنته عددا من قصائدها التي وجدتها تلامسني وظننتها تلامس القارئ، بالإضافة إلى اعتقادي أن هذه القصائد مثّلت نقلات في حياة سعاد الصباح الشعرية، من حيث سبك القصيدة وموضوعها واستجابة الجمهور لها.. وتفاعله معها.

أما المادة الرئيسية للكتاب، فتعتمد على على لقاءات منتخبة تمت معها ونشرت في عدد من الصحف.

بدأتها بأربعة لقاءات أجريتها أنا معها ونشرتها في عدد من المجلات الكويتية.

ثم لقاءات أخرى أختتمها باللقاء المطوّل الذي أجراه الصحفي الشهير مفيد فوزي مع الشاعرة ونشرته مجلة كل الناس القاهرية على عدة حلقات، ولعل هذا الحوار المطوّل هو الأكثر غوصا في شخصية الشاعرة متعددة الجوانب.. بدءا من علاقتها في البيت، وانتهاء بعلاقتها مع العالم والقضايا العربية والعالمية.

وهذه اللقاءات، تمثل وثيقة هامة في حياة سعاد الصباح، وتقترب من فكرة تكوين مذكرات شاملة عن حياتها من الطفولة.. وحتى الوصول إلى عالم الأحفاد.

في هذه اللقاءات تخرج سعاد الصباح إلى الشمس وتتحدث بحرّية، وشاعرية وصدق.. يرافق ذلك آراء في الأدباء والمشاهير والسياسيين، وعدد من الصورالنادرة التي تشمل فترات متفرّقة من حياتها.

وكل ما أتمناه أن ينال هذا الإصدار رضا الشاعرة، ثم رضا القارئ الكريم.

وإن وُجد نقص في مادة الكتاب فهو تقصير منّي أو غفلة أو سهو.. فللشاعرة من القدر والقدرة.. ما يفوق محتوى الكتاب.

■ **علي.م**

الكويت 1999/10/10

وردة البحر

1

كُوَيْتُ، كُوَيْتْ
موانئ أبحرَ منها الزمان
وواحةُ حُبٍّ، وبَرُّ أمان
وشعبٌ عظيمٌ
ورَبٌّ كريمٌ
وأرضٌ يُسيّجُها العُنْفُوان

2

كُوَيْتُ، كُوَيْتْ
شواطئ مصقولةٌ كالمرايا
وبحرٌ يوزّعُ كلَّ صباحٍ علينا
ألوفَ الهدايا
وشايَ أبي
وابتسامةَ أمّي
ومحفظتي، وجديلةُ شَعْري
وكوبُ الحليبِ قُبَيْلَ الذهابِ إلى المدرسَةْ
وأوّلُ مكتوبِ حُبٍّ أتاني
فأشْعَلَ عاصفةً في دمايا....

3

كُوَيْتُ، كُوَيْتْ
أشيلكِ..
حيثُ ذهبتُ، حجاباً بصدري
أشيلكِ..
برعْمَ ولدٍ، بأعماقِ شَعْري
أشيلكِ في القلبِ وَشْماً عميقاً
لآخرِ..
لآخرِ..
آخرِ أيّامِ عُمْري...

4

كُوَيْتُ، كُوَيْتْ
هنا.. ابتدأتْ رحلةُ السندبادْ
هنا.. وردةُ البحرِ قد أزهرتْ
وباحَ ابنُ ماجدَ
يقطفُ نجماً.. ويزرعُ نَخْلاً..
ويخلقُ في لحظاتِ التحدّي بلادْ..
هنا الشعرُ والنخلُ يغتسلانْ معاً
في مياهِ الخليجْ..
فجاءتْ رَبابُ إلى وعدنا..
وباتتْ سعادْ..

5

كُوَيْتُ، كُوَيْتْ
أحبكِ.. كالشمسِ تُعطينَ ضوءكِ للعالمينْ
أحبكِ كالأرضِ..
تعطينَ قمحكِ للجائعينْ
وتقتسمينَ الهمومَ مع الخائفينْ..
وتقتسمينَ الجراحَ مع الثائرينْ..

6

كُوَيْتُ، كُوَيْتْ
لحديقة الرأي فيكِ تراثٌ طويلْ
وطفلُ المحبَّة بين ذراعيكِ طفلٌ جميلْ
وزَرْعُ العروبة فيكِ قديمٌ.. قديمٌ..
كهذا النخيلْ..
فظلّي كما كنتِ قلباً كبيراً..
ونجماً منيراً
وكُوني المنارةَ للضائعينْ
وكُوني الوسادةَ للمُتعَبينْ
وكُوني كأيّة أُمٍ..
تعانقُ أولادَها أجمعينْ..

7

كُوَيْتُ، كُوَيْتْ
أحبُّ ابتسامتكِ الطيِّبَهْ
وإيقاعَ صوتكِ، إذْ تضحكينْ
أحبُّكِ.. صامتةً مُتْعَبَهْ
وأعماقَ عينيكِ وانحالي
وأشتاقُ كلَّ حصاةٍ.. وكلَّ حَجَرْ
أحبُّكِ رَغْمَ حرابِ المغُولْ
ورَغمَ جيوشِ التَتَرْ
أحبُّكِ حين تكونَ السماءْ
معطّرةً بالرعود، ومثقوبةً بالشَرَرْ
فكيف تصيرين أجملَ عند اشتداد الخَطَرْ؟

8

كُوَيْتُ، كُوَيْتْ
لقد قرَّرَ العالمُ العربيُّ اغتيالَ الكلامْ
وقرَّرَ أيضاً..
إبادةَ كلِّ الطيور الجميلة، كلِّ الحمامْ
ونحن طيورٌ مُشَرَّدَةٌ لا تريدُ سوى حقها بالكلامْ
ونحن طيورٌ مثقفةٌ لا تُطيقُ..
غسيلَ الدماغِ، وكَسْرَ العظامْ
ونحن حروفٌ مقاتلةٌ
سوف تعزمُ بالشعرِ كلَّ عصورِ الظلامْ
ويُسْدني أن تظلَّ بلادي
ملاذَ العصافيرِ من كلِّ جِنْسٍ
وبيتَ المغنّينَ والشُعراء..
ويُسعدني أن يكونَ ترابُ بلادي
مزارَ البنفسجِ والشُهَدَاء
وسقفاً، لمن تركتهمْ حروبُ العروبةِ دونَ غطاء..
ويُسعدني أن تظلَّ بلادي جزيرةَ حرّيةٍ رائعَة
بها الفجرُ يطلعُ حين يشاءُ
بها البحرُ يهدرُ حين يشاءُ
بها الموجُ يغضبُ حين يشاءْ
ويُسعدني أن تظلَّ بلادي فضاءً رحيباً
ونافذةً تتنفَّسُ منها الهواءْ
فعصرُ المباحث صادرَ منّا السماءْ
وصادرَ منّا الحقائبَ، صادرَ منّا السَفَرْ
وأدخلَ للسجنِ ضوءَ القَمَرْ

من ديوان «برقيات عاجلة إلى وطني» الطبعة الأولى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠

أنا الخليجية التي يمر من بين شفتيها خط الاستواء

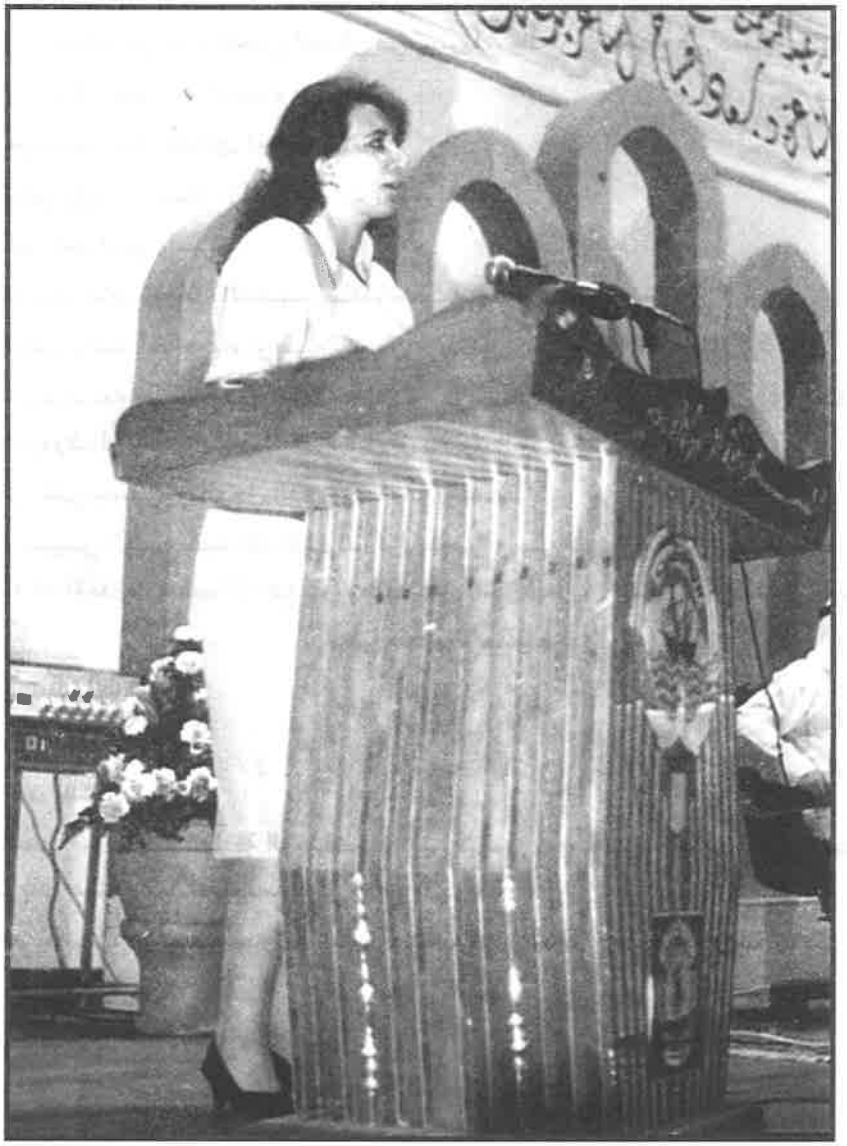

يا صديقي:

في الكويتيات شيء من طباع البحر، فاحذر قبل أن تدخل البحر طباعي».

إذن.. من الصعب أن تفهم سعاد الصباح، قبل أن تفهم لغة البحر.

قبل أن تذهب إليها ، لابد أن تذهب إلى البحر ، وقبل أن تحاورها يجب أن تحاور البحر .

في الخليج سوف تجد صوتها مندساً بين صوت الموج، وسترى عينيها تبرقان مع بريق الماء الذي تغازله شمس الصباح، وسترى يديها وهما تشرحان الشعر، تتحركان مع حركة البحر مجتمعاً.

إذا أردت النظر إلى قلبها ، فانظر إلى قلب البحر، وإذا أردت أن تمد يدك لتصل إلى آخر الحزن فيها، فاغرس يدك في الماء حتى تصل القاع.

يمكنني أن أسألها عن هذا الحزن الساكن في عينيها.. والجرح الطافح في صوتها.. لتقول:

«الجرح موجود.. مادامت الشجرة مثمرة»

● **ومن يرجمك.. ماذا تقولين له؟**

ـ أقول على رؤوس الأشهاد: إنني ثابتة ، لن أتحرك.

ولن يمسوا شعرة من رأسي.

● **ولكنك تنتفضين أحياناً بالغضب.. مثلما حدث مع «مارك تاتشر» مثلا؟**

ـ لأن البعض يعتقد أننا «حيط واطي» لكل من يريد أن يرمي بفضلاته علينا.

كلي ثقة وشجاعة، وأصرخ بكل صوتي ضد كل من يتجرأ على أي عربي في أي مجال أدبي أو صحافي.. وليعرف أن عليه أن يعد للعشرة قبل أن يحاول النيل من أي عربي.

إنني بكل ثقتي بنفسي، وبالرجل الذي وقف معي وساندني..

زوجي وحبيبي الشيخ عبدالله المبارك، لن أطأطئ رأسي لأي ريح تحاول أن تعيدني إلى زمن النساء. فأنا امرأة نذرت نفسها لتدافع عن وطنها، عن الحق العربي، وعن المرأة بالشعر أو بالنثر.

على خط الاستواء

«وأضحك من كل ماقيل عني
وأرفض أفكار عصر التنك
ومنطق عصر التنك».

سعاد الصباح، الرقيقة الهادئة الرومانسية، التي لا تميز نعومة يديها عن نعومة صوتها الرزين ، قد تفاجئك بكل هذه الشراسة عندما يتعلق الأمر بالكرامة.

سعاد الصباح.. الأستاذة في مدرسة الحب، هي أيضاً أستاذة في مدرسة الرفض.

تقول:

«يقولون إني كسرت رخامة قبري وهذا صحيح».

و «سعاد» نموذج للتفجر.. في القضايا وفي تعبير الأنثى..

إذ تلهج :

«أنا الخليجية التي يمر من بين شفتيها خط الاستواء».

ويصرخ السؤال:

● هذا العذاب الذي تعبّر عنه الدكتورة سعاد الصباح، والكبت الذي تواصل الحديث عنه.. هل موجود في حياتها؟

فتجيب:

- إن قصائدي هي صوت المرأة ومعاناتها.

شخصياً لم أعان من شيء كهذا، لا في صغري، ولا في شبابي، ولا في زواجي. لم أعان من ازدواجية، كما لم أعان من ظلم الرجل أو قمعه أو نرجسيته.

أبي كان صديقي، هو الذي علمني القراءة وجلب لي الكتب، وكان دائرة الضوء في حياتي.

أمي أيضاً كانت قارئة جيدة، أفادتني تاريخياً في قراءاتها سواء الكتب أو المجلات.. وخاصة قراءتها لكتب جورجي زيدان..

فالحمد لله.. عائلتنا كانت مثقفة، متزنة، عاقلة ومحافظة، ولم يكن هناك هزّات داخل هذه العائلة ، التي كانت تتكون من أمي وأبي وأنا وأخي.. ولم يكن هناك فرق بين الذكر والأنثى، فالمعادلة للطرفين واحده ، لذلك لم أعان في هذا الجانب أبداً .

وبعد أن تزوجت - وكنت صغيرة جداً «في أولي ثانوي» - من ابن عمي الشيخ عبدالله المبارك الصباح ، وجدت رجالاً مثالياً، لايمكنني أن أصفه. وقف إلى جانبي منذ اليوم الأول. وتنازل عن امتيازاته التاريخية، ومعروف أنه رأس العائلة وعمّها جميعاً.

الشيخ عبدالله المبارك دفعني إلى ملاعب الشمس كي أغرف من الثقافة والعلم ، ولكي أزداد فكراً وعلماً.

هذا الرجل العظيم سار معي كل هذا الطريق الطويل، وكان فخوراً بأنني أتعلم.

وقف إلى جانبي من الثانوية العامة. إلى البكالوريوس، ثم الماجستير والدكتوراه. كان هو سندي، والكتف الرحيم الذي ارتاح إليه عندما تعصف بي الرياح.

وإن كنت حققت شيئاً في حياتي العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية فالفضل الأول يعود إلى عبدالله المبارك الصباح، لأنه هو الذي أطلقني، وكان فخوراً بمؤتمراتي، وأمسياتي، وكتبي، ومقالاتي، وأشعاري.

لم يتلصص يوماً على ما أكتب، ولم يضع الخطوط الحمراء على كتاباتي، أو أفكاري، وإنما كان السند والدافع، ولا أخفي أنني أخذت كثيراً من أفكاري مما يقال في مجلسه العامر.

هذا الرجل كان يستوعب العصر، وكان مستقبلياً، لأنه عرف أن من لا يستوعب العصر لن يستوعب المستقبل.

وقد قال لأولاده: وصيتي الوحيدة لكم هو أن تستثمروا أنفسكم بالعلم والفكر.

أشهر الصيف.. وانقلابات الشتاء

«وأنا معقودة الأعصاب
لو تنفخ في أذني
لتطايرت دخاناً في الهواء».

... وعندما تسير في طرقات قصيدة «سعاد».. وتجلس في ظلال أشجارها، تعرف ثنايا هذا البستان.

سوف تشاهد الورد الشهي كما يجرحك الشوك.

سوف تنعم بالتفاح.. في الوقت الذي ترى فيه عطش الصبار.

وتشعر بـ «سعاد» المتحررة من القيود.. تتكلم عن القيود . وتقرأ «سعاد» العاشقة التي قالت «وأنا مبهورة بجسدي».. مثلما تقرأ سعاد المعذّبة.

كأنها تطبق ماقالت:

«أشهر الصيف لكم..
فاتركوا لي انقلابات الشتاء».

تسألها عن كل ذلك فتجيب:

ـ حتى يكون الإنسان صادقاً لابد أن يتكلم بلسان الآخرين ويتقمص أدوارهم.

ما أتلكم عنه ليس بالضرورة هو معاناتي، فقد قرأت كثيراً وتجولت في الوطن االعربي من شماله إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه، وتلمست جراح المرأة.

هناك نساء لا يعانين، وهناك رجال ليسوا داخلين في نادي القمع الذي أتكلم عنه. ولكن هناك مايجب أن نضع تحته الخطوط ليدركوا أن هناك قمع للمرأة، سواء جاء هذا القمع بصورة طبيعية أو غير طبيعية ، متعمدة أو غير متعمدة.

فعندما أتكلم.. فإنني أتكلم بضمير المقموعات ، المسجونات، اللائي لاصوت لهن.. وأعتبر نفسي صوت من لا صوت له في هذه الأمة إن استطعت.

بطل.. وكومبارس

«ياصديقي:
إن عصر النفط ماوثّني
لا.. ولا زعزع بالله اقتناعي».

ورغم كل مامرّ، وما سيمرّ، رغم الألم.. والغوص في بحار الحب، يبقى صوت سعاد الصباح، صوتاً أصيلاً متناغماً.. معجوناً بالألفة..

.. وهي التي تحمل في صوتها عذابات غيرها.. التي أباد الكثير منها الزمن، تقول:

هذه قضية لابد أن أخوضها، فالقضية ليست تحرير المرأة فقط، لابد أن يتحرر الرجل قبل ذلك لكي تتحرر المرأة.

لابد أن يتنازل عن امتيازاته التاريخية حتى تستطيع المرأة أن تشاركه المقعد. نريد للمرأة أن تكون في الصفوف الأمامية، أن تجابه القضايا.. لا أن تجابه المرايا. أن تكون بطلة في مسرح الحياة، لا أن تكون «كومبارس». لابد أن تقود الحياة كما يقودها الرجل.. لا أن تكون دولاباً إضافياً.

لابد أن يدرك الرجل أننا نعيش على أبواب القرن الواحد والعشرين. وأنا أتكلم عن الرجال الذين تعاني منهم المرأة، وليس الرجال ككل، فالحياة ليست شركة محدودة الأسهم وخاصة للرجال فقط. لابد أن تساهم فيها المرأة التي هي الأم والأخت والزوجة والأبنة. وأنا لا أقلب الصورة.. إذ لا توجد امرأة بلا رجل، ولا رجل بدون امرأة، ولكن لا حياة بدون الاثنين معاً. فالمجتمع لا يستطيع أن يطير بدون هذين الجناحين «المرأة والرجل» . ولا يستطيع أن يمشي على عكاز.. يجب أن يمشي على قدميه الاثنتين.

إنني لا أقول أن المرأة يجب أن تأخذ الحرية التي لا نؤمن بها.

لا نريد لها أن تتحرر من مجتمعها، ومن تقاليدها وقيمها، ودينها الإسلامي الحنيف. بل أن تتمسك بهذا الدين.. فهوالذي أعطاها الحقوق العظيمة.. بينما نحن نتمسك بالقشور، ولا نعطيها الدور الحقيقي الذي أقره لها هذا الدين.

إذن.. على الرجل أن يتنازل عن الامتيازات غير الحقيقية التي أخذها بالعضلات ، وأن يتحرر من الأفكار غير النابعة من ديننا الحنيف.. بل جاءت خلال الحكم التركي للدول العربية، وهو الحكم الذي أوجد عصر الحريم، وما يعتبر الفترة المظلمة من تاريخ المنطقة.

المال.. والشعر

«قد كان يوسعني
مثل جميع نساء الأرض
معزلة المرآة.
لكني خنت قوانين الأنثى
واخترت مواجهة الكلمات».

سعاد الصباح، تشهر سيفها دائماً.. ولا تدعه يرتاح.

هي المتنقلة بين البلاد.. وبين المشاعر.

لها من حسن الخلق أن تدعنا نتهمها بأن نزار مندس بين ما تكتب، وربما نتجاوز لنقول لها مباشرة «إنه يكتب لك.. مقابل مال».

ولكنها مثل امرأة عظيمة لا تدافع عن نفسها، بل تدافع عن نزار.

تقول:

حاش لرجل مثل نزار أن يفعل ذلك .

فهذا الرجل عاش لكرامته، ومن أجل كرامته حورب، ولو أن هذا الشاعر مسح الجوخ لكثيرين لما كان هو نزار. نزار بقي في القمة لأنه حافظ على كرامته، ولم يركع لأحد .

ولم يقف على باب أحد.

ولكنهم أرادوا أن يرجموا نزار.. فلم يجدوا لديه تهمه.

فاتهموه بهذه وهو بريء منها.

إنني أكتب منذ ثلاثين عاماً.. ومن يكتب لأحد لا يكتب له كل هذه السنين.

إنني لا أخجل من تأثري بنزار مثلما تأثر به كل الشعراء العرب ومنهم محمود درويش الذي صرح بذلك يوماً، فلم يفلت أحد من أصابع نزار الشعرية. ولكن عندما يأتي التأثر من امرأة، فهذا حرام في عرفهم.

نزار ليس شاعراً سرياً حتى نتخلى عنه.. فهو مثبوت على جميع الآفاق، وهو مطر ضرب نوافذنا جميعاً.

إنني لا أتبرأ من القول أنني تأثرت بالأستاذ نزار، فهو مدرسة شعرية تخرج منها كثيرون، وأنا واحدة منهم.

أنا عرفت منذ اليوم الأول أنني سأجابه الكثير.

إذا كنت امرأة غنية فهناك ملايين من الرجال والنساء أغنياء وإذا كنت من عائلة معروفة، فإن العائلة لا تعطي جواز السفر حتى يطير الإنسان بجناحي الإبداع ليدخل كل بيت.

ولو كان الإبداع يصنعه المال، لأصبحت كارولين موناكو شاعرة الشاعرات، ولأصبح الأمير تشارلز من أشهر الكتاب والشعراء.

وقد كان بوسعي أن أظل في الفراش أتصفح المجلات التافهة، وأثرثر في الهاتف دون أن أشعر بالأيام، ولا أتعرض لكل هذه المشاكل، ولا أسبح ضد التيار.

وإن أردت الشهرة والصحف والمجلات ، أستطيع تنظيم حفلات اجتماعية وولائم لهو فارغ أدخل من خلالها دائرة الضوء.

ولكنني لست امرأة التفاهات، ولا امرأة الفراغ.

الأحلام الكبيرة

«هذه الأرض التي تدعى الكويت
نحن هذا اللؤلؤ
المخبوء في أعماقها».

ومن الأرض الأساس، تنطلق أحلام «سعاد الصباح» إلى كل الاتجاهات.

إنها الأحلام التي لا تهدأ، وتشمل كل جزء من أجزاء الوطن العربي.

عندما كانت في الرابعة عشرة من عمرها كتبت عن جميلة بوحريد، ثم كتبت عن تونس والجزائر، والفلسطينين ، كما كتبت عن العراق..

ويقطف حلمها بيد غادرة.. ولتكتشف كم أننا كنا مخدوعين.. وننام وتحت وسائدنا يختبئ الغدر.

تقول سعاد الصباح:

إن قضية أي دولة عربية هي قضيتي، وأنا لا أخجل من ماضيي، فقد كان موقفي قوياً، ولازلت أدافع عن أي عربي يتعرض لأية مهانة.

الخطر.. القادم

«كل دبوس إذا

أدمى بلادي..

هو في قلبي أنا».

والدم الذي يندلق.. يفور له التراب.

«نحن عشنا عصر الأحلام الكبيرة ، وقد تجذرنا في عصرنا».. **تقول «سعاد الصباح».**

وتكمل: ولكن خوفي على أولادنا، لأنهم مترفون ، لا يعرفون ماضيهم ولا يعرفون كيف أوصلهم أهلهم إلى مدارس متقدمة، أو طرق حديثة.

نحن جيل متزن، رأينا الفقر وعانينا منه، ولمسنا الغنى واستطعنا أن نتدرج معه، ولكن هؤلاء الأطفال لا يوجد مشروع يضمهم.

أو حلم يجمعهم، ولا يوجد هدف ينظرون إليه، ولا توجد ثقافة عربية ينامون على بساطها.

أخاف على هذا الجيل من التغريب في الثقافة، من خلال المدارس، ومن خلال الأفلام والإذاعة والتلفزيون.

لابد أن نقف أمام هذا التغريب..

لقد أصبح الأجنبي هو المنقذ.. وكل ماهو عربي ساقط في نظرهم.

أصبحنا مجتمعاً استهلاكياً، نأكل من الخارج، ونلبس من الخارج، ونتمكيج من الخارج. وصحفنا تساهم في كل هذا.

وإعلامنا لابد أن يصحح الوضع، ويعيد الشباب إلى مشروع يخدم أوطانهم.

فنحن لابد أن نطور أنفسنا مثلما نطوّر ملابسنا.

إلى الخارج

عندما تنحرف عن الدائري الرابع قاصداً القصر الأبيض، وتتعدى بوابة الدخول إذ ينفتح لك الباب، وتسير في طريق البيت الفسيح والشجر يترامى عن يمين وشمال، عند ذاك يصافحك تاريخ عريق.. وحكايات طويلة.. تنقلك إلى مايشابه سحر «شهرزاد».

من سيارتك تتجه إلى البيت، وتدخل من الباب الزجاجي إلى قاعة البيت الفسيحة.. يطل في وجهك سلم أنيق يتجه إلى الدور العلوي تعلوه صورة رائعة شامخة لعبدالله المبارك.

تتحدر إليك سعاد الصباح من فوق الدرج مثل حمامة سلام..

وتأخذك إلى الاستراحة في الأعلى..لتعيش أجواء البيت الأنيق، ومفرداته الفخمة والبسيطة في آن.. بينما صوت الشاعرة الناعم.. يندس في مشاعرك.

هنا صور لعبدالله المبارك وهناك ألعاب أحفاده.. وهناك مدخل لمكتب سعاد الصباح، بينما في الأسفل مكتب الضيافة.. وتعلوه أيضاً أيضاً صورة لعبدالله المبارك.

أما إن ذهبت إلى مكان الضيافة الخارجي فهناك تقف وجهاً لوجه أمام التاريخ المنثور فوق الصور منذ الوالد الشيخ مبارك الكبير.

هكذا تدخل في أجواء القصر الأبيض.. وعندما تخرج فإنك تخرج من المكان، لا من الزمان.

مجلة المختلف عدد ٨٥ . اغسطس ١٩٩٨

بصمات

● أما الشعر، فقد كان منّة الله عليّ، ولم أطارده بقدر ماكانت حياتي ضحية رائعة لعطائه.
كان الشعر وسيبقى نافذة روحي على الدنيا، ومنتشلي من غبار العذاب.

● الدبابة دائماً هي أسوأ مفاوض في التاريخ.
وقوة المعدن لا يمكن أبداً أن تنتصر على قوة البصيرة والعقل..
والصاروخ قد يهدم مدينة.. ولكنه لا يهدم تاريخ شعب، وتراثه وعنفوانه.

● إن الثقافة لا يمكن أن تكون محايدة في قضية كبرى كقضية الحرية، وبالتالي لا يمكن للمثقف أن يقف في نقطة الوسط بين الحرية وبين العبودية.. وإلا تحوّل إلى لاعب سيرك.

● ربما كنت ساذجة، لأنني لم أتنبأ بأن السيف الذي غنيته في إحدى قصائدي.. ذبحني وأسال دمي.
وربما كان عذري أنني شاعرة.. ولست منجمة أو طبيبة نفسية.

● ربما كنت مخدوعة أو مغرورة أو رومانسية حتى اندفعت بكل عاطفتي في تأييد نظام كان يخطط في الظلام لإبادتي وإلغاء وجودي، وأود أن أقول لهؤلاء البعض أن مواقف الإنسان ليست إسمنتية، بل مصنوعة من الدم واللحم والأعصاب.. الشاعر برق ورعد ومطر وسماء دائمة التحوّلات.

● يوم مات عمّي بعد أن سمع نبأ الغزو، كانت الثالثة صباحاً، والجثة هامدة ساكنة أمامي مغطاة على السرير بملاءة بيضاء، عشت الكارثة بكل أبعادها، اجتياح لوطن، وفقد عزيز هو بمثابة والدي، أين أذهب بالجثة وهو الذي حلّفني بكل المقدسات أن يدفن في الكويت، وقفت أصلّي في الفجر، تشاركني دموعي، دموع حارة موجعة، لاأملك مهما وصفت لك، طعم مرارتها، ساعات مريرة وأنا أنتظر في المستشفى حتى يطلع الصباح. بكيت كثيراً... بكيت فقد ابني، بكيت نكسة ٦٧ انكسارنا القومي، بكيت رحيل عبدالناصر، بكيت عندما شعرت أنه حتى القبور سرقوها ولايعطوننا تأشيرة دخول إلى أرضنا لندفن موتانا.

● كانت البصرة هي البساط الأخضر الذي ألتجئ إليه كما يلتجئ كل إنسان لمراعي الطفولة.. وطفولتنا هي البحر الذي نسبح فيه، وعندما تغرقنا أمواج الحزن نحتمي نحتمي بها.

ولدت في البصرة، ولي فيها ذكريات وصديقات، على أرض البصرة عبثت الريح بضفائري، على أرض البصرة اختلط اللون الأزرق باللون الأخضر.. وتعانق التمر بأشجار النخيل، وما جرى لايغيّر موقفي من العراق، فالعراق يبقى بشعبه، بفضائله ومروءاته، النظام العراقي وليس العراق هو الذي ارتكب هذا الخطأ الفادح.

● سعاد الصباح

إذا انفجرت الكلمات الأولى
شممت رائحة احتراقي

بصراحة شديدة: أشعر بالحرج.. وبثقل مهمة كتابة «مقدمة لقاء» مع شخصية مثل «سعاد الصباح»: الشاعرة والباحثة الاقتصادية.. ومستشارة لجنة حقوق الإنسان في البرلمان، مسؤولية أحسست أنها تتثاقل منذ أن سحبت القلم وبدأت أخطّ أول أسئلتي.. وأشطب وأعدّل!

فهل يمكن لتلميذ كان يدرس قصائد د. «سعاد» على مقاعد الدراسة، ويحتار أمام أسئلة الامتحان، أن ينجح في هذا الامتحان الجديد؟ فقط لأقل إن تجربة د. «سعاد الصباح» تثير الكثير من الأسئلة.. فهي كعادتها تمضي مخلفة وراءها صوت ارتطام الآراء.

اتهامات كثيرة انصبت عليها.. منذ بدء كتاباتها، والتلويح بشعر نزارقباني.. الذي أعتقد - جازماً - أن صوت «سعاد» الحالي سيكون هو هو.. حتى لو لم يوجد نزار.

أما رائحة النفط.. فكثيراً ما ينثرونها على نشاطاتها الثقافية المميزة، وهي تتساءل باستغراب: «وهل يريدون أن أنفق أموالي على طاولات القمار؟!».

ها هي د. «سعاد» تستشعر - مازالت - دفء الأمسيات الذي لا يعدله - كما تقول - دفء شمس.. وها هي منذ خروجها إلى ملاعب الشمس تثبت جدارتها بالمشاركة في الحياة العامة على اختلاف مناحيها.

وهي كثيراً ما يطول غيابها عن اللقاءات الإعلامية حتى أننا لم نقرأ لها سوى لقاء أو اثنين منذ ثلاث سنوات في صحفنا المحلية.

وها هي تفضي لي بهواجسها، وتطلعاتها الأدبية والسياسية.

سألتها:

■ **«أكبر وأفضل وأثمن ما يمكن للإنسان أن يحصل عليه، هو أن يكون محبوباً، وكل فنان حقيقي محبوب وهو بهذا المقياس، أغنى الأغنياء، وعطاؤه باق».**

هل تشعرين بهذا الشيء.. كيف ومتى؟

- شأن كل من يعطى، أحس بروعة أن أحاط بمحبة الإنسان، قارئاً أو مستمعاً.

متى أشعر بذلك؟.. في كل وقت من يومي عبر مكالمة هاتفية، أحس بروعة أن أتلقى عشرات الرسائل يوميا من قراء محبين وبسطاء من كل مكان.. أليس رائعاً أن تزين عينيّ في الصباح برسالة من الجزائر وأخرى من السعودية، وثالثة من مصر، ورابعة من سوريا وغيرها.. حتى من السويد هناك عربي يكتب.. إنهم لا يطلبون إليّ عونا سوى أن يقرأوا لي، أو أن يكونوا قراء فأعجبوا فتمنوا لي دوام العطاء.. يبقى أن الدفء الذي أستشعره خلال الأمسيات الشعرية لا يعدله دفء شمس، إن في عيون الجمهور ذبذبات كهربائية تخترق الروح، وتعيد إلى الذات الفرح والتوازن.

لست على هذا الرأي

■ **«لقد كرهت نفسي لأنه لا شيء غير الكتابة يرضي طموحها» هذا ما يقوله «حنا مينا» الروائي العربي.. ألا ترددين ذلك أحياناً؟**

- لست مع هذا الرأي، وان كنت من مدمني قراءة الأديب العربي الكبير «حنا مينا»، لقد ولدت وفي فمي صرخة حب وحنان للمجتمع، وإحساس عنيف بالمسؤولية تجاه الإنسان لذلك فإن عظمة الكتابة، ليست وحدها التي تجعلني أحب الحياة، بل خدمة الحقيقة والنضال من أجل حقوق الإنسان

وحرياته هي الوجه الآخر للحياة التي أحب ولن أكره.

■ **هل يمكن للمبدع أن يفقد ناره الداخلية، أو بمعنى آخر هل يصاب بملل.. سواء في بداياته.. أو بعد طول تجربة..؟**

- لو كان يمارس فعل الكتابة يومه وليله، ربما أصيب بشيء من الملل، أو لو كان يكرر ذاته. لم يصبني الملل لأن حياتي دائمة الاشتعال، ومتعددة المسارات، ولا أحسبني في يوم المبدعة الملول. فقد ولدت في الحياة ويولد في كل لحظة مشعل جديد، تنطلق بي ناره.

التشبع

■ **امتداداً للسؤال السابق.. يشعر القارئ عندما يقرأ ويتابع مسيرة مبدع أيا كان بالتشبع، فيتحول منه إلى آخر.. هل شعرت بهذا الشيء.. في متابعاتك لبعض المبدعين.. وكيف تكسبين قارئك إن أحسسته يشعر بهذا الإحساس تجاهك؟**

- لا يحس القارئ بالتشبع من الكاتب إلا إذا كان الكاتب نفسه قد تحول إلى تكرار التجربة أو الكلمة فما من جديد عنده سوى العناوين، وقد كان طبيعياً أن أستشعر شيئاً من خلال قراءاتي، وأن أتعلم كيف لا أكون مثيلا له، القارئ يحتاج إلى ما يفيده أو يمثله أو يزيده في بحر الثقافة، لذلك علينا أن نبني أنفسنا من جديد، كي نظل قادرين على العطاء الذي لا يشبع ولو بالجمال.

■ **سؤال يتكرر كثيراً: «الرواية هي ديوان العرب الآن، فقد أزاحت الشعر».. ما مدى صحة ذلك، دون تحيز لمحبوبك الشعر؟!**

- من غير انحياز أقول: «مازالت قصيدة واحدة حقيقية، بشرط أن تقدر على أن تكون ديوان اللسان العربي ومن غير إنقاص لقدر أي من فنون الكتابة، فإن الشعر لايزال هو المنارة، إن العطاء الروائي يزداد غنى، بينما تتراجع مساحة العطاء الشعري ولكن التأثير الشعري يبقى هو الأقوى.

النقد الحقيقي

■ **هل يهمك رأي النقاد كثيرا، أم تفضلين رأي الناس البسطاء الذين تكتبين لهم؟**

- لا تصدق أديباً ينفي اهتمامه بالنقد وبما يراه النقاد، ولكن الذي لا أعبأ به هو الطعن تحت عباءة النقد، أي أن يكون موقف الذي ينبري للنقد مسبقاً من المنقود، ليس النقد شتيمة مهذبة، إنه قراءة واعية وعالية للمضمون بعيداً عن شخص الكاتب، فالمسألة ليست تعريضاً بالكاتب ولا يجوز أن تكون، إن النقد الحقيقي هو الحوار مع النص وليس مع الكاتب وعائلته ولائحة طعامه وشرابه! في الوقت ذاته يهمني كثيرا رأي الناس، الذين لهم تُكتَب الكلمات، فيكون الحكم صافياً وصادقاً وشفافاً، وبعيداً عن أي قياس آخر غير قياس الحس الإنساني الصادق.

انفجار

■ **لا أذكر من الذي كتب عن «تعذيب» الورقة البيضاء، وهي أمامك على الطاولة. ربما همنغواي. أريد أن أسأل عن هذا الهم.. الشروع في الكتابة.. أو الكتابة بحد ذاتها؟**

- أستشعر هذا الهم في كتابة الدراسة الاقتصادية، أو المقالة السياسية، إذ يكون علي الاختيار الصعب لمكونات العمل في مراجع ونظريات وحقائق، أما في الشعر فأصعب ما فيه تلك الساعات

التي يحس فيها الشاعر أن في حنجرته صرخة لا تجد طريقها بعد إلى الورق، ساعات شاقة على النفس أحس فيها وكأن بركاناً يسكن صدري فإذا ما انفجرت الكلمات الأولى وشممت رائحة احتراقي على الورق شعرت بالراحة.

■ **الهجوم ضد د. «سعاد الصباح» الذي تشنه أقلام عربية تستهدف من خلاله د. «سعاد» أولاً.. و«القلم الخليجي» ثانيا.. ما سببه؟ هل هناك سبب مباشر.. ماذا تقولين عن هذا الهجوم.. وأثره عليك.. وعن القلم الخليجي؟**

– لكل فعل سبب، وأغلب الظن أن الذين يحملون على الشعر عندنا وعلى بعض رموزه، لهم المآرب التي لا تتصل بالشعر أساساً، بل تنطلق من غايات أبعدها الله عنا وعن أقلامنا، وبالنسبة لي لم يزدني قوة وعزيمة مديحٌ ألقاه حيث أذهب فحسب، بل كانت الحملات الشرسة ضد اسمي، وضد وطني، وضد كلماتي، شحنات نار شدت من موقفي وزادتني صلابة على الصلابة التي جبلت عليها، ولا أحسب الساخرين والشامتين والشتامين، هم الذين صمدوا بل نحن.

■ **الدار «دار النشر» التي ولدت في مصر، وخدمت الكتاب والكُتّاب هناك.. لاقت هجوماً من البعض.. بماذا تردين؟**

. «دار سعاد الصباح» ولدت في مصر، في ذلك الظرف الاستثنائي الذي كان علينا فيه أن نقرر واحداً من أمرين: إما العمل الفوري لإثبات حقنا في الحركة الثقافية، ودورنا فيها أو الابتعاد، ولو بسبب إعادة البناء. لقد كان قراري أن صوتاً للكويت مؤثراً في دنيا الثقافة، أمر لا يحتمل التأجيل، خاصة وأن اختياري لمصر كان اختياراً طبيعياً لواحدة من أعظم منارات الثقافة العربية، كذلك فإن لمصر باعها النيّر في دفع حركة الثقافة والعلم في عالمنا العربي.

لا أعتبر انطلاقة الدار من القاهرة أمراً يستحق الجدل أو المساءلة، فقد اختار كثيرون القاهرة لتكون منبر كلمتهم، وكانت القاهرة منصة انطلاقهم وليس هناك أوضح من الدور اللبناني والشامي في بناء حركة الثقافة والإعلام والمسرح في مصر العربية، واليوم وقد مضى على قيام الدار عامان كانا حافلين بالإصدارات، شعرت كما مجلس أمناء الدار الأجلاء، ان الكويت قادرة على احتضان هذه النواة والاستمرار في تفجير قوتها البناءة من الكويت، وهكذا كان دون التخلي عن دور مصر والأشقاء المثقفين فيها والذين نظل دائماً نشد أيدينا إلى بعض من أجل واقع ثقافي أكثر نقاء وفعلا وطهارة ومسؤولية تجاه أمتنا، أما عن الهجوم على الدار وصاحبة الدار فذلك أمر نعرف بعض أسبابه المعلنة، وتبقى الخوافي تحت عباءة حاملي الخناجر الذين يغيظهم أن تنطلق باسم الكويت قافلة للكلمة الجادة والمؤثرة.

■ **هل تشعرين أن جمهورك كما هو.. بأحلامه.. وأعماره.. وعدده.. أم أن شيئاً ما حدث؟**

– يسعدني دائماً أن أرى هذه الشريحة من الجمهور تتبدل وتتنوع، وإن كان بعضها يغمرني بوفائه. إذ يتابع كل أمسياتي منذ أكثر من عشر سنوات حتى الأمس، أكاد أعرف هذه الوجوه التي تلازم صوتي ويسعدني أن أراها.

وللصدق أقول أنني أدرس جمهوري جيدا وأحاول فهم معنى حضوره، فتملكني القوة كلما فعلت، أليس رائعاً أن يكون الحضور من الرجال ومن السيدات؟

أليس رائعاً حتى أقصى حدود الرضا، أن يقول لي أحدهم:

لقد وقف القدر بيني وبين حضور أمسيتك في معرض الكتاب، إذ جئت على موعد مع الإعلان عنها في أولى أمسياته واضطررت مكرها للسفر إلى بلدي، قبل حلول موعد الأمسية الأخيرة، أليس رائعاً أن يحيط بي حضور في عمر الياسمين، جاءوا من دول مجاورة ليستمعوا إليّ؟

تكريم رواد الأدب العربي

■ تسعى الدار لتكريم بعض الشخصيات الأدبية في الكويت والعالم العربي، كيف ستتم هذه الخطوة، وهل تحاولين من خلالها سد ثغرة يجب أن تقوم بها الدولة؟

– دعني أبدأ من آخر السؤال: لست معنية بسد الثغرات لدى أية سلطة، خاصة وأن خطة تكريم الرواد المبدعين تشمل هذه الكوكبة على امتداد العالم العربي، وليس من دولة الكويت وحدها، إذن فليس هناك تنافس مع أحد في من يستحق الإجلال والتكريم، وهذا هو الميدان مشرع الأبواب أمام كل من يؤمن بدور له في الوفاء لهذا الجيل الريادي.

كيف تتم؟ هناك هيئة إدارية أو فلنقل «مجلس أمناء مصغر»، يتدارس الترشيحات ويرسم آلية التنفيذ، ثم يعرض الأمر على مجلس الأمناء بكامل هيئته ليرى في ذلك رأيه، وبعدها يتم تكليف أحد الأستاذة الأمناء بترؤس لجنة تكريم الشخصية المحتفى بها فتقع على اللجنة مسؤولية تحديد الشكل والوقت بالاتفاق مع المكرمين.

■ «تم حجب جوائز «سعاد الصباح» للإبداع الفكري، وجوائز «عبدالله المبارك» للإبداع العلمي» هكذا جاء الخبر معللاً بأن المشاركات دون المستوى، ألا تشعرين أن ذلك شيء محبط أن تكون المشاركات دون المستوى؟

– ليس بالأمر الخطير أن تجيء الإسهامات في عام دون المستوى الذي أردناه، لجوائز المغفور له الشيخ «عبدالله المبارك» للإبداع العلمي، ولجوائز «سعاد الصباح» في الإبداع الفكري والأدبي، وانني واثقة من أن تعديلا في سياسة الإعلان عن الجوائز بتنويع منابر الإعلان لتشمل العالم العربي كله، بدلاً عن حصرها سوف يحقق استمرارية التدفق الإبداعي هذا العام وفي كل الأعوام المقبلة.

■ هل تشعرين بالرضا عما تنشره الدار من كتب، وهل قيّمتها مسابقات أدبية «كمعرض القاهرة»؟

– التجربة كانت على مدى عامين في بداياتها وقد شعرت في أحيان أن إصداراً وأكثر لم يكن موضع الرضا العام، فضلاً عن عدم رضاي كناشرة، لذلك فإن خطة النشر الجديدة واعتباراً من اليوم سوف تكون خاضعة للمقاييس التي يحددها الأمناء ووفق تنويع مستنير في الموضوعات والأسماء والبلدان، أما عن جوائز معرض الكتاب فقد كانت عزاء للدار بعد الذي بذلته من أجل أن يكون لها وجودها الثقافي المميّز.

■ تجربة القصيدة المغناة.. جاءت بنجاح باهر في بعضها.. والبعض الآخر جاء في مستوى عادي، هل ذلك شيء مشجع بالنسبة لك، وماذا عن القصيدة العامية؟

– أليس طبيعياً أن تكون للفارس جائزة السبق يوما، وأن يحرم منها في حين آخر، القصيدة العامية أشبه ما تكون عندي بالهمس مع الذات، تجد طريقها في مرات إلى موهبة الملحن فالمنشد، ولم أطرح أبداً كل ما همست به ولا أريد، حتى الشعر لم يجد كل طريقه إلى الورق.

■ **الحركة الثقافية في الكويت كيف ترينها.. هل هناك ركود كما يردد، وما رأيك بالكتّاب الشباب؟**

– كان هناك هذا الركود، اليوم نستشعر جميعاً أن هناك تحركاً في ميدان الثقافة نجده في تطور عمل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وفي نشاط رابطة الأدباء، وفي التفات إعلامي جاد في صحافتنا للشأن الثقافي يتجسد في حجم متعاظم للبحوث وللمقالات وللنقد الأدبي وللدراسات عن النظريات والكتب الصادرة..

وتسألني عن الشباب، من غير التباهي أن أرفض، أود التذكير بأن جوائز الشيخ «عبدالله المبارك» و«سعاد الصباح» قد حصرت المبدعين من جيلنا الجديد تأكيداً على اهتمامي وعلى ثقتي بالقدرات الخبيئة في أعمالهم، كذلك فإن «دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع» هي أول ناشر يفتح أبوابه دون أية نقاط تفتيش على العمر أو على ما يحققه النشر لنتاج الشباب من مكسب مادي.. لم ولن أسعى إليه.

هموم اقتصادية

■ **ننتقل من هموم الثقافية والأدب إلى هموم الاقتصاد..**

كيف ترى د. «سعاد» مسيرة الاقتصاد الكويتي في ظل الركود العالمي وانخفاض أسعار النفط؟

– عند الحديث عن مسار الاقتصاد الكويتي يجب التفريق بين الحاضر والمستقبل القريب من ناحية، والأجلين المتوسط والطويل من ناحية أخرى، ولاشك أن حاضر الاقتصاد الكويتي ومستقبله القريب يواجه عديدا من المشاكل الناجمة عن تراكمات الماضي ومتطلبات مواجهة ما بعد الغزو في الوقت الذي يعاني فيه سوق النفط العالمي من ضعف شديد يتمثل في الانخفاض المستمر في أسعار النفط وفي ظل مناخ اقتصادي عالمي عانى ومازال إلى حد ما من ركود حاد وخاصة في الدول الصناعية الكبرى ذات الطلب الكبير نسبياً على النفط الخام، فإذا أضفنا إلى ذلك الاعتبارات النفسية والاجتماعية الناجمة عن الغزو وانعكساتها على السلوك الاقتصادي للإنسان الكويتي، لذا فليس من الصعب تفسير حالة الركود النسبي التي شملت الأسواق المتعددة للسلع والخدمات في الاقتصاد الكويتي والتي مازالت قائمة رغم الإجراءات والسياسات المتعددة التي اتبعتها الدولة لإنعاش الاقتصاد القومي.

وليس معنى ذلك أن نقلل من قيمة الإنجازات العامة التي تم تحقيقها منذ التحرير فهي بلاشك مدعاة فخر لشعب الكويت الذي استطاع أن يتغلب على صعاب ومشكلات من الضخامة والتعقيد بحيث أن بعضها لم يكن له سابقة في التاريخ الحديث.

أما عن الأجلين المتوسط والطويل فإن الأمر سيتوقف في المقام الأول على الاستراتيجية الاقتصادية التي تستند إليها السياسات الاقتصادية للدولة، وبكل صراحة فإن الاستمرار في معالجة الأمور بنفس المنطق والأسلوب الذي اعتدنا عليه منذ السبعينات يحمل في طياته مخاطر كبيرة لا يجب التقليل من أهميتها. إن الاقتصاد الكويتي يحتاج إلى إعادة هيكلة بصورة جذرية مستنداً إلى مفاهيم جديدة وإطار جديد. إن الاتجاه نحو التخصص والنجاح في تحقيقه بأسلوب شامل وبرنامج مدروس يعني أن تنتقل زمام المبادرة وتحريك النشاط الاقتصادي من القطاع الحكومي إلى القطاع الخاص وبحيث يصبح دورالدولة قاصراً في المجال الاقتصادي على توفير المناخ الاقتصادي العام

الملائم مما يعني إنهاء عصر الإدارة المباشرة للنشاط الاقتصادي، وهذا التغيير في دور الدولة يتطلب توافر هيكل تنظيمي واضح قادر على توجيه الاقتصاد، الأمر الذي يتطلب بدوره ضرورة إعادة النظر في اختصاصات ومسؤوليات الوزارات والجهات التالية لها والمسؤولة مسؤولية مباشرة عن إدارة الاقتصاد الوطني.

فشمول التخصيص للقطاع النفطي «وهو أمر حتمي لإعادة الهيكلة» وفقاً لجدول زمني واقعي يعني على سبيل المثال، أن ممارسة الدولة لحق السيادة فيما يخص المورد النفطي تصبح علاقة ضرائبية على نحو مماثل لما هو متبع في المملكة المتحدة، ومن ثم تصبح وزارة المالية مسؤولة عن السياسة المالية بشقيها الانفاقي والإيرادي.

■ **هل تعتقدين بنجاح سياسة الكويت الاقتصادية وماذا ينقصها؟**

– إن الحكم على سياسة أي دولة من الناحية الاقتصادية بأنها ناجحة أو العكس ليس من الأمور السهلة أو المطلقة، بل إنها قضية نسبية من المقام الأول، إذ يتوقف التقييم على اعتبارات متعددة منها طبيعة الأوضاع السائدة وحجم التحديات والأهداف والغايات الموجودة. فقياساً بالمشاكل الهائلة التي واجهها الاقتصاد الكويتي، بل المجتمع الكويتي بعد التحرير مباشرة، يمكن القول إن سياسة الدولة بصفة عامة بما فيها الجانب الاقتصادي كانت ناجحة بشكل جيد لم يكن في الحسبان، بل إنه فاق كل التوقعات إذ لم يقتصر الأمر حينئذ على الدمار الكبير الذي لم يترك قطاعاً واحدا من القطاعات الاقتصادية، بل إن الحكومة واجهت وضعاً لم يوجد له سابقه في الماضي من حيث انطقاع المورد الوحيد للدخل والثروة والنشاط الاقتصادي بصفة عامة في مواجهة متطلبات اتفاقية هائلة وعاجلة، بل وملحة. أما فيما يتعدى ذلك فإن العنصر الرئيسي الذي افتقدته ومازالت تفتقده السياسة الاقتصادية للكويت «إذا صح القول بأن هناك سياسة اقتصادية واضحة بالمعنى العلمي المفهوم لهذا الاصطلاح»، هو عدم توافر رؤية مستقبلية واضحة للاقتصاد الكويتي لا تقتصر على مجرد العلاج الجزئي أو الوقتي، بل تحديد طموحاته وآماله، تهدف إلى تحديث وإعادة هيكلة هذا الاقتصاد برمته وتتعدى السياسات والإجراءات الوقتية الجزئية من خلال مجرد إعادة توزيع الأدوار في الاقتصاد الوطني بين القطاعات المختلفة والمسؤوليات الموكلة لكل منها مع التأكيد بأن هذه الرؤية لن تتحقق بين بيوم وليلة ولكن تحقيق الأهداف يتطلب ضرورة تهيئة الظروف والبدء في إعادة النظر من الآن فيما هو قائم. ولاشك أن النجاح في إعادة الهيكلة وإصلاح مسار الاقتصاد الكويتي يتطلب الاقتناع بجدواه والرغبة الصادقة في المشاركة في تنفيذه، مما يعني ضرورة خلق مناخ سياسي يستند إلى إحياء الدافع الوطني الكويتي إلى أقصى الدرجات.

حضور برلماني

■ **مجلس الأمة.. والآمال المرتقبة.. والآمال التي تحققت كيف تتحدثين عنها؟؟**

– استئناف الحياة البرلمانية هو في حد ذاته شهادة للكويت في اختيارها الديمقراطي المعاصر. ونحمد الله أننا لم نعرف في تاريخنا حياة محكومة بالديكتاتورية أو بالعقلية البوليسية، إذ رغم اختلاف وجهات النظر وتباين الرؤية ظل هناك حد أدنى من التمسك والتماسك، وهو ما تأكد لنا وللعالم في أكثر من حالة، وخاصة في مواجهة الغزو والاحتلال الأبشع. ثم أن أي تجربة برلمانية لم

تمنح، في عالمنا العربي، كل ما تتمناه الشعوب من هذه التجربة، ولكنني أقولها، وبثقة، إن تجربتنا في الكويت تستحق الإكبار، رغم كل ما يشوبها أحيانا من تصادم ومن انتقال بين الموضوعات بحيث يقدم المهم على الأهم.

لقد تحقق بوجود مجلس الأمة مبدأ الرقابة والمتابعة والمشاركة في القرار وهذه أساسيات إيجابية. تبقى الآمال وهي كبيرة ولا تتحقق إلا في إطار منظم ويبقى ضروريا أن نتذكر واقعنا فلكل منهما حسابه الذي يجب ألا نخطئه في تصورنا للحاضر أو في تطلعنا للمستقبل الأفضل.

■ **ما سر حرصك الدائم على حضور كافة جلسات مجلس الأمة خاصة وأنك نافست النواب في الالتزام؟**

- أحرص على متابعة هذا المنبر السياسي الحيوي، والذي من خلاله يمكنني التعرف إلى ما يدور في وطني وإلى التصورات التي تطرح سواء من جانب الحكومة أو المجلس. إن في ذلك إثراء لمعرفتي وللغتي السياسية.

وربما كان وقتي، الذي يخضع لتقديري باستثناء ضرورات السفر، هو الذي يسمح لي بمتابعة الحضور.

■ **عضويتك العالمية في عدد من الجمعيات الهامة.. كيف توظفينها للاستفادة شخصيا.. والاستفادة العامة للكويت؟**

- ليست هناك فائدة شخصية من مشاركتي في العديد من المنظمات العالمية: الأكاديمية أو الإنسانية. أما بالنسبة لوطني فأعتقد أنه كان دائما مفيدا وجود الصوت الوطني في مثل هذه الندوات والمؤتمرات، خاصة بعد الهجمة الشرسة علينا في أعقاب التحرير. لقد وقفت، ووفقت بفضل الله، مشهرة كلمتي بالحق دفاعاً عن بلدي وإدانة لمن اختاروا عداءها وكانت المحصلة الدائمة خيرا لنا والحمد لله.

■ **ماذا تقول د. «سعاد» عن دور المرأة في الكويت.. مع حصولها على مراكز هامة في الآونة الأخيرة؟**

- إن أهم المراكز التي حصلت عليها المرأة الكويتية كانت في أمومتها أولا، وفي دورها الاقتصادي والاجتماعي في الزمن الذي سبق ظهور النفط. واليوم تتقدم المرأة منذ خروجها إلى ملاعب الشمس وسلوكها طريق العلم، نحو إثبات جدارتها بالمشاركة في الحياة العامة على اختلاف مناحيها وليس ذلك بالغريب في بلد كانت المرأة تشكل في تاريخه عصب الثبات في الأرض وبناء الأسرة وإدارة الأمر الاقتصادي لها.

■ **هل يؤدي اهتمامك السياسي.. إلى تنحية الشعر قليلا؟**

- لنقل إن اهتمامي الوطني.. وبالقضايا المطروحة داخليا وعالمياً والمتصلة بي تأخذني إلى عالمها فلا أمنح الكتابة الوقت الذي أريد، كما القراءة. ولكن حين يطل عليك ندى الشعر فإنه لوحده قادر على إبعاد المشاغل عن الطريق.

مجلة اليقظة. العدد ١٣٠٦، ١١-١٧ مارس ١٩٩٤م

المجنونة

1

إنّني مجنونةٌ جداً..
وأنتمْ عُقَلاءْ
وأنا هاربةٌ من جنّةِ العَقْلِ،
وأنتمْ حُكَماءْ
أشْهرُ الصيفِ لكُمْ
فاتركوا لي إنقلاباتِ الشتاءْ..

2

أنا في حالةِ حُبٍّ... ليس لي منها شفاءْ
وأنا مقهورةٌ في جَسَدي
كملايين النساءْ
وأنا مشدودةُ الأعصابِ..
لو تَنْفُخُ في داخلِ أُذني
لتطايرتُ دخاناً في الهواءْ...

إنني ضائعةٌ كالسمكِ الضائعِ في عَرْضِ البحارِ...
فمتى تنهي حِصَاري؟...
يا الذي خبّأ في معطفه مفتاحَ داري
يا الذي يدخلُ في كلِّ نهاري.

3

يا حبيبي:
إنني دائخةٌ عشقاً
فلملمني بحقِّ الأنبياءْ
أنتَ في القطبِ الشماليِّ...
وأشواقي بخطِّ الإستواءْ
يا حبيبي:
إنني ضدَّ الوصايا العشرِ...
والتاريخُ من خلفي دماءٌ ودمارْ...

إنتمائي هو للحُبِّ..
وما لي لسوى الحُبِّ انتماءْ
وطَني..
مجموعةٌ من شَجَرِ الليمونِ في صدركَ...
والباقي هُرَاءٌ بهُرَاءْ...

من ديوان «فتافيت امرأة»

الانشغال بموضوع لا يشغل صاحبته!

في كل مرة ألتقي فيها بـ «سعاد الصباح» أكاد ألمح غيمة حنان تهطل بكل ما هو استثنائي وإنساني.

.. في كل مرة أصافح فيها الشاعرة «سعاد الصباح» أشعر بالعشب ينبت في أرجاء يدي ويتوزع في دمي... وفي كل مرة أحاور فيها الدكتورة «سعاد الصباح» أجد أنها لا تنتمي لأي فصل.. فهي امرأة الفصل الخامس. هي السيدة التي تضيء وتشع وتتوهج.. وتعطي.

كثيرا ما أعطت.. وكثيراً ما لقيت جزاء العطاء سهاماً موجعة، إلا أنها قد سلّمت بمثل هذا الجحود، فلم تعد تلتفت أو تبالي.. بل تكتفي بتقطيبة حزن عابرة مسحت وجهها شيئاً فشيئاً بهذا الملمح.. ثم تمضي في طريقها الصعب عابرة قاراتها إلى الجمال، والنقاء، والحب، والوفاء الخالص والصادق.

كنت تلميذاً أدرس شعرها. وأصبحت أحاورها في شعرها.

وشيء من الخجل ينتابني وكثير من الفخر يجتاحني..

فماذا لو جئت وبين يدي أسئلة بعضها «مدبّب» من هذا النوع:

■ في أمسياتك تكررين القصائد نفسها تقريباً مع أن لديك الجديد، ما السر؟

- أخشى أن يكون السؤال بعيداً عن الدقة، هناك قصائد أعيد قراءتها لأنها تجسد موقفنا الوطني سياسياً وأعرف أن لها وقعها بالنسبة للجمهور، ثم لا تنس أن الجمهور ليس واحداً في كل أمسية، من هنا فإنني أريد إيصال صوتي من خلال قصائد معينة إلى أكبر عدد ممكن من الناس.

■ توزعين اهتمامك بين مجالات متفرقة منها الأسرة، السفر، الاقتصاد، التجارة والسياسة الدولية والكتابة والتأليف؟ أين تجدين الوقت لكل هذا؟ ألا يؤثر ذلك على عطائك الشعري؟

- مع الاحترام الكامل للتجارة وللعمل التجاري إلا أن لهذا النشاط أربابه ولست منهم، إن اهتمامي العملي هو في مكتب الاستشارات والذي أصرف فيه وقتاً طويلا لاستقبال الضيوف والأصدقاء من سياسيين وأدباء، أما نشاطاتي الأخرى فإنها لا تتناقض لأنني في وقت السفر لا أنقطع عن الاهتمام بالشأن الثقافي وربما كانت رحلاتي فرصة رائعة للكتابة.

أما الشعر فلا يحتاج إلى إجازة تفرغ لأن الشاعر لا يكتب قصيدة كيفما تلفت، إن تأثير اهتماماتي الأسرية والاجتماعية والسياسية محدود في أنه يؤدي إلى تأجيل المراجعة والنشر فقط.

■ قلت مرة «لن يجرؤ أحد ويعرض عليّ الزواج» هل لأن أحدا لا يستحقك سوى «عبدالله المبارك» رحمه الله، أم لأن أحداً لا يمكن أن يكون بديلاً له، أم أن طرق مثل هذا الموضوع يزعجك؟

- لم أطلب من أحد أن يتولى دور «الخاطبة» لي، هذا أولا، أما ثانياً فإن هذا الموضوع خارج العقل والقلب منذ رحيل الزوج الكبير والصديق الكبير أبو مبارك، ولا أعرف سبب كل هذا الانشغال بموضوع لا يشغل صاحبته في قليل أو في كثير. إن حياتي الأسرية بالأولاد وبالأحفاد تملأ كل جوانحي والحمد لله بالرضا والكمال والحنان والمحبة وهذه كفيلة بإلغاء كل سؤال آخر.

■ برغم بيتكم الأدبي وسطوتك الشعرية إلا أن أحداً من الأبناء لم يمش هذا الطريق سواء في الشعر أو أي منحى أدبي آخر، بم تفسرين ذلك؟ ألم تحاولي جرهم إلى هذا الاتجاه. أم أنك تحاولين التأثير في هذا الجانب؟

- في تجارب الآخرين قلة من الشعراء هم الذين أنجبوا شعراء أو أدباء، كل شيء قابل للتوريث إلا الشعر، كذلك فإن الاهتمام عموماً مسألة شخصية جدا لا يستطيع أحد أن يفرضها على سواه ولا يجوز له أن يحاول، لقد ربينا أولادناعلى احترام النفس وعلى ضرورة الاختيار لمنحى حياتهم، فهل يعقل أن نفرض عليهم أن يكونوا شعراء، لا أذكر من بين جميع شعراء وشاعرات العالم العربي من كان أبوه أو أمه من أهل الشعر.

■ **هناك من يلغي سعاد الشاعرة، وينظر إلى سعاد الشيخة الجميلة وربما «المترفة» بم تشعرين تجاه ذلك؟**

- لماذا لا تسأل من يلغي ومن ينظر، إنني لا أرى ولا أسمع غير ما أعرف من مواقف وسلوكيات لا تفصل أبداً بين إنسانيتي كشاعرة وكمثقفة وككاتبة وبين اسمي.

■ **كانت لقصائدك سطوة كبيرة، ارتبط بها المتلقي ورددها كثيرا.. وطالبك بإلقائها في كل أمسياتك: كن صديقي، ونحن باقون هنا، وقصائد أخرى، ولكن قصائدك الأخيرة لم تحقق هذا المطلب ألم تلاحظي ذلك وما السبب؟**

- ألا ترى أن التناقض هنا قد وقع مع سؤالك الثاني؟ نعم الجمهور يطلب قصائد معينة ويستعيد مقاطع من قصيدة ولكن ذلك ليس شرطاً لكل قصيدة، ولو عدنا إلى أمسيتي في مهرجان القرين لوجدنا أنني استجبت لرغبة الجمهور بإعادة مقاطع شعرية ثلاث مرات. يبقى أن لكل جمهور ذوقة وخاصة أن هناك بعض القصائد لا تحتاج إلى إعادة لأنها تصل إلى جميع الحاضرين بدرجة واحدة من التلقي والفهم والرضا.

■ **صدر لك في فترة قصيرة كتابان: الأول «صقر الخليج» والثاني «حقوق الإنسان في العالم المعاصر» هل يعني ذلك انصرافاً عن الشعر؟**

- لقد أصدرت ستة كتب قبل هذين الأخيرين ولكن ذلك لم يقف دون صدور الدواوين الشعرية قبلها وبعدها، ليس هناك إبداع يلغي إبداعاً أو عطاء يلغي عطاء، لقد كتبت «صقر الخليج» إيماناً بحق هذا الوطن وأجياله أن تعرف جانباً هاماً من تاريخنا السياسي والاقتصادي والعسكري ووفاء للرجل الذي كانت له في هذه الميادين بصمة بارزة في معاصرة الأحداث وفي تشكيلها. لقد كان عبدالله مبارك الصباح جزءاً أساسياً في القيادة الكويتية التي أوجدت المؤسسة ومهدت لقيام الدولة الكويتية المستقلة، وكونه اختار أن يكون في الظل فذلك لا يلغي دوره الذي ألقيت عليه الضوء في كتاباتي عن حياته. أما «حقوق الإنسان في العالم المعاصر» فأحسب أن الكويت هي أول من يجب أن يعني بهذا الجانب المثير في حياتنا المعاصرة ذلك أنها تفخر بما حققته على صعيد حماية حقوق الإنسان وبما تحققه من رعاية لها واهتمام بها، إن قضية حقوق الإنسان تمثل اليوم قضية محورية في حياة الشعوب وفي العلاقات الدولية والاهتمام الذي نريد ترسيخه بها ضروري لهدف حياتنا ولتقدمنا. ولقد أعطاني انتمائي للمنظمة العربية لحقوق الإنسان كعضو لمجلس الأمناء، واللجنة التنفيذية، الفرصة لمواكبة هذه القضية ولإدراك حجم أهميتها في حياة البشر، فكان الكتاب محاولة لزرع نواة التوعية بتاريخ وبحركة حقوق الإنسان.

■ **ماذا لديك من مشاريع ثقافية جديدة.. وهل هناك إصدار شعري آخر؟**

- ليس في المبالغة القول إننا منهمكون في تجهيز موسوعة الثقافة الكويتية التي تحمل عنوان «المسح الثقافي لدولة الكويت خلال نصف قرن» وتشتمل الدراسات على تأريخ كامل الحركة الثقافية ومسيرتها في الكويت منذ مطلع الخمسينات حتى اليوم. لقد باشرنا العمل قبل عامين وشارك فيه ثلاثون باحثاً كويتياً وعربياً سجلوا مختلف النشاطات الثقافية ورصدوا المؤسسات الثقافية والعطاء الثقافي وأعلامه وما أعطت مما يجعل هذا العمل موسوعة كاملة شاملة لهذا الجانب من حياتنا. وقد تأخر إنجاز العمل بسبب تأخر عدد من الباحثين أو المؤسسات في تزويدنا بالدراسات والمواجيز عن مسيرتها، ومن المؤسف أن بعضها لم يفعل إلى الآن، مما يؤخر مهمتنا بشكل كبير. وأخشى أنني سوف أضطر لترك صفحة بيضاء فَي المجلد تحمل اسم كل مؤسسة تتأخر أكثر من ذلك وأحملها مسؤولية عدم نشر ما يستحق عنها. أما الشعر فقد بدأت بجمع الأوراق لإصدار ديوان جديد، وآمل أن تتاح إلي الفرصة الكافية لذلك بعد أن أنجح في عملية الجمع لهذه الأوراق المتناثرة في أكثر من مكان.

أما المشروع الذي أتمنى أن أحققه فهو كتاب عن مبارك الكبير، وأنا الآن في دور جمع المادة من الوثائق البريطانية، والألمانية، والتركية، والأمريكية، تمهيداً لهذا العمل.

■ **ماذا تقولين في حركة الأدب في الكويت وما هي المآخذ التي ترينها في هذا القطاع؟**

- في يقيني أن المخزون من النتاج الأدبي أضخم من الذي نراه منشوراً «هذا أولاً».

ثانياً: أتمنى أن يتعمق دور رابطة الأدباء في مسيرتنا الثقافية وأن تجد الدعم اللازم لها حتى تصبح أكثر فاعلية وحيوية، وعلى مدار السنة.

ثالثاً: إن دور المجلس الوطني بحاجة إلى إعادة هيكلة وإلى اقتناع المسؤولين بما له من أهمية وتعزيز مكانته وضم دماء جديدة إلى كوادره مع تنويع اهتماماته. هذا وإن كنت أرى من حيث المبدأ أن بلادنا بحاجة إلى وزارة ثقافة تكون لها ميزانيتها المستقلة بشرط ألا تقع في متاهة الروتين الوظيفي والتضخم الوظيفي، بمعنى أن تكون وزارة لتشجيع الإنتاج الثقافي بمختلف أنواعه ومنها الفنون على تعدد صورها وأولها المسرح والسينما.

رابعاً: أتمنى تعزيز الاهتمام الإعلامي بالحركة الأدبية لما في ذلك من دعم للثقافة وللنتاج، ومن إطلاق لاسم الكويت في الآفاق العربية والدولية، إنني حين أنظر إلى الجهد الذي تبذله الشيخة حصة صباح السالم أرفع الرأس بالإعجاب لما استطاعت سيدة واحدة أن تفعله من أجل وطنها في حقل واحد، فكيف لو أتيح لنا الظفر بعشر مواهب مبدعة ومخلصة مثلها يغطي نشاطها مجمل الآداب والفنون. خامساً: ألاحظ اتجاهاً عاما إلى التعبير من خلال المقال وأرجو أن تتجه العقول ولدينا منها الكثير إلى إغناء حياتنا بالدراسات.

■ **لماذا توضع د. سعاد الصباح في موضع الاتهام دائماً أو التجني في شعرها ومشاريعها؟**

- هل رأيت أحداً يقذف شجرة الصبار بالحجار؟ إن الشجر المثمر يغري من يعرف قدره بالإشادة ويغري من يجهله بالقذف، يبقى أن على الذين يطلقون سهامهم أن يحسنوا عملاً آخر، كأن يتقدموا لإنجاز واحد بالمئة مما أنجزت، وبعدها فليكن لكل حادث معهم حديث، إن الناس تنظر وتتحدث عن تظاهرة تضم ألف شخص في مدينة يسكنها عشرة ملايين شخص، السلبية بمقدورها إذن أن تصنع

خبرها، ولكنه سرعان ما يضيع كما فقاعة الصابون ويبقى الرمل والبحر بينما يغرق الزبد.

■ **ماذا تقولين عن الاقتصاد الكويتي. وما هي أبرز مشاكله؟**

– إن المعالم الرئيسية للاقتصاد الكويتي مازالت على ما هي عليه من حيث كونه اقتصاداً نفطياً في المقام الأول، يعتمد اعتماداً أساسياً على الإيرادات النفطية في الدخل وميزان المدفوعات، وميزانية الدولة، ويمكن القول إنه لم يحدث تغير يذكر في نصيب القطاع غير النفطي في الناتج القومي، ولايزال الاقتصاد الكويتي يعتمد اعتماداً كبيراً على العمالة الأجنبية التي تمثل نسبة كبيرة في سوق العمل، وفي الوقت نفسه فإن نسبة مساهمة المرأة الكويتية مازالت منخفضة نسبياً، ومازال القطاع الحكومي يمثل المجال الرئيسي للعمالة الكويتية، حيث يعمل ما يزيد على ٩٥٪ منها في الوزارات والمؤسسات الحكومية، بينما نصيب القطاع الخاص من هذه العمالة ضئيل جداً.

أما مستوى النشاط الاقتصادي ومعدلات النمو فيمكن القول بأنه قد حدث تحسن محدود في الآونة الأخيرة، وإن اقتصر على القطاع المالي متمثلاً في حركة المعاملات في سوق الأوراقية المالية، وفي الأسعار والذي يعود في المقام الأول للتحسن الملموس في السيولة المالية لأسباب متعددة منها حل مشكلة المديونية، والارتفاع المطرد في أسعار النفط، بالإضافة إلى خصخصة عدد من الشركات التي كانت تملكها الدولة، ولابد من التنويه بأن هذا النشاط غير العادي في سوق الأوراق المالية لا يخلو من المخاطر الناتجة عن المضاربة غير المسؤولة والممارسات التي قد تؤدي إلى آثار ومخاطر عكسية، وخاصة في سوق الأوراق المالية، وهو سوق صغير بكل المعايير.

أما عن أبرز مشاكل الاقتصاد الكويتي فهي إعادة هيكلة حقيقية وليس مجرد اتخاذ إجراءات وسياسات إصلاحية ذات تأثير وقتي، وإنما سياسات تقلل من الاعتماد على النفط كمصدر وحيد للنشاط الاقتصادي، وتنقل زمام المبادرة من القطاع العام إلى القطاع الخاص، الأمر الذي يحفز رؤوس الأموال الكويتية للعودة والمساهمة في تغيير المعالم الأساسية لهذا الاقتصاد، ولضمان ذلك يجب إتاحة المجال لرؤوس الأموال الكويتية للاستثمار في القطاع النفطي والمساهمة في مشاريع التطوير والاستكشافات. كما يتطلب الأمر النظر بجدية لخصخصة بعض مستويات القطاع النفطي كالمستويات الدنيا من توزيع ونقل وتكرير، وإعادة هيكلة القطاع النفطي ليصبح جزءاً حيوياً من الاقتصاد العالمي يستند إلى القطاع الخاص في تعامله مع العالم.

ولاشك أن إعادة الهيكلة للاقتصاد الكويتي تمثل العلاج المنطقي لبعض المشاكل التي يعاني منها الآن مثل العجز في الموازنة إذ أنها ستخلق مجالات للعمل في القطاع الخاص تستقطب نسبة كبيرة من العمالة الكويتية التي تمثل عبئاً كبيراً على الموازنة، مع شيوع البطالة المقنعة التي لا تضيف إلى الناتج القومي، كما أن «تدويل» الاقتصاد الوطني سيتيح المجال لدخول التكنولوجيا المتقدمة في النشاط الاقتصادي، مما ينعكس على الإنتاجية ومعدلات النمو، ومع ذلك فإن إعادة الهيكلة تعد مهمة معقدة وتحتاج إلى توافر سياسة اقتصادية واضحة في الأجل القصير تستند إلى خطة للنمو الاقتصادي، تعتمد فلسفة اقتصادية تختلف عن تلك التي سادت منذ السبعينات.

أنوثتي... ويديك

تتشكّلُ أنوثتي على يَدَيكْ..
كما يتشكّلُ شهرُ ابريلْ
شجرةً شجرة..
عصفوراً عصفوراً..
قُرنفُلةً قُرنفُلة..
وكلما أحببْتني أكثرْ
واهتممتَ بيَ أكثرْ
تزدادُ غاباتي أوراقاً
وتزداد هضابي ارتفاعاً
وتزداد شفتاي اكتنازاً
ويزداد شعري جنوناً...

على يَدَيكْ
أكتشفُ للمرّةِ الأولى
جغرافيّةَ جسدي.
تلّةً تلّة
ينبوعاً ينبوعاً..
سحابةً سحابة..
رابيةً رابية..

إني مَدينَةٌ لكْ
بكل لَوزي..
وخوخي
وتُفّاحي
مدينةٌ لكْ
بكل هذا التنوُّعِ في أقاليمي
وكل هذه الحلاوةِ في فاكهتي..

مدينةٌ لكْ
بكل حبّةِ قمحٍ تَنبُتُ في أجفاني
وبكل لؤلؤةٍ خرافيّة

تطلعُ من خُلْجاتي..
تتشكّلُ أنوثتي على يَدَيكْ
كما يتشكّلُ قوسُ قُزَحْ :
بُقْعةً خضراءْ.
بُقعةً زرقاءْ.
بُقعةً بُرتُقاليّة.
وعندما تنتهي من رسمي
أخرجُ من بين شفَتَيكْ..
مُبلّلةً كوردةْ.. وشفافةً كقصيدةْ...

على يَدَيكْ
أدخلُ دائرةَ الحضارةْ.
وأتربّى على وسائد حنانِكَ
كقطّةٍ تركيّةٍ مدلّلةْ..
تنامُ طولَ النهارْ
وتختبئُ بين ذراعيكَ، طولَ الليلْ
وترفضُ الخروجَ إلى الشارعْ
حتى لا تدخلَ في علاقاتٍ عاطفيّةْ
مع القططِ الأخرى..
فتفقدَ دَمَها الأزرقْ..
وسلالتها الملكيّةْ.. وحقَّ الإقامةِ لديكْ!!

عنوان القصيدة الأصلي «قصيدة حب ٢»
من مجموعة «قصائد حب»

مشروع قديم مع أم كلثوم وعبدالحليم

«سعاد الصباح» ليست صوتاً شعرياً فحسب، إنها فعل ثقافي وسياسي وإنساني يفرض سطوته على المنطقة العربية.

لم تكن مسيرتها مفروشة بالورود.. فالحزن الذي تعتبره «أروع الأصدقاء» لم يفارقها منذ الصغر.. رغم الابتسامة الرقيقة التي تواجه بها الجميع، والكلمات المرحة التي لا تتخلى عنها.

فقدت الأبوين مبكراً ثم الابن «مبارك» وبعد ذلك الزوج.

أما على المستوى الأدبي فلم تهدأ يوماً محاولات النيل منها بكافة الأشكال والطرق، اعتبروا «المال» تهمة ضدها، وقالوا عن «صدقها وصراحتها» في طرح قضاياها بأنه: تمرد على المألوف، وخروج عن التقاليد!

فترد:

وأضحك.. أضحك من كل هذا الهراء!

في لقائها هذا تتحدث ببساطة، تقول: إن الزمن تغير وقناعاتي تغيرت.

ثم نجول معها في نشاطاتها التي لا تهدأ على مختلف الأطراف: وكتابتها عن الجسد وأحب الأسماء إليها، وقضايا أخرى ستظل ساخنة إلى الأبد. وأشياء أخرى أجابت عنها د. «سعاد» في زحمة أعمالها التي تحتاج إلى أكثر من «٢٤» ساعة في اليوم كي تنفذها.

■ هل يحتاج الشاعر لمثل هذه اللقاءات الصحفية كي يقول ما يريد، أم أنها شيء مفروض، وواجب عليه تأديته؟

- يحتاج كل مبدع إلى إعلان الذات، سواء من خلال النتائج أو من خلال التعريف بما أعطى ويعطي.

والصحافة نافذة الضوء التي يطل منها الشاعر ليقول كلمته، شعرية أو غير شعرية، كما هو الحال في اللقاءات.

إن الشاعر يتحول إلى شخص مملوك لقارئه، ولذلك يكون من حق جمهوره عليه أن يحدثه ويعرّفه بذاته ويقول له ما لم تقله القصيدة، أو ما لم يسمح الشعر بإعلانه.

■ ماذا تفضلين أن نقول لك: د. سعاد، أم الشاعرة سعاد، أم الشيخة.. أو «أم مبارك»؟

- كل الأسماء توصلنا إلى «روما» وأحبّها إلى القلب «أم مبارك»، لأنها تحمل أعظم معاني حياة المرأة: «الأمومة» ولمن؟ لاسم محفور في شرايين العمر.

■ يتهمونك بالتجاوز في الكتابة عن الجسد في بعض قصائدك.. خاصة في مجموعتك «قصائد حب»، بماذا تردين وأنت امرأة؟

- إذا لم يقل الشاعر كل ما يحس به ويتفجر في أعماقه قيل إنه يكذب وإذا قال الحقيقة قيل فيه: لقد تجاوز الحدود، أنا يا سيدي «امرأة بلا سواحل» ومشاعري مسكوبة كلمات دافقة دون مواربة.

«كوني امرأة»؟!

أليس هذا هو الاعتراف العلني بالميز العنصري، أي لو أنني كنت رجلا لجاز لي ما لا يجوز لي اليوم. دعني أضيف أن حديث الحب، بكل أجزائه هو «التابو»/ الحرام، جريمة تحاسب عليها الأنثى، لكنني لا أعبأ بالعواصف الرملية، فقد تجاوزت خطوط الحسابات هذه من زمن بعيد.

● تكتبين المقالة السياسية والاقتصادية بصفتك متخصصة في المجال الاقتصادي، وعارفة بالنواحي السياسية، فما مدى حبك لهذا المجال.. وأنت الشاعرة؟

- أكتب فيما أحس أنه التعبير عن نفسي وفي حالات أحس أن من واجبي ذلك بياناً للحقيقة، كما أراها، ودعوة إلى اتباع ما أحسبه الحق.

■ أنت بعيدة عن المشاركات الأدبية.. لا نرى لك حضورا في صفحات الثقافة إلا من خلال القصيدة وهذا قليلاً مايحدث. ولا نقرأ لك مشاركات في البحث الأدبي سواء في المقالة أو المحاضرة إلا نادراً، رغم قدرتك الفائقة على التحليل والربط.. وحديثك الشاعري الشيق؟!

- اسألوا الوقت.

أولا: اليوم يتشكل من أربع وعشرين ساعة فقط، بالكاد تكفي لأداء ما أمارسه من نشاط واجب تجاه بيتي وعملي الذي اخترته طريقاً للإسهام في خدمة وطني.

وثانياً: الأدب العربي ليس مجال تخصصي حتى أقدم الأبحاث والمحاضرات.. أكتب في تخصصي الاقتصاد والسياسة.. وما عدا ذلك فهو ثقافة عامة.

■ لو أتيح لك أن ترشحي نفسك لعضوية مجلس الأمة.. هل ستفعلين ذلك؟

- لم يخطر في بالي تسلمي لأي منصب سياسي، لكل منا دوره وقد حددت دوري باختيار وأنا موفقة ومكتفية به، شاكرة الله كل ما أعطاني.

السؤال المعاد

■ ما هو السؤال الذي يطرح عليك باستمرار وتشعرين تجاهه بالانزعاج؟

- ليس هناك من سؤال أكره الإجابة عليه، ولكن بعض الأسئلة يتكرر إلى حد يجعلني أتساءل إن كان صاحبها لا يقرأ، وإلا فما معنى أن يعاد طرح السؤال عليك مئة مرة، وكأنما يريد السائل منك جواباً مختلفاً في كل لقاء عن السؤال الواحد المعاد؟

■ ما هو الموضوع الذي تحبين التحدث عنه في كل لقاء؟

- أحب أن أتحدث ولو ملكت دون انقطاع عن بلدي، وعن أسرتي، وعن مرحلة عمري مع رفيق العمر الذي غاب عن العين، الساكن في القلب.

أريد أن أتحدث عن الكويت وما يجب علينا جميعاً تجاهها، وما هو ممكن فعله من أجلها.

أليس من حق الكويت علينا أن نعيد سؤال أنفسنا: ماذا أعطينا، بدل الغرق في حساب ماذا أخذنا فقط؟

■ كثيراً ما تعبّرين عن مشاعر الاضطهاد التي يفرضها الرجل على المرأة الشرقية، هل تعتبرين نفسك لسان حال المرأة.. أم أن تجربة شخصية تختفي وراء هذه القصائد؟ نسأل عن ذلك.. ونحن نعلم مدى الحرية والاحترام الذي لقيته د. سعاد في بيت أبيها أولاً ثم في بيت زوجها الراحل الشيخ «عبدالله المبارك» رحمه الله؟

- ليس الشاعر في تجربته رهين المعاناة الشخصية ولا هو أسير خلف جدرانها. إن الدفاع عن حقوق المرأة وحريتها لا ينبع عندي من تجربة فردية، ولكنه الإحساس بالمناخ العام وبجراح المرأة في عالمنا العربي، وهو ما أقاومه وأدعو إلى التصدي له شعرا وإسهاماً نشطا في معركة المرأة لاسترداد

حقوقها. لقد ذهبت إلى مؤتمر بكين، بدعوة خاصة من الأمين العام للأمم المتحدة وجهها لكل من هيلاري كلينتون، وحرم الرئيس الفرنسي «شيراك» ورئيسة جمهورية آيسلندا، والسيدة الأولى لأوغندا، وأنا، وهذا شرف ما كان يتاح لي لولا الجهد المستمر في الدفاع عن حقوق الإنسان في الوطن العربي والدفاع عن حقوق وعقل المرأة العربية.

شريان الأحزان

■ وأنت الإنسانة التي خصك الله بفضله.. وأعطاك قدراً في المكان والمكانة بين أبناء الوطن. لماذا يخيل إلينا أننا نرى طيفاً من الحزن الشفيف يرتسم على ملامح وجهك.. وفي نبرات صوتك؟

- الحزن أروع الأصدقاء، وبقدر ما كانت عناية الله كبيرة ونعمه جليلة، فإن ذلك لا يحمي المخلوق من لحظات الكسر، لا تنسى أنني فقدت الوالدين في سن مبكرة من عمري وعندما كنت في أوج الفرح والسعادة غاب عن حياتي بكرها «مبارك» في لحظة مأساوية تشبه حكايات الدراما الإغريقية، كذلك فإن تحسسي العميق بجراح أمتي يضيف إليّ زاد الأحزان في كل صباح قطرة علقم، وجاء خنجر الثاني من آب ليفتح في عمري بوابة عميقة للحزن، فإذا كان الفرج بالتحرير هاجمني غول الغياب من جديد برحيل صديقي وزوجي ومعلمي «الشيخ عبدالله» وترك في حياتي شريناً مفتوحاً لنزف الأحزان:

حزني الخاص وحزني العام، حتى أنني لا أعرف الحدود بيني وبين وطني لأنها متداخله.

■ بعد رحيل «آخر السيوف».. هل من سيف جديد يواصل المسيرة، تعلق عليه د. سعاد آمالها؟

- روعة الحياة أن تعود وتستمر من جديد، عبر الأبناء والأحفاد، في مسيرة لا تتوقف، «عبدالله المبارك» موجود في ولديه «محمد ومبارك» وسوف نظل نحمل سيفه مدافعين عن عزة الوطن وكبرياء البيت الذي ننتمي إليه.

■ لماذا التعاون الغنائي في هذه الفترة تحديداً، ولمَ لمْ يكن منذ زمن طويل.. هل أصبحتِ أكثر إيماناً بأن القصيدة لا تصل كما يريد لها الشاعر.. إلا عندما تُغنّى؟

- لكل عمل زمان، وقد شهدت ساحة الأغنية العربية اهتماماً متزايداً بالشعر الجيد، مما جعل كبار الملحنين يبحثون عن القصيدة التي تعبر عن حالات متنوعة في حياتنا. لقد سحب الملحنون الأعزاء بساط السحر من بين أصابعي بما اختاروه من قصائدي ولم أسع وراء انتشار الشعر من خلال الأغنية، وإن كنت أسعد بذلك كثيرا، في بداياتي كنت خجولة ورومانسية، رغم أن الصديقة «أم كلثوم» طلبت مني بعض قصائد ديوان «أمنية» وكذلك الصديق «عبدالحليم حافظ» ولكنني لم أستوعب أن تكون لي قصيدة مغناة.الزمن تغير. وقناعاتي تغيّرت.

■ أين كانت تختبئ «كن صديقي» كل هذا الوقت.. هل كانت تنتظر عقلاً نافذاً وصوتاً رائعاً، وفهماً ذكياً لا يليق إلا بـ «ماجدة الرومي»؟

- أشعر حين أشاهد «كن صديقي» أو أستمع إليها مغناة على الكاسيت أن صوت الفنانة المبدعة السيدة «ماجدة الرومي» يأخذني معه إلى عالم غير ملوث، في بعض لقطات الشريط التلفزيوني أكاد

أرى تقاطيع وجهي في تعبيرات وجهها. «ماجدة الرومي» لم تنشد «كن صديقي» وحسب لقد أعطتها شهادة ميلاد جديدة وكتبت القصيدة مرة أخرى بصوتها.

■ **بالإضافة إلى «كن صديقي» هناك تجربة «نحن باقون هنا» الرائعة التي كانت صوتاً ارتبط به الكويتيون أثناء أزمة الاحتلال. ولكن الإعلام قاطعها.. هل من توضيح؟**

- اسأل الإعلام، فأنا لا أرى في هذه القصيدة إلا أنها قصيدة وطنية تحرك وجدان المواطن، فهذه القصيدة جزء مني، شعرت وأنا أكتبها أنها جزء من كل كويتي ومقيم لما فيها من الانتماء والولاء للوطن.

«هذه الأرض هي الأم التي ترضعنا،
وهي الخيمة والمعطف والملجأ والثوب الذي يسترنا..».

مشكلة «نوال»

■ **هل تشعرين بحمية تجاه الفن.. مما دعاك لحل مشكلة المطربة «نوال» مع التلفزيون والإذاعة.. وما رأيك بهذه الفنانة؟**

- المسألة هي القناعة برفض الظلم، سواء كان الضحية فناناً أو كاتباً أو ملحناً، أو إنساناً من بسطاء الناس.

والمطربة «نوال» صوت له مساحة واسعة من المعجبين والمعجبات في منطقتنا وأنا منهن.

■ **في الأغنية الكويتية يبرز صوت متميز ولحن ناجح.. ولكن الكلمات رتيبة غالباً.. هكذا يرى عدد من النقاد.. هل ترين ذلك أيضاً؟**

- هذا صحيح، ويعود إلى أن حياتنا العامة تفتقر إلى الحيوية المتولدة من تنوع النشاطات وتعددها. حياتنا كما تعرف تقتلها النمطية التي بلغت حدا يجعل كل واحد منا يعرف ماذا يفعل الآخر في هذه الساعة. كما أن اهتمامنا بتثقيف أنفسنا والانفتاح على مناحي النشاط الأخرى وتجارب الآخرين، أقل مما نحتاج إليه وما يجب الاهتمام به. إن تثقيف الذات وإدخال التنوع في حياتنا ضرورة للعطاء الجديد، وإنني أعرف من تجربتي الشخصية أن القراءة والسفر والتعامل مع الإنسان يشكل نبعاً لإغناء التجربة والكلمة الشعرية.

■ **من يعجبك من شعراء وشاعرات الشعر العامي؟**

- كل من يكتب قصيدة جميلة تحرك وجداني.

■ **ومن يلفت انتباهك من الكتاب الشباب في الكويت: في الشعر، في القصة.. أو سواهما؟**

- كل من يكتب نصاً متميزاً.

من يكتب نصاً جديداً متميزاً ومدهشاً هو الذي يدهشني، فالدهشة في النص هي الأساس في تقييم الأثر الإبداعي.

الأدب النسائي

■ **ربما تكون حكاية الكتابة النسائية أو الأدب النسائي حكاية مستهلكة.. ولكن: ألا ترين نَفَساً**

خاصاً يميز المرأة الكاتبة.. يعتمد على البوح التلقائي الصادق، البعيد عن التصنع؟

- صدقاً لا أحس بالفارق في الكتابة بين أن يكون القلم ذكورياً أو نسائياً، ما يحدد القيمة هو المضمون والأسلوب. كلاهما يمنحان العمل قدرة بصرف النظر عن جنس الكاتب.

■ **متى يحين الوقت لكتابة مذكراتك.. ولو حدث أن كتبتِها.. ماذا سيكون محورها؟**

- يسجل الإنسان مذكراته حين يعتقد أن نشرها مفيد في خدمة مجتمعه، وبعد أن يكون قد أعطى أقصى ما عنده، وأنا لا أشعر أنني أعطيت إلى هذا الحد بعد، وحين أكتب فإن حياتي في إطار بيتي ووطني وتجربتي الإنسانية في شموليتها هي التي ستكون المحور الطبيعي لمذكراتي.

■ **أوقفت دار «سعاد الصباح» طباعة الكتب بعد أن تبنت المواهب الشابة.. لماذا؟**

- لقد خصصت جوائز الشيخ «عبدالله المبارك» وجوائز «سعاد الصباح» لتشجيع الإبداع العلمي والأدبي والفكري لدى الشباب العربي، ومازالت هذه الجوائز مستمرة كل عام، ولم تتوقف حتى عند غزو الكويت، لأنه عمل ثقافي تنويري في صالح الكويت. منذ أيام صدرت ست كتب لمبدعين شبان فازوا بالجوائز العام المنصرم، وخلال أيام سوف تعلن دار سعاد الصباح عن مسابقات السنة الجديدة، مما يؤكد استمرارية دعمنا لمشروعنا الثقافي في إفساح المجال أمام المواهب الشابة.

الإدارة غير المتلزمة

■ **تحدثوا كثيراً عن الإدارة السيئة التي حدثت لدار سعاد الصباح في القاهرة عند إنشائها.. من حيث تدني مستوى الكتب المختارة، وضياع بعض المؤلفات، وإعادة طباعة كتب قديمة على أنها جديدة.. ونذكر منها على سبيل المثال:**

«الجنوبي» لعبلة الرويني الذي صدر في الثمانينات.. وأعيدت طباعته في الدار على أنه طبعة أولى..؟!!

- لكل تجربة فنية أخطاء لابد من الاعتراف بها، والإدارة في كل مشروع هي من أهم أسباب نجاحه..

ومتى كانت الإدارة غير ملتزمة، فلابد من الدخول في نفق الأخطاء، ولكننا لا ننسى أن الدار أنتجت كتباً متميزة.

مجلة المختلف. العدد ٥٢. نوفمبر ١٩٩٥

نحنُ باقُونَ هُنا..

1

نحنُ باقُونَ هُنا..
نحنُ باقونَ هُنا..
هذهِ الأرضُ من الماءِ إلى الماءِ.. لَنَا
ومن القلبِ إلى القلبِ.. لَنَا
ومن الآهِ إلى الآهِ... لَنَا
كلُّ دِبُّوسٍ إذا ادْمَى بلادي
هُوَ في قلبي أنا

2

نحنُ باقونَ هُنا
هذهِ الأرضُ هي الأمُّ التي تُرْضِعُنا
وهَي الخَيْمةُ، والمِعْطَفُ، والملجَأُ،
والثوبُ الذي يَسْتُرُنا
وهي السقفُ الذي نأوي إليهِ
وهي الصدرُ الذي يُدْفِئُنا..
وهي الحرفُ الذي نكتبُهُ.
وهي الشعرُ الذي يكتبنا
كلما هم أطلقوا سهما عليها
غاصَ في قلبي أنا..

3

سندباد كانَ بَحاراً خليجياً عظيماً.. من هُنا
والذين اشتركوا في رحلةِ الأحلامِ، هم أولادُنا
والمجاديفُ التي شقتْ جبالَ الموجِ كانتْ من هُنا..
إننا نعرفُ هذا البحرَ جداً.. مثلما يعرِفُنا..

فعلى أمواجهِ الزرقِ وُلِدْنا
ومعَ الأسماكِ في البحرِ سَبَحْنَا
ومعَ الصبيانِ في الحي... لعبنَا... وسهرنَا...
وعشِقنَا...

4

هذهِ الأرضُ التي تُدعى الكُويتْ
هبةُ اللهِ إلينا...
وبناءُ الأبِ والأمِّ علينا..
كم زرعنا أرضَها نخلاً وشِعْرا
كم شردنا في بواديها صغاراً
ونَخَلْنَا نخلَها شِبْراً فشِبْراً
وعلى بِلَّوْرِ عينيها جلسنا نتمرَّى

5

هذهِ الأرضُ التي تُدعى الكُويتْ
بَيْدَرُ القمحِ الذي يُطْعِمُنا...
نِعْمَةُ الربِّ الذي كَرَّمَنَا
ويدُ اللهِ التي تحرُسنا
قد عرفنا ألفَ حُبٍّ قَبْلَها..
وعرفنا ألفَ حُبٍّ بَعْدَها..
غيرَ أنَّا
ما وجدنا امرأةً أكثرَ سِحْرا
ما وجدنا وطناً
أكثرَ تحناناً، ولا أرحمَ صدرا
هذهِ الأرضُ التي تُدعى الكُويتْ

هي منّا... ولنا
كلُّ دبّوسٍ إذا أوجعَها.. هو في قلبي أنا..

6

هذه الأرضُ التي تُدعى الكُويتْ
نحنُ معجونونَ في ذرّاتها
نحنُ هذا اللؤلؤُ المخبوءُ في أعماقها
نحنُ هذا البَلَحُ الأحمرُ في نَخْلاتها
نحنُ هذا القَمَرُ الغافي على شُرُفاتها
هذه الأرضُ التي تُدعى الكويت..
هي عطرٌ مُبْحِرٌ في دمنا
ومنارات أضاءتْ غدَنا
وهي قلبٌ آخرٌ في قلبِنَا.

7

الكويتيُّون باقُون هُنا
الكويتيون باقُون هُنا
وجميعُ العرب الأشراف باقون هنا
الكويتيُونَ باسم الله... باسم السيفِ
باسم الأرضِ، والأطفالِ، والتاريخِ
باقُون هُنا
تَلْثُمُ الثغرَ الذي يلثمنا
نقطةُ الكفِّ التي تضربُنا

من ديوان «برقيات عاجلة إلى وطني» ص ٢٧ . ٣٤ الهيئة
المصرية العامة للكتاب . الطبعة الأولى ١٩٩٠

قد كانَ بوسعي مثلَ جميع نساءِ
الأرضِ معزلةُ المرآةْ

قبل أن ألتقيتها كنت مقتنعاً بأن سعاد الصباح هي شاعرة استثنائية فلما التقيتها وحادثتها أيقنت أنها امرأة استثنائية.

امرأة استثنائية في شجاعتها، وفي تمردها، وفي رفضها.

واستثنائية في طموحها المشروع لأن تحيا أيامها كما يحلو لها العيش، لا وفق ما تقرره قواعد البروتوكول، وأن تتكل على سجية اللسان لا كما يرسمه معجم الخليفة.

استثنائية في قرارها الحازم بالخروج من عصر الحريم والدخول في عصر العلم وتحديداً علم الاقتصاد الذي هو في جوهر العلوم قديمها وحديثها. مثلما هو في جوهر النُظُم والممالك من عصر نوح إلى زمان بيل كلينتون.

في مكتبها بالطابق العاشر من بناية الكويتية بمنطقة الصفاة من مدينة الكويت، تتولى الدكتورة سعاد الصباح، بجدارة رجال الاعمال إدارة «مكتب الاستشارات العملية».

وبخبرة المختصين تتولى إعطاء المشورة والدراسات والتصاميم للقاصدين، وجلّهم يمثلون البيوتات الصناعية والتجارية والمالية.

ودونما عناء فإن الزائر يتلمس الموقع العلمي الذي تحتله هذه الأميرة، التي خرجت على تقاليد البلاط وطقوسه، وقرّرت أن تعيش بين الأرقام والمعادلات والملفات وآلات الكمبيوتر التي تملأ المكان الفسيح. حتى إذا دخلت على سيدة المكان مكتبها، يتهلل الوجه الأسمر الجميل بابتسامة مشرقة، وتبلغ مسامعك عبارة ترحيب مقتضبة.. بيد أنها شاسعة وعميقة بما تحمله من معانٍ وأمارات تفضي مناخاً دافئاً من الأمان والثقة.

تحار في حديثك معها، من أين تبدأ وكيف، ومن أي الجهات ستدخل فيه.. أمِنْ باب الشعر أم من جهة الاقتصاد، ام من بوابة السياسة؟ وأنت تعلم أن للسيدة التي تواجهها موقعاً مميزاً في الاطر الثلاثة مكانةً ورأياً وبياناً.

عن الشعر والاقتصاد وموقع الانسان فيهما تقول:

- موقع الانسان فيهما متصل وجوداً ولا فراق. الحياة لم تكن ولن تكون ورقة بصفحة واحدة، لكل ورقة صفحتان، والإنسان بالتكوين ورقة بألف صفحة، منها الاقتصاد والعلم ومنها الإيمان والبيئة واللغة والتاريخ.

وعن موقعها هي بينهما، وموقعهما منها تضيف:

درست الاقتصاد لأنني أؤمن بالجانب العملي في الحياة. والاقتصاد ركيزة وجود، أما الشعر فقد كان منّةَ الله عليّ، ولم أطارده بقدر ما كانت حياتي ضحية رائعة لعطائه. في عمقي الاقتصاد كما السياسة نهاري، أما الشعر فهو ليلي الجميل الغارق بالنجوم وبالغيوم وبالأحلام. كان الشعر ويبقى نافذة روحي على الدنيا ومنتشلي من غبار العذاب.

موقع هذا وذاك مني يحدده موقعي معهما، وما أنا الفريدة في أمرها، الاقتصاد دراسة وقراراً هو الفعل اليومي، والشعر هو الفعل المرصود بجنيّات اللحظة.

وعن مراحل دارستها، وتطور آرائها وأبحاثها الاقتصادية، قياساً على حركة تطور مسارها الشعري، فإنها تقول:

- أنهيت دراستي الجامعية الأولى في القاهرة عام ١٩٧٣ واستغرقتني الحياة، وحزن كبير يذبح، فما عدت الى الصف إلا متأخرة، آرائي الاقتصادية تتماشى مع التطور في عالم متسارع الخطو، متبدل المعطيات، أحاول فيه ما استطعت التوازن بين قناعات ولدت وبين واقع يبدّل الكثير، حتى مما كنه نحسبه متألقاً.

أما اختياري لدرجة الزمالة في جامعة أوكسفورد، وقد كان بالنسبة لي حدثاً رائعاً وجليلاً، فالإسهام مستمر في البحث والدراسة والتأليف عبّرت عنه في مئات المقالات وأكثر من ستة كتب حتى الآن، ودراسات اقتصادية ومشاركة في ندوات ومحاضرات.

وحين سألتها:

- بالعودة إلى الشعر.. يسجل لك تفوق وتمايز في مستوى الاداء حين تكتبين الشعر الحر. هل توافقين على هذا الرأي؟

أجابت:

اترك ذلك للقارئ وللناقد. أنا اجد نفسي في كل ما اكتب، وبعضه لم يجد دربه الى النشر بعد. إن الشعر هو الذي يكتبني قلت هذا وأعيد. يالهذا الملاك الذي ظلموه بالقول إنه شيطان كيف يأخذنا إلى عالمه طائعين وفرحين، كأطفال العيد، ثم يضعنا أمام أنفسنا مجردين إلا من الصدق، وما للصدق شكل وحيد.

وعن سؤال يقول:

- قصيدة النثر التي أطلت شاسعة المساحة والإبداع معاً في مجموعتيك الأخيرتين: «في البدء كانت الانثى» و «قصائد حب» هي البحيرة التي صبَّ فيها نتاجك الشعري الذي انبثق مع النبع عمودياً وترقرق قبل المصب حُراً.

هل هذه البحيرة هي مستقر انسياب النهر وتدفقه؟

وبمعنى أوضح هل تتوقفين عند نموذج قصيدة النثر التي طبعت هاتين المجموعتين أم تتوقعين آفاقاً أخرى؟

أجابت د. سعاد الصباح قائلة:

- للماء لون واحد هو لون الماء. للماء طعم واحد هو طعم الماء. للماء رائحة واحدة هي رائحة الماء. من قال أن لا لون ولا طعم ولا رائحة للماء؟.. الماء مولود في بحر. أما أنا فقد ولدت في وطن يشكل الماء فيه أمنية ونشيد حلم. لذلك فإن للماء عندي لوناً وطعماً ورائحة واحدة هي للشعر وحده. قد يتغير الكأس الذي يلمّ حبات الماء، وتتغير الصيغة التي تلمّ كلماتي ولكن الماء يبقى هو الماء والشعر هو الشعر. لعل من الطيب أن أذكر أن واحدة من أجمل ما كتبت من القصائد كانت «آخر السيوف» بعد «في البدء كانت الأنثى» وقبل «قصائد حب» وكانت قصيدة عمودية. دعونا من النهايات المهم الشعر.

وسألتها:

■ **للكويت في شعرك وفي نثرك كتاب عظيم، عظيم بمساحته، وعظيم بطقوسه ورموزه وانفعالاته ومشاهده ولوحاته.**

كيف تنظرين الى الكويت من موقع الشاعرة؟ ومن موقع المواطنة؟ ومن موقع الباحثة في علم الاقتصاد؟

جـ ـ من كل موقع أرى الكويت واحدة: الوطن الذي يبحث عن حياة أفضل وقيم أسمى وفعل وجود أعظم. الوطن الذي يبني حلمه الكبير لإنسان يأخذ بالحضارة لا بالقشور. يأخذ بالعلم لا بالوهم. يأخذ بالحرية لا بالكبت. يأخذ بالمحبة إنسانه لا بالحقد..

هذه هي الكويت التي بها أحلم ومن أجلها أعمل ولغدها المشرق أبقى في خندق القتال.

■ **في عطائك تنوع: الشعر، البحث والمشورة في الاقتصاد، تشجيع حركة التنمية الثقافية عبر دار النشر والجائزة.**

ما دوافعك الحقيقية في كل ذلك، مع العلم أنه كان بوسعك أن لا تكوني أنثى ٢٠٠٠؟

ـ لو كنت غير أنا لما كنت نفسي.. أجد في العطاء والنضال والمحبة والكلمة وجودي فهل تكون هناك دوافع أسمى وأعظم من أن يحقق الإنسان ذاته؟ «قدّر لا بوسعي أن أبقى»... لن أكمل.. في كل شعري إنسان واحد يجده من يقرأ فإذا بحث عني كنت هناك بين فواصل الكلمات عنواناً.

■ **في ظل محادثات التسوية، كيف تنظرين الى مستقبل الاقتصاد في الوطن العربي، إذا قامت تسوية شاملة وعادلة؟**

ـ من الصعب التكهن بمستقبل الاقتصاد العربي في ظل التسوية، خاصة حين يحددها الوصف «شاملة عادلة». مامن تسوية في الدنيا كانت عادلة إذا لم تمنح صاحب الحق كل حقه. ثم إلى أين تذهب الخطى بالسائرين على دروب التسوية، وهل تكون شاملة أو هل تكون عادلة. إنني أريد السلام والأمان لأمتي، ولكن القرار ليس من صنعنا نحن، فلننتظر لنرى إلى أين ينتهي بنا الطريق.

■ **وكيف تنظرين إلى المشهد الشعري العربي؟**

ـ سوف يكون مدهشاً! أليس كذلك؟ هناك لغة جديدة يريدون أن نكتب بها. هناك أحلام وعقائد ورؤى تدوس عليها سنابك خيل عرجاء. أي شعر أيها السادة؟ حين تقول لي هذا هو الوطن يكون هناك الشعر. حين تقول لي: إنه النصر، أقول لك إنه الشعر. غير ذلك دعني أعود إلى موقع الأنثى فلا أسمّي .

■ **وماذا عن مستقبل الحلم العربي؟**

ـ أخشى أنني لم أعد أسمع الكلمات جيداً. تسألني عن الحلم العربي. اسألوني عن الكابوس فذلك هو الأكثر صدقاً وأمانة. لم يبق من الحلم العربي سوى شواهد الشهداء وقوافل المعذبين. ارحمونا بألا تذكّرونا بالكلمة: «الحلم»، لأنني أخشى أن نفيق على كابوس العدم، كما ننام على حافته اليوم.

بعد هذا الذي قرأناه من أقوالها، هل تراني بعيداً في رسم صورة هذه السيدة؟ حينما زعمت أنها أمرأة استثنائية تخلت باختيارها عن التاج والصولجان، وآثرت العلم والشعر، فخانت بذلك قوانين الأنثى:

قد كانَ بوسعي
مثلَ جميعِ نساءِ الأرضِ
مُغازلةُ المرآةْ
قد كانَ بوسعي
أن أحتسي القهوةَ في دفءِ فراشي
وأُمارسَ تَرْتَرتي في الهاتفِ
دونَ شعورٍ بالأيامِ... وبالساعاتْ...؟؟

من قصيدة «أنثى ٢٠٠٠»

● فضل الأمين. من كتاب «شاعرة الانتماء الحميم» الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٤

حماقات

طالما طَرَحْتُ على نَفْسي
أسئلةً طُفُولِيَّةً لا جَوابَ لها:
هل أنا حبيبتُكْ؟
أم أنا أمُّكْ؟
هل أنا مليكتُكْ؟
أم أنا مملوكتُكْ؟
هل أنا أنا؟
أم أنا أنت؟؟
إنَّ الأمومةَ في داخلي
تطغى على جميعِ العواطفِ الأخرى
فلماذا أخافُ عليكَ كلَّ هذا الخوفْ؟
لماذا أُمِدُّ يدي بحركةٍ تلقائيَّةْ؟
لوضعِ شالِ الصوفِ على رقبتِكْ..
وإقفالِ أزرارِ معطفِكَ الجلديِّ...
قبلَ أن تخرجَ إلى الشارعْ؟
لماذا كلَّما ذهبتُ إلى «خانِ الخليليِّ»
أشتري لكَ كلَّ التعاويذِ الفرعونيَّةْ
وكلَّ الحجاباتِ الشَّعبيَّةْ.. التي تَرُدُّ عنكَ
تَعْهيرَ الشتاءْ.. وصقيعَ الأعينِ الزرقاءْ؟..
إنَّ إحساسَ الأمومةِ نحوكْ
يدفعُني إلى ارتكابِ حماقاتٍ
لا تتناسبُ معَ وقاري
ففي بعضِ لحظاتِ التجلِّي
يخطرُ لي أن أقُصَّ لكَ أظافركْ...
وفي بعضِ لحظاتِ الوَلَهْ
يخطرُ لي أن أُجَفِّفَ شعرَكْ
وأنتَ بينَ يدَيَّ..
مُسْتَسْلِمٌ كحمامةْ.
وفي بعضِ لحظاتِ الانخطافْ
أحملُ لكَ زجاجةَ «الشامبو»..
وأنتظرْ... حتى أعطيكَ الشُّعورْ
بأنَّكَ أحدُ الأباطرةْ..
وفي بعضِ لحظاتِ الجنونِ
يخطرُ لي أن أقبِّلَكَ ووجهَكَ..
مغطّى بصابونِ الحلاقةِ
وفي بعضِ لحظاتِ الواقعيَّةِ الاشتراكيَّةْ
أستعملُ معجونَ أسنانكَ..
حتى أُشْعِرَكَ.. أن فمي وفمَكْ..
مزرعةٌ تعاونيَّةٌ واحدةْ...
أيُّها الديكتاتورُ الصغيرْ
الذي يستعملُ بذكاءٍ
حَنانِي.. ونقاطَ ضَعْفي
أيُّها الطفلُ السادِيُّ الذي يلعبُ بأعصابي.
كما يلعبُ بطيارةٍ من ورقْ..
أيُّها الطفلُ الفوضويُّ
الذي عذَّبني كثيراً
إنني لن أعاقبَكَ على الأواني التي كَسَرْتَها..
وعلى الستائرِ التي أحْرَقْتَها..
وعلى قطَّةِ البيتِ التي خَنَقْتَها..
إنني لا ألومُكَ.. على كلِّ هذا الخرابِ الجميلْ
الذي أحدثْتُهُ في حياتي
ولَكِنني... ألومُ أمومتي!!!

* عنوان القصيدة الأصلي «قصيدة حب ٤» من مجموعة «قصائد حب».

كم غيرتني الحرب ياصديقي..
كم غيرت أنوثتي

● **من أنت؟**

- أيها السيد.. إني امرأة نفطية تطلع كالخنجر من تحت الرمال.. تتحدى كتب التنجيم، والسحر.. وأشباه الرجال..

يا صديقي:

إن عصر النفط ما لوّثني

لا ولا زعزع بالله اقتناعي

أنت لو فتشت في أعماق روحي

لوجدت اللؤلؤ الأسود

مزروعاً بقناعي..

● **لديك الشهرة والشعر والمال.. وماذا أيضاً؟**

- الإنسان ليس موقعاً اجتماعياً، أو لقباً عائلياً، أو رصيداً مالياً.. وإنما هو الحنين الدائم للخروج من مملكة التراب.. إلى مملكة الضوء.. الإنسان هو هدفي الأسمى وهو دائرة الضوء في حياتي.. فعلى سجادة الإنسانية الخضراء أتمدد وأجد نفسي.. أقاسم الإنسان دمعته.. ويردّ صوتي صدى ضحكته.. صديقي الإنسان هو غايتي.. وهو عنواني الدائم..

● **وماذا ينقصك؟**

- أمي، وأبي وزوجي..

● **ما هو سر نجاحك؟**

- الصدق والشجاعة.

● **ما الفرق بين الشعر الجيد والشعر الرديء؟**

- هو الفرق بين الجمال والقبح.. والليل.. والنهار..

● **هل حققتِ كل طموحاتك؟**

- لا ينتهي طموح الإنسان إلا بموته.. وأنا لم أمت بعد..

● **بماذا تحلمين الآن؟**

- بإنسان حر.. ووطن عربي حر..

● **شاعر قديم تحبينه؟**

- أبو الطيب المتنبي.

● **وشاعر معاصر؟**

- الأستاذ نزار قباني.

● **شاعرة عربية تعجبك الآن؟**

- كل شاعرة تكتب نصاً تسكنه الدهر.. لا أجد الآن بين الأصوات النسائية الشعرية أصواتاً واعدة.. أو شعراً لافتاً.

● **أحسن شاعر سعودي في رأيك؟**

- محمد الحربي.. وإذا سمحت لي بأن أذكر أديباً سعودياً تفيض كلماته بحلاوة الشعر فهو

الأستاذ عبدالله الجفري..

● **وأحسن شاعر كويتي؟**

- محمد الفايز.

● **وما هو رأيك في غادة السمان؟**

- امرأة اخترقت حاجز الصوت.. وكتبت اسمها على جدران القمر.

● **لماذا تحبين الصحافيين؟**

- لأنهم ينتمون إلى فئة الرواد والفدائيين والباحثين عن الحقيقة ولاسيما إذا كانوا يكتبون في بلاد فضاء الحرية فيها محدود..

● **ما هو موقفك من صحافة الإثارة؟**

- إنني ضد كل من يأكل خبزة من فضائح الآخرين.

● **ما هو ردك على الصحافة التي تستفزك؟**

- إن كل سباحة ضد التيار تثير غضب البحر.. وإن كل قصيدة مدهشة هي سكين في لحم الخرافة.. ومادام الشعب العربي معي يقرأني.. ويسمعني.. ويتابع أمسياتي.. فإن جبيني سيبقى مرتفعاً.. ورواياتي ستبقى خفاقة.

● **هل لديك خصوم؟**

- لا يوجد إنسان مبدع ليس له خصوم.

● **ماذا تعني لك كلمة «العولمة»؟**

- انتصار الإنسان على البعدين المكاني والجغرافي.. وجعل العالم مزية تلامس جدراني..

● **وكلمة «الاستنساخ»؟**

- «نحن العلماء ساهمنا بفعالية في إيجاد طريق لاستئصال الإنسان بشكل مأساوي».

● **حكمة هندية تقول: «لا أسمع.. لا أرى.. لا أتكلم..» ما هو رأيك في هذه الحكمة؟**

- هروب من مواجهة الحقائق ولاسيما في دول مثل دول العالم الثالث، إذ نحتاج إلى مزيد من البصر والبصيرة ومعرفة حركة التاريخ من حولنا، ونعد أنفسنا لمواجهة القرن الواحد والعشرين.

● **الذين لا يعملون ويسيئهم أن يعمل الآخرون.. من هم؟**

- الحاقدون.

● **لماذا يزداد عدد الشعراء والمجانين في الوطن العربي؟**

- إذا تأملنا ما يجري على صعيد المسرح السياسي العربي من كوارث وهزائم وتراجعات، سيؤدي إلى أن يصبح العالم العربي من المحيط إلى الخليج «عصفورية» كبيرة..

● **هل فكرت في إصدار مجلة أو جريدة؟**

- لا.. لم أفكر في الوقت الحالي..

● **الفضائيات العربية.. هل تعجبك؟**

- الفضائيات العربية كعملية تواصل مع الإنسان العربي مقبولة شريطة أن تقدم لنا العلم والمعرفة والتوعية والبرامج الأدبية الراقية، فأنا معها. أما حين تتحول بعض هذه الفضائيات إلى مجرد

كازينوهات للرقص والتسلية وإفساد الذوق العام والأجيال الجديدة، فأنا أرفضها.

● **الإعلام العربي، كيف يتطور؟**

- بمزيد من الحرية.. وبمزيد من الشجاعة.. وبمزيد من توعية الجماهير العربية.

● **ما هي العلاقة بين الثقافة والتنمية؟**

- كلاهما يعمل على رفع المستوى الحضاري للإنسان.

● **هل هناك مثقف عربي؟**

- بكل تأكيد هناك مثقفون عرب.

● **في رأيك هل تجوز سرقة الكتب؟**

- حرام.

● **ما هو أحسن كتاب قرأته في العام الحالي؟**

- «الطقوس والتحولات» لسعد الله ونوس..

● **كتاب تمنيت لو لم يصدر للناس؟**

- كتاب سلمان رشدي «آيات شيطانية».

● **من هو مطربك المفضل؟**

- مطرب كل الأجيال الفنان عبدالحليم حافظ.

● **ومن هي مطربتك المفضلة؟**

- ومن تكون غير أم كلثوم؟

● **من هو الشاعر الحقيقي؟**

- الشاعر الحقيقي هو الذي يضع نصب عينيه أن يستشهد على ورقة الكتابة.. وهو الذي يقول الكلمة بكل زخمها وأبعادها.. لأن الكلمات لا تعرف الحصار..

● **يقول جان جاك روسو: «جمال المرأة دولة قصيرة»، هل ذلك صحيح؟**

- وعقل المرأة جمال متجدد.. وجمال روحها ربيع دائم.. ألا يكفي هذا؟؟

● **من هي المرأة الصالحة؟**

- من تحترم نفسها فيحترمها الآخرون.

● **ما هو الحظ؟**

- لا أؤمن بوجود الحظ.

● **أكبر درس خرجت به من الحياة؟**

- عرفت من هم الأصدقاء.

● **هل أنت متفائلة؟**

- لأنني كاتبة، والكاتب مسؤول عن تفجير الأمل والفرح في صدر أمته.. فلا بد لي أن أخترع فجرا في هذه العتمة.. وأن أزرع وردة في هذه الأرض المالحة..

● **ما هو الضمير المهني؟**

- الاحتفاظ بأخلاقيات المهنة..

● **حكمة ترددينها دائماً؟**

- اتق شر من أحسنت إليه..

● **بيت شعر تحبينه كثيراً؟**

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام.

● **برقية توجهينها إلى العرب؟**

- اتقوا الله في أنفسكم.

● **ما هو أحسن وصف لنتنياهو؟**

- أصولي ومتعصب وكاذب..

● **تقولين:**

«كم غيرتني الحرب.. يا صديقي وغيرت طبيعتي
وغيرت أنوثتي»

فكيف غيرتك الحرب؟

- جعلتني أكثر حزناً وأكثر إحباطا.. واغتالت فرحي الداخلي..

● **ماذا بقي من العروبة؟**

- لم يبق سوى اسمها.

● **لماذا يتهمك البعض بنزار قباني؟**

- لأنني أنثى أولا، ولأن الخبثاء يصرون على اعتبار الرجل «رأس» المرأة.. وأنه هو الذي يفكر عنها.. ويكتب عنها.. وهذا شكل من أشكال الإقطاع والتسلط والنرجسية.. بل هو صورة ماضوية من صور احتقار الإنسان.. وهو شكل مؤسف.

● **ماذا ورثت عن زوجك الراحل عبدالله مبارك الصباح رحمه الله ؟**

- الخلق الكبير.

● **ما هي أمنيتك؟**

- أن يخرجوا الأمة العربية من الزنزانة، وأن يحجزوا لها جناحاً في فندق الحرية..

● **ما هو عنوان ديوانك القادم؟**

- عنوان الديوان القادم لازال في رحم الغيب.

● **ما هي القصيدة التي لم تكتبيها؟**

- القصيدة التي لم أكتبها هي أجمل القصائد.. كما يكون الأطفال الذين لم نلدهم أجمل الأطفال.

مجلة اليمامة. العدد ١٤٧٧

ولكنّه لا يحاورُ أحداً..
ولا يستشيرُ أحداً...
يَدَاكَ.. هما الكتابان الرائعان
اللذان أقرأ فيهما قبلَ أن أنامْ...
وهما الغابتان الكثيفتا الشَّجَرْ
اللتان التجئُ إليهما في حالات اكتئابي..
وهما الخشبتان اللتان أتعلّقُ بهما
عندما أُشرفُ على الغَرَقْ..
وهما المِرْفَأَان اللتان أتكوّم أمامَهما
عندما تنتابُني القَشْعريرةْ..
يَدَاكَ كانتا دائماً
حَمامَتَيْ سَلامْ
فإذا تشاجَرْنا.. أصْلَحَتا ما بيننا
وإذا أبْكَيْتَني..
كَفْكَفَتا دُمُوعي...
إنني أزورُ يَدَيْكْ
عندما تكونُ خارجَ البيتْ
وأشربُ معهما قهوةَ الصّباحْ
وأبوحُ لهما بكل شؤوني وشجُوني.
وأسلّمُهما مِلَفاً كاملاً.
لكلِّ الدعاوي العاطفيّةِ التي رَفَعْتُها عليكْ..
وخسرتُها جميعاً..
يداكَ صديقتايَ.. قبلَ أن أكونَ صَديقتَكْ
وعلاقتي بهما،
أرقى من علاقتي معكْ
وأنبلُ من علاقتي معكْ
وأعمقُ جُذوراً..
فإذا قرّرتَ..
أن تسافرَ إلى أيّ مكانٍ في العالمْ
فخذ جميعَ حقائبكْ..
واتركْ لي يديكْ
إنني لا أخلطُ أبداً
بينكَ وبين يديكْ
فهُما مسالمتان.. وأنتَ عُدوانيّ
وهما متسامحتان.. وأنتَ متعصّبْ..
وهما مثقفتان.. وأنتَ متوسطُ الثقافةْ..
وهما مائيّتان.. وأنتَ متخشّبْ..
إنني لا أخلطُ أبداً
بين حدائقهما.. وبين سلفيّتكْ..
شكراً لأبوّة يديكَ.. يا سيّدي
شكراً لهما
إصبعاً.. إصبعاً..
ظفراً.. ظفراً..
شرياناً.. شرياناً..
فقد كانتا بيتي في زمن التشرُّدْ
وسقفي في زمن العاصفةْ..
ووطني..
بعدما سحبُوا سجّادةَ الوطنِ من تحتي..

أيها الرجل الذي أعتزُّ بصداقة يديْه..
إذا قابلتَ يديكَ بالمصادفةْ
في أيّ مطار.. أو أيّ مَرْفأ
أو في أيّ مَقْهى من مقاهي الرصيفْ
فسلّمْ لي عليهما

* عنوان القصيدة في الديوان «قصيدة حب ٧»

مجموعة «قصائد حب» الطبعة الثالثة - ١٩٩٤م

دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع

لن أتخلى قط عن أظافري

هي ترى أن الرجل أسهل من المرأة تكسراً وأكثر قابلية للتفتت، فيما المرأة وأن كانت لها «فتافيتها» إلا أنها صلبة، حيث أن امرأة واحدة خلعت ملك بريطانيا عن الحكم، وكيلوبترا أشعلت حرب القصرين، ونحن نرى أن الدكتورة سعاد الصباح لم تكن امرأة صلبه فحسب وإنما «رقما صعباً» في المعادلة السياسية والاقتصادية.

كانت مكالمتها أشبه بغيمة هطلت عليّ ذات مساء وغسلتني بماء الشعر، قالت لي معتذرة: «سيتأجل لقاؤنا إلى ما بعد عودتي من بيروت.. هل تريد أن أحضر لك شيئا من بيروت في مقابل أخذ أسئلتك معي إليها؟» فقلت: أن مالايُدرك كله لايترك جلّه، وبيروت لاتدرك كلها، فاكتفي بأن تسافر أسئلتي معك، وبعد أن استمتعت أسئلتي بالرحلة جاءني الرد: «قليلة هي المرات التي تسعدنا فيها الأسئلة كما هي أسئلتك بشفافية الكلمة وذكاء السعي إلى الجواب»، وبعد عودتها من رحلتها البيروتية التقيتها ودار هذا الحوار:

الحقائق كما هي

قلت للدكتورة سعاد الصباح: هل أنت امرأة ثلاثية الأبعاد، نراك حينا تجلسين على مقاعد الدراسة في مدرسة الشعر تذاكرين دروسك ونراك حيناً آخر امرأة اقتصادية تغسل رأسها وتشغله باقتصاديات النفط، ومرة ثالثة تدخلين حلبة السياسيين حتى يخيل إلينا أنك طرف رئيسي في اللعبة عبر وجودك المستمر في مجلس الأمة؟.

فأجابت: لو شئت لقلت أكثر من ذلك، اهتماماتي كبيرة والقدرة على العطاء مستمرة، إنها نعمة الخالق، لهذا فأنا لا أصنع ما أريد فقط، بل ما أحسبه ضرورياً للآخرين، الشعر هبة ونعمة، الدراسات واجب، أما السياسة فلست من أطراف لعبتها وما حضوري مجلس الأمة سوى تحقيق لغرض المتابعة الدقيقة لمسار حياتنا السياسية، عبر المنبر البرلماني، أريد أن أعيش الحقائق كما هي، أريد أن ألمسها بيدي بدل الاستعانة بآذان الآخرين.

● هل تعتقيدين بأن لديك القدرة على مواصلة السباق خاصة وأن نفس المرأة قصير ولجنة التحكيم ترفض تسجيلها في سباقات المسافات الطويلة؟

- لست ضمن المهرولين وحين تتفولذ الارادة تهون المسافات ويتراجع التعب، من يدري فقد تتعب لجنة التحكيم أحياناً أمام إصرار المؤمنين واستمرارهم في السير على طريق العمل البناء لغد أفضل؟!.

معادلة حضارية

● أنت امرأة اقتصادية وتعرفين السوق جيداً إلا أنني ألاحظ عدم ميلك لتمويل الصفقات التجارية والنفطية ولاتحملين في حقيبتك أوراق المناقصات وتستعيضين عنها بكتب الشعر والأدب وتكتفين بتمويل أنشطة أدبية، فهل هذه معادلة اقتصادية ناجحة؟

- ليست اقتصادية، بل معادلة حضارية ناجحة، عندما تعرف مسبقاً أنك ستخسر المال فأنت لست بخاسر، الثقافة ليست جسراً تجارياً، بل عمل هادف إلى خلق رؤى جديدة، إلى المشاركة في تكوين انسان جديد، الثقافة مشروع قومي يتصدى له من يؤمن بدور الثقافة ويؤمن بواجبه لأداء هذا الدور.

● **هل أنت سيدة أعمال «فوق العادة» أم أنك سفيرة تتعاطى التجارة في وقت فراغها؟**

- لا أتعاطى التجارة بمفهومها البسيط الرائج، ربما لأنني لم أخلق كذلك، سيدة أعمال، ربما، ولكن ضمن حدود أقررها لنفسي وهو العمل الاستشاري الذي لا يأخذني بعيداً عن مسؤولياتي الأسرية والإجتماعية والثقافية والسياسية.

● **في عالم المال والأعمال يربح التاجر الصفقة إذا ماتمت ترسيتها، عليه إلا أنك تخسرين حتى في حالة الربح.. إلى أي مدى تلامس هذه المقولة واقعك؟**

- ذلك صحيح، لأنني لا أقيس الأمور بمقياس المال، يسعدني أن أمثل شركة تفوز بعقد مهم وبشرط أن يكون فوزها عادلا ومفيداً لبلدي، ودون أن أصبح طرفاً ينافس في كل اعلان.

مواجهة بالكلمات

● **هل تطمحين من خلال نشاطك الإجتماعي والسياسي إلى منصب سياسي؟**

- المنصب السياسي هو آخر الهموم، وخدمة الوطن تصلح من كل موقع ولها ألف باب، وبالكاد أستطيع الوفاء بما أتمنى ومن غير المنصب، فكيف معه!!

● **هل في «جدول أحلامك» أو أعمالك بند يقول «لامانع من قبول منصب حكومي»؟**

ليست هناك محرمات نهائية أو مطلوبات دائمة، تتحكم بذلك الظروف والحالة النفسية والإيمان بتوافق المنصب مع ما أستطيع تقديمه من خدمة.

● **في ظل نشاطك السياسي ألا ترين أن «حزب النساء» ممن يطالبن بتواجدهن على الخارطة السياسية لايحملن أي برنامج سياسي سوى «نريد حقوقنا السياسية»؟**

- هذا النشاط ربما كان الأقرب إليه وصفه الاجتماعي الذي يستهدف تحقيق مكسب حقوقي للمرأة، هذه ليست سياسة بالمعنى السائد لها، مطلب المرأة واضح وما نحتاج إليه هو برنامج يحدد آلية العمل وأحسب أن الجمعيات المعنية جاهدة في سعيها لإيجاده.

● **ألا ترين بأن النساء في الوطن العربي يجلسن في شرفات بيوتهن ويشاهدن التغيرات السياسية من النوافذ ثم يصرخن في المطابخ «نريد حقوقنا» دون أي مشاركة ودون أن تلامس أرجلهن الطرية أسفلت الشارع السياسي؟**

- ليس إلى هذا الحد، ولكن الثابت أن المرأة قد اختارت المواجهة بالكلمات، إنها تسعى إلى انتزاع الاعتراف بحقوقها دون صدام مع القوى الرافضة لهذه الحقوق، هي في هذا المنحى تماثل المنحى العام الذي لم نعد نرى فوق شوارعه غير بقايا اليافطات وصدى الأصوات.

رصيد ثمين

● **كلما مررت بجانب القصر الأبيض تتأكد لدي قناعة بأنك قمت بتحويله إلى «مصنع» للرجال دون أخذ موافقة من البلدية ووزارة التجارة بتغيير نوع النشاط، هل توافقين على هذه التهمة / النعمة؟**

- نعم، من أجل وطن حر واحد خلاق، لقد زرع سيده فينا روح العمل والعطاء دون حساب، وأنا أتابع المسيرة أملاً في أن يخضر الشجر وتزغرد الحناجر فرحاً بكويت كبيرة في عالمها، مؤمنة بذاتها، حرة في قرارها.

● **أستشف بأنك تعيشين في برلمان مصغر في بيتك، فهل رئيس هذا البرلمان «منتخب أم معين» وما هي حدود صلاحياته الدستورية؟!**

- محكوم بالتقاليد التي زرعت منذ آلاف السنين في هيكل الأسرة، الحرية مصانة والرأي محترم والقرار جماعي بالشورى، أضف إلى أن للسن في حياتنا قيمة وجلالاً، لأن التجربة الحياتية تقدم رصيدها الثمين ليخدم الرؤية الصحيحة، وهي أساس القرار الصحيح.

● **ماذا تحمل سلة همومك السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأنت تعيشين التفاصيل الصغيرة على خارطة البيت الكويتي؟**

- كيف نقيم مشروعاً نهضوياً يأخذنا بعيداً عن الغرق في الأمور الصغيرة وأحياناً التافهة، كيف نبني الكويت وإنسانها بالفعل وأين نبدأ؟ المهم بالفعل هو أين نبدأ وكيف؟ لابد من صغية مشروعة لعمل كبير بحجم الحلم.

● **هل تجدين ثمة تناقضاً بين أفكارك المناصرة للطبقات الكادحة وحياتك الأرستقراطية؟**

- ليس المهم أين تسكن وماذا تأكل، المهم كيف تفكر، الانتماء لأحزان الناس وهمومهم ليس مسألة طبقية ولا يتحكم فيها برنامج حياتك اليومية ولا يلغيها انتسابك إلى اليسر، لقد حملت هموم الآخرين منذ فتحت قلبي على الدنيا لذلك أثقول ليس ضرورياً أن تجوع حتى تعرف آلام الجياع، ليس ضرورياً أن تسجن لتعرف قيمة الحرية.

سيف الكلمة

● **لننتقل إلى الضفة الأخرى.. ألا ترين أن الرسم بالكلمات «هواية» والقتال بالكلمات «احتراف» وعليه فهل أنت هاوية أم «محترفة» بالكلمات؟**

كل عمري وأنا أحمل سيف الكلمات، ألست القائلة:

معذبة معذبة
لن أتخلى قط عن أظافري
فسوف أبقى دائماً
أمشي أمام القافلة
وسوف أبقى دائماً
مقتولة أو قاتلة..

● **قمت بجهد مميز «لحفظ حقوق الأدباء» فهل هناك مشروع «لحفظ كرامة الأدباء» وإنهاء عصر «الشحاذة»؟**

- عصر الشحاذة ينهيه أصحابه وحدهم، كرامة الأدباء مصانة بقدر ما يصون الأديب نفسه عن الولوغ في دمه، يبقى ممكناً تعاون الاتحادات الأدبية مع المؤسسات الخاصة للسير بمشروع تاريخي يوفر للمستحق حقه فلا يضام.

أحلام المقهورين

● **ونحن نعيش زمناً لا تسمية له من التردي والانحطاط والتراجع والانكسار، فلأي عصر يمكننا أن نميل لكي نرى أنفسنا ونحترمها؟**

أكثر من عصر عرفه تاريخنا كانت فيه اليد العليا للحق ولكلمة الحق، عصر الراشدين وأيام عصر الأمويين والعباسيين ثم صلاح الدين، حتى لا نظل تائهين أدعو إلى بناء عصر جديد بالقيم العليا التي ورثنا وبالأحلام الكبرى التي حلمنا، عصر يسوده العقل والعلم وتقود خطانا فيه المعرفة التي تبني المجتمع.

● **بقي لدي سؤال ربما ترينه صغيرا وأراه كبيراً.. هل لديك متسع لتحلمين بشيء ولا تجدينه؟**

- ما أكثر الأحلام التي نعجز عن تحقيقها، لكن ذلك لا يرتبط بنا وحدنا، أحلامي هذه هي أحلام المواطنة الكويتية الإنسانة، أحلام الشاعرة العربية، أحلام المقهورين والمعذبين وحاملي أثقال الظلم، أحلام كل إنسان يبحث عن حق فلا يصل إليه، وعن علم فلا يدركه وعن غد يكاد يضيع وسط ركام المهزومين.

من كتاب «المتميزون» مبارك شعلان الطبعة الأولى - الكويت ١٩٩٨

الإقامة الدائمة..

وهبتكَ مفاتيحَ مدينتي
وعيّنتكَ حاكماً عليها...
وطردتُ جميعَ المستشارين
ونزعتُ من معصمي أساورَ الخوفْ..
وإهابَ العشيرَهْ...
لبستُ ثوبي المشغولَ بخيوطِ اللّهفَهْ
وتكحّلتُ بنورِ عينيكْ
وزرعتُ في شعري زهرةَ برتقالٍ
كنتَ أهديتَها إليّ...
وجلستُ على العرشِ أنتظرْ...
وأطلبُ الإقامةَ الدائمهْ
في مدينةِ صدركْ...

يمرّ عطرُكَ في مخيّلتي
كسيفٍ من المعدن
يخترقُ الجدرانَ... والستائرْ
يخترقُني...
يبعثرُ أجزاءَ الزمنْ
يبعثرُني...
وتتركني أمشي حافيةً على زجاجِ المرايا...
وترحلْ...

من ديوان «فتافيت امرأة»

حين يتحول مفهوم
حقوق الانسان إلى الفوضى

«حقوق الانسان في العالم المعاصر» أحدث إصدارات د. سعاد الصباح، يطرق موضوعا يكاد يكون الشغل الشاغل لكل المنتديات السياسية في العالم.

وحول هذا الكتاب وما تضمنه من قضايا، كان الحوار التالي معها:

● ربطتِ بين الاهتمام المتنامي بموضوع حقوق الإنسان واختفاء غالبية النظم الشمولية، فهل يمكنك رسم العلاقة التضادية بين الإطارين؟

- النظام الشمولي قائم بالضرورة أيًا كانت صيغته يزعم أنه مالك الحق في قرار الشعب، فهو الذي يحدد النظم ويعرّف الباطل والحق ويرسم القوانين. إنه نظام يدّعي ألوهية الحاكم ونبوّة مساعديه في عصر لا مكان فيه للأدباء الجدد. ومنذ وفاة الرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم لم يعد هناك أنبياء، فكيف يكون هناك مؤلهون؟ ورغم انجلاء هذه الحقائق فإننا مازلنا نسمع بمحاولات للحكم الشمولي، تحت مسميات عدة. لعل أبغضها عندما يحاولون إلصاق كلمة ديمقراطية بها، والزعم أن الديكتاتورية هي الخلاص. لذلك فإن تعاظم الإيمان بحقوق الإنسان يشكل تناقضاً مع الانظمة المعصومة والتي تحرم الإنسان من حقوقه بحجة أنها تعرف ما هو الأفضل له حتى ولو كان هذا الأفضل هو سجنه أو إعدامه. إن حقوق الإنسان تقوم على الحرية أولاً بينما الشمولية «التوتاليتارية» تقوم على حلول حرية النظام بديلاً لحرية الشعب.

● هل تكرس مواضيع حقوق الانسان الانفرادية والذاتية؟

- أبداً، لا يمكن ذلك إلا حين يتحول مفهوم حقوق الانسان إلى الفوضى، وما هو كذلك. إن حقوق الإنسان تعني حرية الاختيار في المجتمع. حرية تقرير مصيره والتعبير عما يؤمن به. وأول حقوق الإنسان ألا يتعدى على حق سواه لأنه لو فعل لكان متناقضاً مع الذات، ولكان فعله رخصة مشروعة للغير حتى يئد حقوقه.

● ألا تعتقدين بأن موضوع حقوق الإنسان بات مرتبطاً بالمصالح السياسية أكثر من ارتباطه بالقيم أو المبادئ؟

- يجري استغلال موضوع «حقوق الإنسان» سياسياً وإعلامياً من قبل بعض الدول والمنظمات حتى تلك التي لا تؤمن بحقوق الانسان، ولكن هذا الاستغلال المشوه مكشوف أمام العالم ولا يلغي قضية حقوق الإنسان. لقد عرفنا عبر التاريخ أنظمة تدعو إلى الديمقراطية وهي التي تقوم علي الديكتاتورية وكأن الدعوة موجهة إلى غيرها فقط. إن الاتجار بحقوق الانسان أمر قائم ولكنه غير شرعي.

● طوال صفحات عديدة أشرتِ إلى كفالة الاسلام لحقوق الانسان، في حين يصر بعض مفكرينا على تعارض مفهوم الانسان في الدولة المدنية الحديثة عنه في الدولة الدينية الحديثة عنه في الدول الدينية التي تنادي بها بعض الجماعات السياسية. هل يمكنك تسليط بعض الضوء على موقفك من هذه القضية في إطار ما بحثته في كتابك؟

- من الضروري التمييز بين الدولة الدينية وبين الدولة التي تعتنق الدين وتستلهم تشريعاته دون الانتقال إلى حالة الدولة المغلقة أو التي يحكمها رجال الدين. إن الإسلام قد كفل حقوق الإنسان في

حرية الرأي والعيش واختيار الحاكم ومحاسبته، ولم يعط لولي الأمر عصمة تسقط عنه الحساب العام. إن الدولة المدنية الحديثة لا يمكن أن تكون دولة السلطة الدينية، ولكن يمكن لها أن تكون إسلامية الجذور واسلامية التشريع في معظم شؤون الحياة، ويتوقف ذلك على عمق ومدى فهمنا للإسلام، وعلى عمق ومدى جدية وعينا بالمتغيرات وارتباط اللازم بالزمن لبناء حياة معاصرة.

● هل تعتقدين أن دعاوي الارتداد والحسبة التي يضطلع بها بعض الجماعات السياسية تتوافق مع مفاهيم حقوق الإنسان وفقاً لما قرره الإسلام من واقع ما بحثته في كتابك؟

- على العكس من ذلك فإن دعاوي الحسبة كما نراها وبهذه الصيغ الدعاوية، تتناقض مع مفهوم حقوق الإنسان الذي يكفل للإنسان حريته في المعتقد والتعبير. ومن هنا فإن وجود النظام في الدولة الحديثة هو الذي يحسم مثل هذه السلوكية لأن الدولة بأجهزتها القضائية هي الحكم الذي يجب أن يمارس دوره، والذي لا يجوز التخلي عنه حتى لا يصبح كل مواطن شرطياً وقاضياً وجلاداً للمواطن الآخر.

● تسجل دول العالم الثالث أكبر نسبة في مجال انتهاك حقوق الانسان، لماذا؟

- لأن أنظمتها في غالبيتها العظمى، لم تقم أساسا وفق المفهوم الديمقراطي. لقد ورثت هذه الأنظمة من عصور الاحتلاف والانتداب سلطة مطلقة تتناقض مع حقوق الانسان في الاختيار الحر لنظامه، لذلك فأنه تقمع هذه الحقوق التي سوف يؤدي الأخذ بها إلى سقوط أنظمة البطش والقوة، كما أن المجتمعات في دول العالم الثالث تعاني من حصاد للنظام فقرا وجهلاً وتخلفاً، ويؤرقها السعي وراء لقمة العيش، بحيث تعجز عن خوض معركة الإقرار بحقوقها فتستمري الانظمة ذلك وتمعن في انتهاك حقوق الإنسان.

● اللجوء إلى العنف لمواجهة العنف المضاد في سبيل الحصول على هذه الحقوق، هل تتصورينه السبيل إلى تحقيق شيء ما؟

- لست من أنصار العنف في أي شكل كان دون المساس بحق الشعوب في النضال والكفاح المسلح من أجل استعادة حقوقها من القوة المحتلة أو المغتصبة ولكنني لست من دعاة العنف، في المجتمع الواحد، أدعو إلى الحوار وإلى السعي لتعميق مفهوم الرأي الآخر وحق الانسان فيه بعيداً عن الرصاص والسجون والاضطهاد.

● أتلاحظين أن هناك ازدواجية في الفكر الغربي تجاه موضوع حقوق الإنسان؟

- هذا صحيح ولعل في موقف الولايات المتحدة من قضية حقوق الإنسان في فلسطين وفي الصين خير نموذج على التناقض وعلى الاستغلال وعلى الاتجار بشعارات حقوق الانسان على حساب الحق الانساني الذي لا يتجزأ ولا يتلون. أن الولايات المتحدة خاضت حرباً لإقرار شرعية الانتخابات في «هايتي»، وبالتالي حق الشعب في اختيار نظامه. إنها تقاطع دولا تحت شعار الحرص على حقوق الإنسان بينما تبحث عنه غطاء تستر به وجهها حين تدفن قضية حقوق الإنسان في الصين، حرصاً على مصالحها التجارية وعلى توازن القوى في آسيا. كذلك تفعل في فلسطين التي تشحن ارضها اغتصابا وعدواناً يومياً على حقوق العرب فتطرب له واشنطن وتصفق وتمنح اسرائيل المزيد من

المساعدات ومن التغذية والدعم السياسي والإعلامي حتى تنتصر قوى العدوان والبطش على قوى الحق والسلام.

● لخصت مصادر موضوع حقوق الإنسان في الفكر السياسي الحديث بثلاث مدارس فهل لنا أن نعرف إلى أيها تميلين لتحديد صياغة عامة لمفهوم حقوق الانسان في المجتمعات العربية التي تتصارع فيها التيارات والاتجاهات المتناقضة على المستوى السياسي والاجتماعي كذلك؟

ـ يبدو لي أن المدرسة القانونية الوضعية هي الأقرب إلى متطلبات بناء مجتمعاتنا الجديدة. إننا بحاجة إلى تجذير مفهوم حقوق الإنسان وفي ربطه حياتيا من خلال التقنين الذي يسمح لكل فرد بمعرفة حقوقه وواجباته ويسمح بقيام الميزان الذي على اساسه تتم محاسبة المواطن ومحاسبة الدولة أيضاً إن فرَّطت بهذه الحقوق أو تجاهلتها.

● يلح عليّ تساؤل رأيته في همسات الكثيرين ممن حضروا الأمسية الأخيرة لك في مهرجان القرين وهو ما يتعلق بغياب الجديد والاتكاء على الإرث التاريخي لسعاد الصباح.. فما هو تعليقك على ذلك؟

ـ أحس أن هناك قصائد لي نشرت وسبق لي وألقيتها ولكنها لم تأخذ المدى الذي أريده لها من حيث الأثر الفاعل في حياتنا الثقافية والعامة، لذلك اشعر أنني مدعوة إلى إلقاء هذه القصائد أكثر من مرة، خاصة وأن الجمهور اليوم هو جمهور تلفزيوني بمعنى أنه لو كانت هذه الوسيلة الإعلامية تؤدي دورها الثقافي في تغطية المهرجانات والأنشطة الثقافية لكان الشاعر أدرك أن غرضه قد تحقق وانتقل إلى اختيارات جديدة ترضي قناعته وتشبع رغبات جمهوره.

● البعض يشير إلى أن جمهور سعاد الصباح في غالبه يقتصر على نوع وطبقة اجتماعية معينة وهو ليس بجمهور شعر ولكنه جمهور مناسبات اجتماعية فقط. ماهو تعليقك على ذلك؟

ـ الأمسية الشعرية ليست حفلة كوكتيل. فالمستمع الذي يخصص ساعتين من وقته للوصول والاستماع ثم المغادرة لا يفعل ذلك للتسلية، إنه يتحمل العناء حتى يحصل على ما يريده والقول بأن جمهوري يمثل طبقة اجتماعية معينة فيه الكثير من المغالاة فالشعر الذي ألقيه لا يمكن أن يكون طبقياً لأن الشعر في تكوينه للانسان وليس لفئة من الناس.

● السؤال الأخير عن اشاعة وجود عدد من المشاريع الإعلامية المعدة أو المؤجلة لديك كإصدار صحيفة أو مجلة، ما مدى صحة هذه الاشاعة وهل هناك نيّة لذلك؟

ـ منذ عامين حصلت من الأخت الفاضلة غنيمة فهد المرزوق على امتياز مجلة «أجيال» السياسية الأسبوعية، والتي أصدَرَتها في العام 1970ثم حالت ظروفها دون الاستمرار في أداء هذه الرسالة السامية، إذ كرّست معظم اهتمامها لأعمال إنسانية عظيمة لمتابعة إصدار مجلتها الاجتماعية الراقية «أسرتي». وليس لدي الآن خطة محددة تجاه هذا المشروع الاعلامي والذي أريد له أن يستكمل كل عناصر النجاح والديمومة قبل الانطلاق به.

مجلة المجلة. العدد ٨٨٨. ١٩٩٧/٢/٢٢

قهوة

1

فاجأتكَ..
تشربُ القهوةَ السوداءَ..
من نهرِ عينَيّ..
وتقرأُ فيهما جريدتَكَ الصباحيَّهْ
فصرتُ أرتادُ المقاهي..
لتَشْرَبَني..
وأشتري الصُحُفَ الصباحيَّهْ
لتقرأني...

2

فاجأتكَ..
مختبئاً في زجاجِ المرآةِ في حقيبةِ يدي...
وأنا أستعدُّ للخروجِ من الفندقْ
نسيتُ مكانَ موعدي
ونسيتُ زمانَ موعدي
ونسيتُ مع مَن كان موعدي
وقررتُ أن أبقى معكَ..

3

فاجأتكَ...
تسرقُ القمحَ من سنابلِ شَعْري
وتخبئهُ في حقيبتِكَ المدرسيةْ
منعتكَ من مواصلةِ اللُّعبةْ...
فلم تمتنعْ...
وضربتكَ على يدكْ...
كي لا تسرقَ الحنطةْ
فلم ترتدعْ..
حاولتُ أن أعيدكَ إلى المدرسةْ..
فرفضتْ
وبقيتَ نائماً تحتَ أشجارِ شَعري..

من ديوان «فتافيت امرأة».

إبحار مفيد فوزي مع الشاعرة سعاد الصباح

لا تستأذن في السؤال اقتحم بالصورة!

عمر هذا الإبحار، عام وربما أكثر!

فلم تكن سعاد الصباح - في كل الأوقات والساعات - جاهزة للبوح، ذلك أن بوح الشاعرة له مواسم و.. طقوس.. ويمكن القول إن هذا الحوار الطويل تم بين الكويت والقاهرة ولندن، واحتفظ مسجلي الصغير بشحنات الغضب والرضا والحلم والأمل والحزن والشجن. تلك الشحنات التي عقبت الحديث.. سؤال هنا، وسؤال هناك، حتى استقر الإبحار على شاطئ الكويت في «القصر الأبيض».

كانت مشكلتي في الحوار أن الدكتورة سعاد الصباح امرأة مهذبة للغاية، وأدبها البالغ يضطهدني! فالكلمات تستأذن أذنها قبل أن تدلف إليها، وهي هادئة هدوء مصيف في نهاية الصيف، ربما يغلي داخلها غضب ولكنها اعتادت أن تنتصر على غضبها بابتسامة.

وأنا أحب المرأة المهذبة، وأشم عبير دماثتها، وأستنشق هواء رقتها، ولكن للحوار طقوساً... إنه يخرج أحياناً على قضبان الإبحار بأسئلة مفاجئة ضد التيار! والواقع أن الأسئلة تطن في رأسي ولا أستريح إلا إن ألقيتها على المائدة، وقد تعودت أن أنظر في عيني من أحاوره وكأني. عفواً. أختبر صدقه: ومداه! إن كل حوار.. مغامرة أعيشها والتحاور مع شاعرة كسعاد الصباح كان يمثل لي مشكلة، ولابد من لف بعض الأسئلة في سلوفان أو طرحها داخل ابتسامة عريضة ولكني لا أعرف الاصطناع في الحوار.

كيف أسأل سعاد الصباح إذا كان هناك في حياتها عروض زواج وهي «الأرملة» الجميلة ذات الهيبة والأنوثة والحسب والنسب و.. المال؟

كيف أسألها بجرأة إن كان في حياتها «ملهم» رجل تخاطبه وتحاكيه وتعاتبه وتشكو له من زماننا؟

كيف أسألها عن «رجال» غدروا بها وللدقة «طمعوا» فيها واضطرت أن تمسحهم من ذاكرتها؟

كيف أوجه لها سؤالاً: «أنت شاعرة، ولكنك «حماة» صفي لي هذه الحماة»؟

كيف أسألها: «ماذا كشف لك المال من أخلاق من حولك»؟

كيف أوجه لها سؤالاً محدداً: «كلميني عن نزارقباني الشاعر الذي تعرفينه».

كيف أقول لامرأة: «مرآتك يا سيدتي في غرفة نومك ماذا تقول وتهمس في أذنك»؟

نعم سأسألها عن الشعر، عن الاقتصاد وعن الغزو الذي صحت عليه الكويت من الجار، نعم سأسألها عن الشعراء وعن أجمل ما قرأت من أبيات تسكن قصائدها ولكن هناك أسئلة. لتكتمل اللوحة. لابد أن أوجهها ولكن كيف أعبر منطقة التهذيب دون أي أذى ولو صغير. كيف أحتفظ بابتسامة سعاد الصباح من الخارج.. والداخل؟ كيف أفرض عليها شروط الحوار بشرط ألا تستاء؟ كيف أسأل، فلا يرتد السؤال إليّ؟!

لقد قلت لغادة السمان مرة: «هل صياغاتك الأدبية لتجارب حياتك الساخنة، كانت في مستوى درجة حرارة كل تجربة؟!».

قلت لسناء جميل: «كيف تمضي حياتك بدون ولد تسمعين من فمه كلمة يا ماما، هل هناك خطأ ما أم أن قسوة الحياة فرضت عليك هذه الوحدة، أم أن الفن أخذك تماماً من حياتك الشخصية كامرأة؟». قلت يوما لكوليت خوري: «إن أعلى نبرة في الكاتبة كوليت خوري هي الأنثى، فهل «أيام معه» هي تاريخ الأنثى الذي لا ينسى؟».

قلت للأديبة اللبنانية ليلى عسيران «تجاربك العاطفية التي عشتها، سجلت في كتبك ولكنك حذفت منها بإرادتك ضعف الأنثى، فهل تدخلت الكاتبة في مشاعر المرأة»؟

قلت لأمينة رزق يوما ما: «هل أحببت يوسف وهبي؟!».

قلت لسميحة أيوب: «أنت امرأة قوية، هكذا تبدين ولكني أريد أن أدخل لعمق الأنثى التي تريد أن تكون مرغوبة.. حدثيني عن ضعف امرأة قوية».

قلت لجورجينا رزق جميلة جميلات العالم ذات عام: «كل امرأة جميلة لها تفاهات، أريد أن أسمع بعضاً منها بلا خجل؟!».

كيف تطاوعني نفسي على اقتحام سعاد الصباح دون استئذان أذنيها؟ ومع ذلك قررت ألا أحجب عنها سؤالاً مهما كانت المغامرة.

إنني أتذكر أن صديقي د. علي السمان اصطحبني ذات خريف باريسي إلى بيت أديبة فرنسا الراحلة سيمون دي بوفوار التي قالت لي: «إن سارتر كان يقول لا يوجد سؤال جميل أو قبيح، إنما هي الصيغة التي يصاغ بها السؤال».

قالت لنا سيمون: «إن الناس يتصورون أن أي سؤال للمرأة في جوانبها الخاصة جداً هو اعتداء على خصوصيتها، بيد أن هذا المفهوم في أذهان من يسألون بحذر، وللمرأة خصوصية كالرجل تماماً، أنتم أيها الصحفيون تسألون الرجل عن تجاربه وتعتقدون أن المرأة كالأريكة التي تجلس عليها، جماد بدون مشاعر وليس لها جراب عاطفي».

إن كلام سيمون دي بوفوار يحرضني على خوض تجربة الحوار بدون محاذير.

ولكن من الأمانة أن أقرر نسبية «الرؤى» في المجتمع، فالسيدة دي بوفوار فرنسية، ود. سعاد الصباح عربية شرقية.

هناك فرق!

سعاد الصباح سيدة في الذاكرة، على حد تعبير فضل الأمين الذي أطلق عليها شاعرة الانتماء الحميم، وأنا أعرف الشاعرة منذ سنوات وأعرف عشقها لمصر ونيل مصر وسماء مصر العريضة، وأعرف حرصها على المناسبات الأدبية في مصر، أتذكر. يوم أعادت طبع مجلة الرسالة في شكل فاخر. أني حضرت احتفالها بالمناسبة وكنت أعرف أن سعاد الصباح توقظ مطبوعة أدبية كانت لسان حال الصفوة، وأتذكر أمسياتها الشعرية في معرض الكتاب وحرص د.سمير سرحان على دعوتها كل عام، وكيف كانت القاعة تغص بالآلاف الذين جاءوا ليذوبوا في قصائد الشاعرة ويتمايلوا مع أبياتها وكأنها مطربة تشدو!

أعرف أنها امرأة كويتية درست الاقتصاد وهي الشاعرة ومن هذه التوليفة الاستثنائية كانت المرأة والصيغة وكلما كنت أراها وأقترب، أشعر بأن إيمانها «عملي» في الحياة، ولهذا درست الاقتصاد بجامعة القاهرة، أما الشعر فهو ليلها الجميل المطرز بالإحساس المنسوج بالمشاعر، وسعاد الصباح «مسافرة دائما».

وليس بالضرورة أن يكون السفر «انتقالاً جغرافياً» بقطار أو بطائرة، إنما من الممكن أن يسافر الإنسان أميالاً في المكان والزمان الواحد.

سعاد الصباح «شيخة كويتية» من الأسرة الحاكمة، ومع ذلك هي امرأة بسيطة متواضعة، لا فروق بينها وبين الناس. وقد كانت محاولات اقتناص فرصة للتحاور معها صعبة لأن أجندتها مليئة بالمواعيد، وقد سمحت لفضولي أن أسأل مدير مكتبها متعب أبو حديدة عن نوعية مواعيد الدكتورة، وفهمت أنها مع رجال أعمال، مع صحفيين، مع ناشرين، مع أصدقاء في عواصم أخرى، مع منظمي أمسيات لها، كنت مرة أتحدث معها في جناحها بالفندق وفجأة توقفت عن رشف الشاي وقالت: «الليلة موعدي في الجامعة الأمريكية ببيروت لألقي ثلاث قصائد جديدة» ثم نظرت في ساعتها وقالت: «حان موعد السفر». **وقامت الدكتورة وتحركت بسرعة في خفة غزال، فلما قلت لها: «تنافسين غادة السمان في الأسفار» قالت سعاد الصباح:** «غادة مدمنة أسفار وأنا عاشقة»، **ثم أردفت:** هناك فرق لا يغيب عنك بين الإدمان والعشق».

وقلت لسعاد الصباح ونحن نهبط في مصعد الفندق: ما الفرق؟ قالت: غادة لا تستقر ولا تعرف معنى كلمة استقرار حتى تفرغ من روايتها، ولكن أختك سعاد الصباح قد «تمكث» في البيت شهراً دون أن ترى الشارع أو ترى أحداً.

قلت لسعاد الصباح: «كم تمكثين من الوقت في بيروت؟».

قالت: ألقي القصائد في الأمسية وأعود للكويت في اليوم التالي.. فأنا مرتبطة!

سألت بفضول نصفه غيظ: مع من؟ قالت برقة بالغة: معك!

قلت: هل نبدأ الحوار الأسبوع القادم؟ قالت سعاد الصباح: متفرغة لحوارك.

قلت: سيأتي معي المصور القذيفة فاروق ابراهيم.

قالت: وكمان تصوير؟

قلت: سوف تسعدين العدسات بصورتك.

أسعدتها الكلمات كامرأة وضحكت!

قلت لها: إن عدسة فاروق ابراهيم مقتحمة!

قالت: ليست أكثر اقتحاماً من زميله المحاور.

قلت: هل أنا محاور مقتحم؟

قالت سعاد الصباح: نعم، وهذا مذاقك الخاص.

قلت أختبر جرأتها على الرد: أنت أيضاً شاعرة مقتحمة للرجل أينما كان، في مكتبه أو في غرفته الخاصة، أو مع أصدقائه، إن قصائدك لا ترحمه.

قالت: هات أسئلتك واسألني! **قلت: هل تسمحين باقتحام عدسة فاروق ابراهيم لحياتك.. ودولاب ملابسك.. وحنانك مع أولادك.. وهواياتك التي لا نعرفها؟**

قالت: لا تلجأ لاستئذاني، اقتحم بالسؤال والصورة، ليراني قراء «كل الناس» و«العالم اليوم» كما أنا في صورتي الحقيقية، فأنا لست نجمة.. أحترف التصوير والبوزات.

وقلت في سري: لن أستأذن الشاعرة سعاد الصباح في سؤال أو.. صورة!

سوف ألجأ إلى الاقتحام.. المهذب! سوف أحرض المصور فاروق ابراهيم أن يقفز فوق سور حديقتها!!

(٢)

الذي يذل أعناق الرجال ثلاثة!

في يوم من الأيام تعرض الموسيقار محمد عبدالوهاب لحملة ظالمة، حين قالت بعض الأقلام إن ألحان عبدالوهاب من صنع ملحن اسمه رؤوف ذهني كان قد اقترب فترة من الموسيقار عبدالوهاب. وقيل يومئذ - ظلما - إن عبدالوهاب «يدفع» له مبلغاً من المال نظير صمته، وذهبت الحكايات الظالمة وبقي محمد عبدالوهاب هرماً رابعاً.

وفي يوم من الأيام قيل - والعهدة على الراوي - إن د. سعيد عبده، أكمل فصولا من مسرحية لشوقي بك وأحدث هذا الخبر ضجة في الأوساط الأدبية، ولم يكن الخبر دقيقاً، ولكن كان هناك من يريد الإساءة لشوقي بك أمير الشعراء.

وتعرضت د. سعاد الصباح - والقياس مع الفارق - لحملات ظالمة، منها أن هناك من «يكتب لها قصائدها»!! ومنها أنها تمول مؤتمرات ثقافية وتختفي وراءها!! وأشياء أخرى متقنة الحبكة بسوء بالغ من نفوس شريرة، ولأن سعاد الصباح أميرة كويتية وشيخة وصاحبة جاه ومال واسم عيلة، أرادوا أ يجردوها من «قريحتها الذهنية المتوقدة». أرادوا أن يجعلوها امرأة تدفع من مالها لمن يكتب لها القصيدة!

ومثل رمح أفريقي شديد الصلابة وقفت سعاد الصباح بموهبتها في وجه هذه الأكاذيب.

كانت سعاد الصباح قوية ومؤمنة وثقتها بنفسها وكونها شاعرة عربية، هي صمام الأمان من أي إحباط قد يدق على بابها.

وقد رأيت بنفسي أوراق سعاد الصباح الخاصة، ومنها مسودات لقصائد كثيرة ولدت بين أصابعها هي مسودات فيها الشطب والغربلة واختيار الكلمة والحرف والسكون، مسودات قصائد تحكي عن ليالٍ طويلة سهرتها في هذا الحمل الفني حتى.. الولادة.

لكنها شأن أي «شاعر موهوب» ينتمي إلى أسرة الحكم، تماماً مثلما سئلت يوماً في قناة فضائية عبر حوار كان يديره عماد أديب معي «لماذا أهتم بشعراء لهم وجاهة اجتماعية؟» وقد كنت مباشراً وقلت للسائل: تقصد شعراء أمراء؟ لماذا يا أخي نجردهم - لأنهم أمراء - من مواهبهم؟ أتذكر أن شاعراً شاباً مثل الأمير عبدالرحمن بن مساعد قال لي مرة «لقب الأمير ساعدني في اختصار وقت ميلادي كشاعر ولكن هذا اللقب لن يساعدني على استحسان المتلقي لقصائدي» وهو كلام منطقي وعاقل.

إن سعاد الصباح - كشاعرة - شخصية تتمتع باحترام الأوساط الأدبية ولها مساهماتها في مجال النشر لا تعد ولا تحصى «وبالمناسبة ليس لي أي كتب نشرتها لي مؤسسة سعاد الصباح».

لي ثلاث هويات!

وكنت أسأل الشاعرة عما - في رأيها - يذل أعناق الرجال وما يثير توسلات المرأة.

وقالت سعاد الصباح بعد آهة طويلة:

أظن أن الذي يذل أعناق الرجال ثلاثة:

١ - شهوة السلطة.

٢ - شهوة المال.

٣ - اشتهاء النساء.

واستطردت تقول: وما يثير توسلات المرأة في ظني هو ضعفها أو إحساسها بالظلم يصيبها أو يصيب من تحب، رجلاً أو ابناً أو ابنة أو أي شخص يتصل بها في موقع القرب.

وفي صالون سعاد الصباح، فردت شراع الحوار لأواصل الإبحار، أخذت مكانها المعتاد بجوارها تليفونها الصغير المحمول، يقطع إبحارنا أحياناً عندما يأتي صوت واحد من أبناء الدكتورة وأشعر أن صوتها يتهدج، إنه صوت الأم التي تقلق مثل أية امرأة عربية على فلذات الأكباد، ولو كان حوارنا مسجلا بعدسات التليفزيون لاكتشفتم دمعة تفر من مقلتيها وتمسحها بسرعة، ثم تصمت برهة لتعاود الكلام.

يبدأ صوتها ضعيفاً ربما من أثر هذه المكالمة الخاصة القادمة من وراء البحار وخصوصاً إذا سمعت صوت أحد الأحفاد.

وجاءت فناجين القهوة المرة..

وعدنا للحوار

■ **قلت: سعاد الصباح.. من أنت؟ وما هي هويتك؟ أريد التعرف عليك أكثر.**

- قالت الشاعرة وهي تعدد هويتها بإصبعها عداً:

أنا امرأة لها ثلاث هويات:

أولاً هوية عائلية بحكم انتمائي ولادة وزواجاً إلى آل الصباح، وهو انتماء يشرفني، ولكنه لا يعطيني أي امتياز، ولا يجعلني - كما يتصور البعض - من أصحاب الدم الأزرق.

فالدم لا يكون أزرق.. ولا أخضر.. ولا أصفر.. وإنما يكون دما إنسانياً ودم الإنسان هو.. هو في كل زمان ومكان، وهو في إنجلترا كما في بنجلاديش.. وفي استوكهولم كما هو في الكونغو.. وفي نيويورك كما هو في حي سيدنا الحسين والغورية في القاهرة.. وفي باريس كما هو في السالمية، والفحيحيل في الكويت.

ثانياً: هوية ثقافية اكتسبتها بالعمل والإرادة والتصميم، وأثمرت شهادة دكتوراه في الاقتصاد من جامعة سارى في إنجلترا.

أما هويتي الثالثة: فهي هوية الشعر.

■ **سألتها: كيف كانت قراءاتك في الشعر أو الأدب العربي، وأين كانت محطات توقفك الأساسية؟ وربما أوجه السؤال بصيغة مباشرة، كيف تربى وجدانك؟**

- **قالت:** أنا مواطنة عربية خليجية، يشكل الشعر إرثاً تاريخياً لديها، ويشكل الإيقاع الشعري جزءاً من تركيب دمها، ولا أعتقد أن رجلاً عربياً.. أو امرأة عربية.. قد نجا من «لوثة» الشعر هذه. أو شفي منها شفاء تاما.. فكل العرب بلا استثناء يولدون بالأساس شعراء.. ثم يتحولون إلى مهن أخرى تفرضها ظروف الحياة.. أما أنا فمنذ دراستي الثانوية كان يسكنني رنين القصيدة العربية، ولاسيما

في عصورها الذهبية في العصرين الأموي والعباسي.

وقد استوقفتني التطورات في الشكل والمضمون التي طرأت على القصيدة العربية في الأندلس، أولاً على يد الشعراء اللبنانيين في المهاجر الأمريكية، ثم محاولات التحديث التي قام بها شعراء حركة أبوللو في مصر، وحمل شعلتها بعدهم شعراء الخمسينيات في مصر عبدالصبور، وحجازي وأمل دنقل كما استوقفتني الحركة الشعرية الشجاعة التي قام بها العراقيون في منتصف الأربعينيات حيث حققت القصيدة العربية قفزتها النوعية على يد نازك الملائكة والسياب والبياتي والحيدري وصولاً إلى قصيدة النثر التي احتضنتها مجلة «شعر» اللبنانية، ولمع في سمائها أسماء أنسى الحاج، ومحمد الماغوط، وشوقي أبوشقرا، وأنا أتابع باهتمام آخر أشكال الحداثة الشعرية العربية ممثلة بأدونيس ومحمود درويش وشعراء الجنوب اللبناني وبعض الأصوات الواعدة القادمة من تونس والمغرب.

■ **أهوى ـ أحيانا ـ الأسئلة المفاجئة العفوية، ولهذا قلت لها: هل تفضلين أن تلقبي الدكتورة سعاد الصباح أم الشاعرة سعاد الصباح أم الأميرة سعاد الصباح؟**

ـ **ضحكت وقالت:** «تفاجئني بطلقاتك» ولكني أصارحك أن أم مبارك هو الأقرب إلى القلب، أما غير ذلك فتسميات يختارها أصحابها ولا رأي لي فيها.

■ **قلت: أم مبارك «ابتسمت عندما ذكرت اللقب» سعاد الصباح امرأة عربية نهضت كزهرة صبار على رمال الخليج وتفردت بشاعرية خصبة معطاءة، ما هي حدود التجربة في الحاضر، وآفاقها المستقبلية؟**

ـ الشعر هو فضاء لا حدود له.. ومغامرة لا نهاية لجنونها.. إنني ضد كل من يقولون إن الشعر العربي قد أضاع دوره.

الكمبيوتر لا يمكنه أن يقود مظاهرة.. أو يشعل ثورة.. أو يحرر امرأة واحدة من سجن النساء.. ولكن الشعر قادر على ذلك.

أصرخ بحرية!

■ **سألت سعاد الصباح سؤالاً محدداً وواضحاً ويحمل معاني كثيرة، لكني أسأله..**

قلت: يا أم مبارك، أريد أن أعرف إجابة لهذا السؤال: لماذا تلجئين إلى الشعر، وأنت امرأة متميزة عائلياً واجتماعياً؟

ـ **أغضبها السؤال كما شعرت من تقطيبة جبينها، ثم قالت:** الإنسان ليس موقعاً اجتماعياً، أو لقباً عائلياً.. إنما هو هذا الحنين الدائم للخروج من عالم التراب، إلى عالم الضوء.. الشعر حاجة فيسيولوجية وعضوية ونفسية، وحاجة العصفور لكي يطير، وحاجة المساجين إلى نسمة الحرية، إنني ألجأ إلى الشعر لأنه يمنحني الدفء الإنساني الذي لا تمنحه بقية الأشياء.. فالأساور والخواتم، والثياب الفرنسية والأحذية الإيطالية، تعطينا فرحاً كاذباً ومؤقتاً، أما الشعر فهو شجرة دائمة الخضرة والثمار.

إنني ألجأ إلى الشعر لأتحرر من الخوف الذي تشعر به الأنثى في هذه المنطقة، ألجأ إليه لأنه يحميني، ويقويني، ويستمع بقلب كبير إلى أسراري الصغيرة، وهمومي الكبيرة، إنه الصديق الرائع

الذي أستطيع أن أبوح له بكل شيء.. دون أن يخونني، أو يكتب تقريراً عني إلى المباحث العامة، ألجأ إلى الشعر لأنه المكان الوحيد الذي أستطيع أن أصرخ بحرية، وأغني بحرية، وأضحك بحرية، وأبكي بحرية. كل الأمكنة الأخرى في العالم العربي موضوعة تحت المراقبة، وواقعة في دائرة أجهزة التصنت، والنساء بشكل خاص هن الأكثر تعرضاً للمراقبة، فما من امرأة إلا ويمشي خلفها مخبر خصوصي، يراقب حركتها، وأنفاسها، وأفكارها، وعواطفها ورسائلها.. ومقالاتها.. وقصائدها.. وحقيبة يدها.

لذلك تلجأ المرأة إلى القلم والورقة.. لتقول ما لا تستطيع أن تقوله أمام مجتمع لا يعترف إلا بكلام الذكور، ومنطق الذكور، وذكاء الذكور.

■ **عدت لأقول لها بعد أن قاطعنا رنين التليفون في عز الإبحار، متى تستريحين من تليفونك الصغير المتنقل؟**

- **قالت وهي تدسه في حقيبتها وكأنها تخرس صوته:** حين لا أكون في السيارة سواء في الكويت أو خارجها، لست من عشاقه ولكن الحاجة إليه تحكمني به.

■ **حاولت أن أخفف وقع سؤالي السابق فدلفت إلى سؤال مفاجئ.. هل أنت امرأة ثائرة. أم رصينة.. أم فنانة؟**

- **بعد تفكير رصين، قالت سعاد الصباح:** أنا امرأة تجمع الثورة.. والحكمة.. والفن.

أعرف دربي جيداً

■ **سألت نثراً، فأجابت سعاد الصباح شعراً. السؤال: ماذا فعلت بالذين هاجموك؟ وما موقفك من أي هجوم شخصي عليك؟**

- **الإجابة:**

غير أني
ما تعودت بأن أنظر يوماً للوراء
فأنا أعرف دربي جيداً
والصعاليك - على كثرتهم -
لم ينالوا شعرة
واحدة من كبريائي
فلقد علمني الشعر
بأن أمشي
وأسير في السماء.

(من ديوانها امرأة بلا سواحل).

■ **قلت لسعاد الصباح: قلتُ يوماً إن «العبقرية رجل» ما رأي سعاد الصباح؟**

ردت بهدوء تسبق كلماتها ابتسامة الوثوق من الذات:

- وأنا أقول لك:

فرق كبير بيننا يا سيدي

فأنا الحضارة والطغاة ذكور

■ أسئلتي عادة لا تسير وفق سيناريو مرسوم ولذلك قد تملي عليّ ملاحظة خاصة، سؤالاً، أفرج عنه إذا جاء على البال، ولهذا سألت الشاعرة.

نقص وزنك بشكل ملحوظ ومازالت صلابتك كبيرة، هل فاضت أحزانك عبر ما جرى على المستوى العام والمستوى الشخصي؟

- ردّت برنة حزن: الأحزان تفترس لحم الإنسان ولكنها لا تفترس أعصابه، لحسن الحظ أنني لا أريد أن أكون امرأة اللحم والشحم بقدر ما أريد أن أكون امرأة الاحتراق والرماد.

يصبح التاريخ عاراً

■ إجابة تقودني لسؤال.. قلت لسعاد الصباح: مواقف اكتشفتِ فيها أن لغة الصمت مفيدة؟

أيها الماشون في الفجر على أشلائنا ما الذي يجدي صراخي؟

ما الذي يجدي كلامي..

وأنا مسدوقة حتى عظامي؟

من ترى يسمع صوتي..

وأنا مدفونة تحت الركام؟

عندما يطعنني في الظهر سيف عربي

يصبح التاريخ عاراً

عندما يذبحني أبناء عمي

في فراشي

يصبح الحلم العروبي.. غباراً

«من ديوانها برقيات عاجلة إلى وطني»

قلت للشاعرة ابنة الكويت: أريد أن أسألك عن مصر في ملاعب صباك؟

.....

وكأني فجرت شيئاً في ملف القلب الكبير.

قالت سعاد الصباح بعفوية:

- مصر؟ ياه..

أسندت رأسها إلى الخلف كأنها تجتر شريطاً طويلا..

وتكلمت.

(٣)

هذه مصر في ملاعب صباي

سؤالي في الحلقة الماضية من الإبحار الطويل في حياة سعاد الصباح أثار مشكلة..! كنت قد قلت لأم مبارك «لماذا لجأت إلى الشعر وأنت متميزة اجتماعياً؟» بمعنى: أنت أميرة كويتية ولديك كل شيء فلماذا دخلت درب الشعر؟

وقد رد عليّ ناقد أحترمه وكتب يقول لي:

قد كان بوسع سعاد الصباح - استناداً إلى تساؤلك - أن تتجمل وأن تتكحل وأن تتدلل وأن تتحمص تحت الشمس، وأن ترقص فوق الموج، وقد كان بوسعها - يا أخ مفيد - ألا تفعل شيئا، وألا تقرأ شيئا، وأن تتفرغ للأضواء والأزياء والرحلات، ولكنها لجأت إلى الشعر وعاشت بين القبول والرفض، وكان تمردها على السيناريو والقوالب حتمياً.

وتذكرت أن الكاتب الناقد نبيل راغب يرى في سعاد الصباح «عازفة على أوتار مشدودة تهتز للسلبيات والمحن والآلام والآمال والتوقعات والإحباطات التي تنهش الوجدان العربي».

وكتب لي قارئ صعيدي من قنا: «يا أخي، أنت تناقض نفسك، تتحمس للمواهب المتفتحة وتدافع عنها وتهاجم من يحاولون أن يجردوا أصحاب الإبداعات لأنهم أصحاب جاه ومال، ثم تسأل الأديبة الكويتية ابنة عائلة الصباح لماذا تلجئين للشعر وأنت متميزة اجتماعياً، تريد أن تقول لها على البلاطة جاه ومال واسم عائلي وشعر؟ هذا تناقض».

فرحت بصدي السؤال وشعرت باحتفاء القلوب الطيبة والمتذوقين، بسعاد الصباح.

السؤال الذي أوجهه للشاعرة في إبحاري الطويل له دائماً تبريره، أنا لا أسأل مطلقاً من فراغ، وإذا أذنتم لي، فأنا بالكلمات أرسم لوحة، كأي فنان كنت قد قرأت لسعاد الصباح جزءا من قصيدة عن عبدالناصر.

كانت تقول:

كان هو الأجمل في تاريخنا
والنخلة الأطول في صحرائنا..
كان هو الحلم الذي يورق في أهدابنا
كان بنا يطير فوق جغرافية المكان..

لهذا كان السؤال:

مصر ملاعب صباك؟

حين تتكلم الشاعرة يبدو صوتها كهديل الحمام.

وقد كنت في كل مرة أقابلها ترتدي زياً أنيقاً، دفعني مرة إلى أن أقول لها «ذوقك جميل في اختيار ما ترتدين، هل هو تناغم الألوان في عينيك أم هي صيحة الموضة أم أن هناك ألواناً تعانق بشرتك السمراء بحب»؟

وأجابت سعاد الصباح: «إنها البساطة، سيدة الألوان والموضات والصيحات!».

كانت سعاد الصباح تتكلم عن مصر في ملاعب صباها، ولاحظت هذه «اللمعة» الغريبة في عينيها حين تتكلم عن شيء حبيب إليها.

مصر، واحدة من الأشياء الحميمة في حياة سعاد الصباح.. في «قصيدة حياتها، ربما تحتل أبياتاً كثيرة».

قالت سعاد: مصر وردة تجري في دورتي الدموية، ومن الصعب أن أمنعها من التفتح، وأهم ما في مصر هي أنها بيت ينسيك في أكثر الأحيان بيتك، وشعب ينسيك في أكثر الأحيان شعبك، أهم ما في مصر هو أنها شجرة حنان.. تستطيع أن تنام تحتها وأنت مطمئن، والشعب المصري يجعلك تعيش ليلاً ونهاراً على ضفاف ابتسامة.. وهذا نادر في المدن.. فالمدن الأوربية «مكشرة» دائما.. ومقلوبة الوجه دائماً.. وأنانية في فرحها وفي حزنها.

أنت في أوروبا تمشي على سجادة من الصقيع، وأنت في مصر تمشي على سجادة من قلوب الناس وأهدابهم.. عشت في مصر في ذروة المد العربي القومي، وفي ذروة أيام الزهو والعنفوان، وكانت سنوات الستينات بالنسبة لتشكيلي القومي والثقافي هي أزهى وأخصب سنوات العمر.

■ **ما الذي يربطك بكلية السياسة والاقتصاد في مصر، وما عمق هذه الصلة؟**

– يا الله كم رائعة هذه الرابطة، هناك جلست لأول مرة على مقاعد الدراسة الجامعية، واختلطت بزميلات وزملاء وتتلمذت على يد أساتذة كبار، فكيف أنسى هذه الحقبة الأجمل من عمري، واليوم حين أذهب إلى القاهرة أحرص على الاتصال بالكلية التي احتضنتني طالبة، لقد حاولت من خلال بعثة المتفوقين للحصول على درجة الدكتوراه، ومن خلال إقامة مكتبة عبدالله مبارك في الكلية أن أرد لها بعض دينها الثمين عليّ.

■ **سألتها: ما أبرز ملامح محطات الحياة؟ وماذا تمثل في مسيرتك كإنسانة وشاعرة وابنة الكويت والعروبة؟**

– المحطات كثيرة.. كثيرة، منها ماغاب في ضباب الأيام.. ومنها مالايزال يضيء في أعماقي كمنارة بحرية.. ومنها مالايزال يشعل الحرائق في دمي حتى الآن ويحولني إلى كوم من الرماد.. هناك محطات توقف عندها القلب.. ومطحات توقف عندها العقل.. ومحطات توقف عندها الضمير القومي والإنساني. أما محطات القلب، فهي محطات الصبا الأول، حيث كانت طفولتي لوحة مرسومة باللون الأخضر، وكانت أحلامي تتراقص مع شجرة الصفصفات وتغتسل بمياه البحر.. وتبحر مع السفن المبحرة إلى جنوب شرق آسيا.

هذه المحطة الأولى هي محطة الفرح الحقيقي.. حيث كان كل شيء إما أزرق وإما أخضر وإما بنفسجي.. أما بقية الألوان الداكنة من أسود ورمادي وكحلي وبني غامق.. فلم تكن موجودة في علبة ألواني.. ولم أكن أعرف على وجه التحديد ماذا يعني اللون الأسود.. اللون الأسود عرفته أول مرة في عام 1960/59 حين ماتت أمي ثم لحقها أبي.. ومرة ثانية في عام 1973 حين مات ولدي مبارك وهو إلى جانبي في الطائرة.. وزوجي في عام 1991، ثم توالت زيارات اللون الأسود لي أمام الكوارث والإحباطات الكبرى التي نزلت على رأس الأمة العربية.

أما محطات العقل، فهي المحطات التي حاولت فيها السفر في فضاءات المعرفة، والارتشاف من ينابيع العلم، كاسرة بذلك المقولة التي تدعي أن المرأة كائن «بنصف عقل»، وإذا كان ذكور القبيلة هم الذين قد أطلقوا هذه الشائعة.. وروجوها بكل وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.. فإن على النساء أن يعلنّ الثورة المضادة.. وأن يدخلن الحرب بالكتب.. والأقلام.. والدراسات العلمية.. لا بالأمشاط ومبارد الأظافر.. والأزياء الباريسية.

أما مرحلة الالتزام القومي والاجتماعي والإنساني، فلعلها أكبر همومي، لأنني أعتبر نفسي مجندة في خدمة الحق والعدالة والحرية والإنسان. إنني ككويتية عربية مثقفة، لا يمكنني أن أقف على هامش حركة التاريخ، ولا يمكنني أن أبقى متفرجة على ما يجري على أرض الوطن العربي الكبير من أحداث، إن الخراب يتراكم من حولنا، والمعركة التي نخوضها ضد التخلف، وضد الظلام، وضد الاستعمارين القديم والجديد، لا تفرق بين رجل وامرأة فالجنس لا يعفى أحدا من المشاركة في الدفاع عن البيت العربي، والمستقبل العربي، ومقومات وجذور الأمة العربية.

■ **سؤال مفاجئ لسعاد الصباح: ما انتماءاتك السياسية؟**

- **أجابت بسرعة وبدون تردد:** أنا قومية عربية وحدوية.

■ **أسألك يا أم مبارك عن ذكريات الطفولة والدراسة، ما بقي منها؟**

أجابت: كل شيء قابل للمحو إلا ذكريات الطفولة والدراسة، وكل ما يأتي بعد زمن التخرج، هو حروف مكتوبة على الماء لا تلبث أن تتلاشى مع مرور الزمن.

نشأت بلا عقد

أواصل الإبحار في منطقة ومرحلة الطفولة التي أعتبرها «مشتل» الإنسان.

■ **هل كان لمرحلة طفولتك تأثير على مجرى حياتك؟**

- **قالت سعاد الصباح وهي تمسك بخصلات شعرها:** الطفولة تترك دائما بصماتها على أجسادنا وأرواحنا، فالبيت الأبوي الذي نشأت فيه كان حديقة من الحب والحنان والرحمة، فأبي كان معلمي الأول وصديقي وكان يساعدني دائماً في تنمية ثقافتي، ويحمل لي يوميا تحت بشته «عباءته» آخر الكتب والمجلات الثقافية، وأمي علمتني أن أكون سيدة نفسي، وأن أكون مسؤولة عن إدارة البيت منذ أن كنت في العاشرة من عمري، وباختصار كان بيت الطفولة عشاً من أعشاش المحبة، فلا اضطهاد، ولا خوف، ولا إرهاب.. فكل شيء في بيتنا كان يجري وفق الأصول الديمقراطية.. وهكذا نشأت بلا عقد، ولا تشويهات نفسية، وتعلمت تحت السقف الأبوي كيف أحب العالم وأكون صديقة للإنسان.

■ **إجابة تسلمني لسؤال وفق سيناريو الإبحار العفوي:**

ما رأيك الخاص بواقع الطفل العربي؟

انتشت للسؤال وراحت تجيب بحماس: الطفل العربي ضائع في الأرجل.. أرجل المحاربين.. وأرجل السياسيين.. وأرجل المغامرين.. وأرجل هذا العصر المعدني الذي لا قلب له.

ولا أدري لماذا أشعر أن الطفل العربي يتيم رغم وجود أبويه.. وحزين رغم وجود الألعاب بين يديه..

يديه.. ومعاق عقليا رغم أنه يذهب إلى المدرسة.. وانطوائي رغم مسلسلات التليفزيون والفيديو التي يراها.

وأخطر ما يعانيه الطفل العربي هو فقدانه للمناخ العائلي والقومي واللغوي، وفقدانه للقدوة، وفقدانه للطفولة الطبيعية، وفقدانه للانتماء.

إنه يفتح عينيه، ليجد نفسه منفياً مثل أبويه.. وضائعاً مثلهما.. وفاقداً لحس الانتماء مثلهما.

وباختصار.. إن أطفالنا لا يعيشون طفولتهم، ولا يعرفون معنى الفرح، ولا يتذوقون مباهج الطبيعة، وصوت الموسيقى، وزقزقة العصافير.. إنهم ضحايانا.. وضحايا هذا العصر العربي الرديء فلقد دخلنا إلى زنزانة الاعتقال.. وأدخلناهم معنا..

في زماننا كانت هناك طموحات قومية، وأحلام كبرى، وانتصارات شعبية ضد الاستعمار.. أما أولادنا فلم نورثهم مع الأسف سوى الإحباط والهزائم، وتفتت الحلم القومي.

الهم النسائي العام

وكان ضرورياً أن نعرج للحديث عن المرأة، وكان السؤال:

■ **كيف ترين واقع المرأة العربية ككل، ومشاركتها كقوة في العمل السياسي والتطور الاجتماعي؟**

– المشكلة في نظري مشكلة عامة لاجزئية، مع خلافات نسبية بين مدينة ومدينة، وقطر وقطر آخر.

لكن الهم النسائي العام يبقى واحدا.. وعقلية التسلط والاستئثار والعُقَد القديمة تبقى واحدة، والعلاج يتعلق بالرجل أكثر مما يتعلق بالمرأة.. فإذا تغير هو تغيرت المرأة بصورة تلقائية.. وإذا بقي مغلقاً، ورجعياً، وسلفياً ومتعصباً.. بقيت المرأة في مكانها.. على أن المرأة يجب أن تخرج من حالة الاستسلام والرضا والقناعة بالقسمة والنصيب، وتقوم بثورتها الخاصة، لأن كل إنسان يستطيع إذا استعمل إرادته أن يغير قدره.. وإذا كان الاستعمار السياسي والاقتصادي قد سقط.. بعد قرون طويلة من الظلم والابتزاز.. فلماذا لا يسقط هذا الاستعمار الجديد الذي لايزال مفروضاً على وجدان المرأة وعقلها؟

إن الرجل وحده في بلادنا الذي يلعب على المسرح السياسي والاقتصادي والثقافي.. والأحداث الجارية تدل كلها على أنه فشل في السياسة، كما فشل في الاقتصاد.. كما فشل في كثير من حقول الأدب والفن.. فلماذا لا تتدخل المرأة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه؟

إن العالم يحترق.. والمرأة هي جدول الماء الذي يستطيع إطفاء هذا الحريق.

والعالم تعصف به الحروب شرقاً وغرباً.. والمرأة هي غصن الزيتون الأخضر.. الذي بوسعه أن يعيد السلام إلى هذا الكوكب المتفجر.

■ **قلت للشاعرة: يقول جبران: نحن أمة تحتضر وتموت وقد احتضرت ألف مرة، ولم تمت.. حين تحضرني هذه العبارة أتساءل: هل ترين وجودنا كأمة تحتضر؟ هل حقا نعيش زمن ثقافة الانهيار؟ بكل ما تحمله هذه العبارة من تشاؤم؟**

جبين سعاد تلقائي يجيب عن أسئلتي قبل أن تفتح فمها وتتكلم: يوجعني أن أقول إنني مع جبران فيما قاله.

وإذا كان جبران قد قال كلمته منذ خمسين سنة.. فإ كلمته تبدو اليوم أصدق، وأشد انطباقاً علينا من أي يوم آخر.. إن الانهيارات تحاصرنا في كل جانب، انهيار قومي.. انهيار سياسي.. وانهيار اقتصادي.. وانهيار ثقافي.

واعترافنا بواقعنا لا يعني أننا متشائمون أو انهزاميون، ولكنه يعني أننا لانزال قادرين على الرؤية.. وسط الضباب، ولانزال قادرين على التمييز بين الخيط الأبيض والخيط الأسود.

التفاؤل في غير محله هو نوع من الغباء.

إننا اليوم في أشد الحاجة إلى مراجعة الذات، وممارسة النقد الذاتي على أنفسنا.. حتى نعرف حجمنا الطبيعي على الخريطة، فلا يجدينا في شيء.. أن ننظر إلى أنفسنا في العدسات المكبرة.. لا نرى إلا فضائلنا.. وانتصاراتنا.. وجمال صورتنا.

نحن بحاجة إلى المزيد من العقل، والمزيد من البصيرة، والمزيد من الموضوعية.. لأن «رومانسيتنا».. لن تنفعنا في شيء.

في هذا العالم المسلح بالمعرفة واليقين والأرقام، خطأ كبير.. أن نستعمل النظارات الوردية.. في هذا العصر العربي الذي ماتت فيه بساتين الورد.

■ **قلت: بمناسبة بساتين الورد، أسألك: توقف الراحل إحسان عبدالقدوس عند نظرية الحب الأول فهل أصاب أم أخطأ؟**

– الحب الأول هو الأكثر إثارة للروح ولكنه ليس الأكبر دائماً أو الأكثر استيعاباً لمتطلبات الإنسان، الحب عالم واسع لا يمكن أن تغلق بابه مرة واحدة وكأنك تملك مفتاحه الوحيد.

■ **تضعين المعادلة بصيغة أنك راضخة للرجل، وتستمتعين بسطوته، ألا يتناقض هذا مع كونك امرأة ترغبين في وجود مستقل عنه؟**

– من قال لك إنني أرغب في وجود مستقل عن الرجل؟ إنني كأنثى أبقى دائماً خاضعة لقانون الأنوثة.

إنني يا سيدي.. لا أريد إلغاء الرجل.. لكنني أريد «تحضيره» بحيث يكون حبيبي وصديقي.. لا مستعمري.

رددت وراء د. سعاد الصباح عبارة: «بحيث يكون حبيبي وصديقي.. لا مستعمري».

فابتسمت. وعبر ابتسامتها أشعلت فتيل سؤال جديد.

– د. سعاد عفوا.. هل جاءتك عروض زواج؟ لم تتوقع مني هذا السؤال.

ألقيت السؤال بمعنى أدق أفرجت عنه واسترحت.

وساد صمت فرضته هي.. و..

وتكلمت

(٤)
لا أحد يجرؤ على عرض زواجي!

من طقوس الحوار أن تتكيف مع إيقاع من تحاوره، فالأستاذ هيكل، إيقاعه سريع ولاهث، ولابد من ملاحقة ما يقول بيقظة تامة، ود. بطرس غالي، إيقاعه غاضب وتشعر أنه يعانق الحقيقة ويتكلم، وكان الموسيقار عبدالوهاب يحب الإيقاع البطيء ويكره أن أنظر في ساعتي، وكانت إجاباته ملحنة ببعض سكتاته المتعمدة، وغادة السمان لا تجيب عن السؤال قبل أن «يهضمه» عقلها الوثاب، وهناك دائماً بين سؤالي وإجابة غادة نصف دقيقة! والشاعرة سعاد الصباح تفضل الإيقاع الهادئ بدون انفعال وكأنها تجلس على شاطئ بحيرة، تخاصم العجلة وتذكرني بعبارة أهديت لي على لوحة مطرزة بالحرير تقول: «تعجل ببطء»!

سعاد الصباح تتلقى مني السؤال بهدوء وليس ببطء: ترشف من فنجان الشاي وترد بنفس الهدوء، وإذا انفعلت، أفلت منها حبل الكلام ولاذت بالصمت، وأنا أظن أن سعاد الصباح استعارت الهدوء من الطبيعة، هي القائلة لي «أبي كان رفيق المشاوير، فقد كان عاشقاً للطبيعة من الطراز الأول ومنه تعلمت ثقافة أخرى، هي ثقافة الأرض بوردها وعشبها وأشجارها وأمطارها وعصافيرها وقمرها ونجومها».

المشكلة كانت في محاولتي الدائمة التكيف مع إيقاع الشاعرة في إبحاري معها، وقد نجحت في إخضاع إيقاعي السريع لإيقاع الدكتورة الهادئ والرصين، وحين كنت أطرح سؤالاً مما قد يثيرها أو يغضبها، كنت أتعمد الهدوء وكأني أقرأ في الإذاعة نشرة إملائية.

فعندما قلت لها أحد أسئلتي المفاجئة.. سبقتها بكلمة عفواً.

■ قلت: عفواً.. هل جاءتك عروض زواج؟

لم تتوقع مني السؤال.

ساد صمت فرضته هي.

وتكلمت.

قالت: لا يجرؤ أحد على ذلك.

وظهرت الدهشة على وجهي، فعادت تقول بنفس نبرة الكبرياء: لا يجرؤ أحد على ذلك، فمن كان زوجها عبدالله مبارك الصباح وكواكب عمرها فرسانه وصباياه لا يليق بها إلا أن تحمل اسمه وحده.

■ قلت همسا: كيف كان زواجك الأول، وهل هو زواجك الأخير؟

قالت باعتداد ونبرة أقرب إلى الحسم:

- الأول والأخير.

كيف كان؟ أبعد كل الذي أنا فيه من إشراقة النور في الظل وإطلالة المعرفة على الدنيا واحتضان أسرة متماسكة كشجرة السنديان تسأل: من تزوجها عبدالله مبارك الصباح لا يملأ عقلها ولا قلبها الرجال.

■ سألتها: كيف كانت نظرتك للزواج؟ وكيف كانت نظرتك لرجل سوف يشاركك المشوار؟

أجابت بزهو:

- أردته فارسا وهذا ما رأيته في عبدالله المبارك لولا ما عرفت عنه من فروسية وشجاعة لما دخلت داره بالرضا الذي ملأ قلبي، ولا تنس أنه كان يومها فارس الجزيرة وصقرها ومصدر هيبة ووقار.

وجدت نفسي أوجه لها سؤالاً ربما أغير به دفة الإبحار:

■ **أمامك المرآة في غرفة نومك.. ماذا تريدين؟**

- **قالت:** أرى مركباً ينتظرني ليأخذني إلى جزيرة ما لها سواحل.. اسمها «الحرية».

■ **شعرت أن الراحل عبدالله المبارك معنا، فوجهت لها هذا السؤال:**

يا دكتورة.. الموت، هل لديك وصف شعري له؟

ردت بهدوء، لم أتوقع إجابتها، لكنها كانت إجابة مريحة.

- الموت هو مثل القافية في نهاية بيت الشعر العربي، ضرورية جداً لإعطاء القصيدة جمالها الهندسي، وإيقاعها الموسيقي.

شعرت أن شهية الدكتورة سعاد قد تفتحت للكلام عن فارسها الراحل.

■ **قلت لها: ماذا افتقدت من زوجك الراحل الكبير؟**

قالت بصوت فيه مسحة من الشجن:

- افتقدت جبلا من الشهامة، والفروسية، والكرم، والحنان الأبوي والمروءات.

■ **أنت الآن امرأة ورجل داخل بيتك ما حصيلة هذه التجربة؟**

بعد تفكير ثوان، دقت بقلمها الجاف ثلاث دقات، وقالت:

- عندما تفتقد المرأة الحجر الأساسي في بيتها فلا خيار لها سوى أن تقف على قدميها وتحمي جدران البيت من السقوط، ففي وقت الشدائد تنهار الحدود بين الرجولة وبين الأنوثة فتصبح المرأة رجلاً ويصبح الرجل امرأة دفاعاً عن غريزة حفظ البقاء حتى تصل السفينة إلى شاطئ السلام.

■ **قلت بجرأة: سيدتي هل أنت قادرة على الحياة بدون سند من رجل؟**

أجابت باعتزاز أشم رائحته في حديثها العادي:

- لقد تجاوزت المرأة المقتدرة هذه الحالة الاجتماعية والاقتصادية، إنني أدير مملكة صغيرة من الأعمال وأحمل مسؤوليات أسرية واجتماعية ومازالت لدي الطاقة للمزيد، وسندي سيفان هما محمد ومبارك.

■ **هل للشيخ عبدالله المبارك الصباح من دور في حياة د. سعاد الصباح؟**

قالت وهي ترنو بنظرة إلى صورته المعلقة على الحائط:

- دور زوجي الشيخ عبدالله هو الدور الأول والأكبر والأعمق في حياتي، فقد رعاني، وحماني، وغمرني ببحر من فروسيته ومروءاته.. ولولا فكره الحر والليبرالي لما أمكنني أن أغرف من بحار المعرفة، وأواصل رحلتي الثقافية، إنني أعتبر نفسي محظوظة به.. لأنه فارس أصيل.. ورجل نادر في رجولته.. والرجال قليل.

قلت: ماذا تفتقدين بغياب صقر الخليج؟

- ردت بسرعة:

- أفتقد الفروسية، والكرم، والحنان، واحترام المرأة، وكل هذه الأشياء أصبحت مع الأسف في أيامنا هذه عملة نادرة.

غيرت دفة الإبحار للموضوع الأساسي: وجدان سعاد الصباح، فسألتها:

■ **ألا توجد حالة من الخشية من العودة إلى عصر الحريم مرة أخرى؟**

- قالت بابتسامة ثقة.

- يا سيدي.. لا تخش من عودة عصر الحريم، لأن عصر الحريم لايزال حيا يرزق.. في عقلنا الباطن. ورغم بعض ديوك القبيلة لايزالون يتبجحون بالتقدمية والعصرنة والتحضر.. فإنهم يرتعشون غضباً لسماعهم عن نجاح أية دجاجة في أي قن.

■ **على مستوى جائزة المغفور له الشيخ عبدالله المبارك الصباح للإبداع العلمي وجائزة سعاد الصباح للإبداع الفكري تحديداً، كيف تنظرين إلى قضية تأزيم الإبداع والحجر على كثير من طاقات إبداعية شابة؟**

قالت الشاعرة:

- أعتقد أن القضية تتعلق بترشيد رأس المال العربي، حتى يقوم بدوره في زراعة الأدمغة، وريّ المواهب العربية حتى تخضر وتزهر.

الأغنياء العرب كثيرون، ولكنهم لا يفكرون بأن العقل أيضاً هو أرض للاستثمار، وأن الثقافة إذا احتضنت تفجرت ذهبا وكنوزاً.

هكذا كنا نفكر زوجي وأنا، حين قررنا تخصيص جوائز الإبداع العلمي والفكري أملاً في أن تتدفق الجداول، وتتألق المواهب، وتمتلئ الحقول العربية بالورود والرياحين.

عدت مرة أخرى لغزل الذاكرة، إن صح التعبير، وسألتها:

■ **أين موقع ديوان «آخر السيوف» من النفس والواقع الذاتي؟ وهل هو إبداع شعري من نوع خاص؟**

قالت سعاد الصباح بشجن خاص:

- هذا الديوان، هو بكائية لحبيب العمر، ورفيق الطريق، والفارس زوجي الشيخ عبدالله المبارك.

وإذا كان الشعر يستطيع أن يرد بعض الجميل، فإن هذا الديوان هو هديتي إلى الرجل الذي كان خيمتي.. ونخلتي.. وعرّابي على طريق العلم والمعرفة.

■ **وأجمل هدية وصلتك وتحتفظين بها.. وما سبب إيثارك لها؟**

أجابت:

- ميدالية ذهبية محفور عليها آية الكرسي واسم الجلالة طوق عنقي بها زوجي الشيخ عبدالله المبارك منذ أكثر من ثلاثين سنة ومازالت تلازمني لتحفظني.

■ **هل تكتبين مذكراتك، هل تدونين بومياتك؟ هل تراجعين نفسك فوق الورق الخاص؟**

قالت:

- فقط بعض الحوادث المهمة، ليست يوميات بالمعنى المعروف لأنها غير متواصلة، أختزن في الذاكرة كثيراً، ربما كان من الخير أن أصفها على الورق لأن الذاكرة بعد الغزو أصبحت مثقوبة!

■ **هل تعرفين طعم «راحة البال»؟ كيف؟**

- الحمد لله بالي مرتاح وإن كان عقلي مشغولاً ولكن من غير هموم، راحة البال تكون في شعورك أنك تؤدي الأمانة ولا تسيء إلى الناس ولا تغدر بصديق وبعدها تنام قرير العين.

قلت للشاعرة ملاحظتي:

■ **إن معظم قصائدك حملت لواءين، أولهما لواء المرأة، وثانيهما لواء العروبة، برأيك هل كان هذا مقصودا؟ أم لأن القضيتين تستحقان فعلا كل هذه القصائد؟**

قالت ضاحكة:

- المرأة العربية مغلوبة على أمرها.. والعروبة مغلوبة على أمرها.. وهذا التشابه في الحزن والقهر والاستلاب بين معاناة المرأة ومعاناة الوطن هو الذي جعلني أضع القضيتين في ملف واحد.. أثناء مرافعاتي الشعرية.

سألتها بشكل مباشر:

لو صارحتك ابنتك برغبتها في احتراف الشعر هل تشجعينها أم تمنعينها أو تبصرينها أو ترشدينها بالثمن الفادح المحسوب سلفا وعشته أنت كمبدعة عربية؟

قالت بشكل مباشر أيضاً:

- ليتها فعلت وعشقت الشعر كتابة لا سمعا، أما الثمن فليس له حساب لأن ما يمنحك إياه الشعر أرقى وأغلى من كل الصعاب، إن كل طين الأرض لا يغطي وجه البحر.

■ **ما الموقف الموحي في حياة سعاد الصباح؟**

أجابت الشاعرة: هذا الموقف تعلمته من عبدالله المبارك حين أعتزل الحكم وصان حرمة وطنه وأسرته، فلم يسمح لقراره أن يقع في خدمة أحد.

فجأة، خطر ببالي أن أسأل سعاد الصباح:

■ **هل أنت شخصية تقليدية في بلدك الكويت؟**

ضحكت وقالت:

- لا أحسب ذلك فقد جهدت علماً وعطاء وخدمة ومازلت.

■ **قلت لها: أفهم من ذلك أن نجاحك في شتى المجالات التي دخلتها، لم يكن يكتمل بهذه الصورة لو لم يقف إلى جانبك رجل بمستوى زوجك، هل تلخصين لنا الدور الذي لعبه زوجك في حياتك، وكرجل شرقي ألا يتأثر بما يصيبك من نجاح ومن نقد أيضا.**

أجابت: زوجي الشيخ عبدالله المبارك الصباح كان ولايزال المنارة التي أضاءت لي الطريق، والصدر الرحيم الذي حماني، والذراع القوية التي شدت أزري إنه رجل حضاري بكل معنى الكلمة،

يؤمن بالعلم، والمعرفة، وبحق المرأة بأن تشق طريقها على قدم المساواة مع الرجل، وإذا كنت قد وصلت إلى ما وصلت إليه في عالم المعرفة، فإن عبدالله المبارك الصباح كان وراء مجدي وانتصاراتي.

تربحه بومضة ذكاء

سألت:

■ **المرأة الأنثى، لديها متطلبات عديدة تتعلق بشكلها الخارجي «الفستان، تسريحة الشعر، وأدوات التجميل» فكم تأخذ هذه الأشياء من وقتك؟**

أجابت: أن تكون الأنثى أنثى، فشيء لا يناقش، كما لا يناقش عطر الوردة، وموسيقى القصيدة، وزرقة البحر. وأنا أتعامل مع أنوثتي، كما يتعامل الحدائقي مع أزهاره، والرسام مع ألوانه، والصائغ مع أحجاره، بمسؤولية ورعاية واحترام.

وإذا كانت الأنوثة هي سلطة أعطاها الله للمرأة، فيجب على المرأة ألا تسيء استعمال هذه السلطة، ولا تبالغ في استعمال هذا السلاح لأنه سلاح ذو حدين.

بإمكان المرأة أن تكون جميلة دون أن تغطس في «سطل دهان» وبإمكانها أن تربح الرجل بومضة ذكاء، وثوب بسيط، وحوار مثقف، أكثر مما تربحه وهي مدججة بنصف مستحضرات «لانكوم».

■ **بالمناسبة.. سعاد الصباح، الأم هل تختلف عن والدة سعاد الصباح في كثير أم في قليل؟**

أجابت: محتشدة بالحنان كأمي.. أخاف عليهم وكأنهم لايزالون في حضني.. مؤمنة بالقدار.. كثيرة الدعاء.

■ **من أخذ عن «صقر الخليج» والده، صفاته وورثها ربما في الشكل؟**

– **قالت الأم:** كلنا متأثرون به، محمد أخذ الكثير من طباعه، ولكن مبارك يكاد يكون هو، حين يقبل علينا أو يتحرك تحسب أن عبدالله مبارك هناك.

■ **ما نوع الحريات التي حرمت منها سعاد الصباح وأتاحتها لابنتها؟**

– لم أحرم حرية تمنيتها، كان عبدالله مبارك إنساناً عصريا ومتفتحا إلى حد بعيد لذلك فإن ابنتي لا تعيش حرية حرمتها، نحن نعيش تمام كأية أسرة كويتية.. لا إسراف ولا إمساك، لا نضع نقابا على قلوبنا ولا على أفكارنا، ونعرف حدودا ارتضيناها لأنها جزء من تراثنا وإيماننا.

■ **معنى المعاصرة الاجتماعية، كيف تفهمه سعاد الصباح؟**

– أن تعيش في نطاق المعقول دون قيود ودون أن تفلت، أن تمارس حريتك بعيداً عن التبذل، أن تكون لك الصداقات التي تغنيك وتعينك على اكتفاء جمال الحياة وروعتها. أن تؤدي واجباتك الاجتماعية كعضو مثمر في مجرى التعامل مع الغير.

■ **يا دكتورة كيف ترين انهيار الأسرة في المجتمع العربي، وتراجع الحب كقيمة أساسية وهجرة العشاق من زماننا؟**

قالت: يا أستاذ مفيد.. عندما يهاجر الحب تهاجر معه كل الأشياء الجميلة.. وعندما يرحل يرحل معه الشعر، والأغنية، واللون الأخضر، وأزهار الياسمين وضوء القمر، وتقص الغابات شعرها الطويل،

وتصبح الكرة الأرضية برتقالة عفنة، إنها مجزرة حقيقية، أكلت قلب أوروبا.. وهي الآن تحاول أن تأكل قلوبنا.

لذلك فالمطلوب من الشعراء والكتاب والفنانين العرب، أن يتمسكوا بثياب الحب.. قبل أن يجمع حقائبه، ويركب أول طائرة ويرحل.. لأن رحيله يعني موت العصافير، وموت الشجر.. وموت القمر.. وموت كل لمسة حنان، أو رفة شعر في حياتنا.

■ **سألت: الحب في عالمنا هل التهمته الماديات.. أم مازال هناك بقايا رومانسية؟**

- أجابت: كل الأشياء الجميلة في العالم تتساقط تحت أقدام عصر الكمبيوتر، والليزر، والصواريخ العابرة للقارات.. وموسيقى الديسك.. وجحافل «البانك».

الحب الذي عرفناه، قد استقالته، والعشاق القدامى أصبحوا عملة نادرة.. والرومانسية أصبحت لغة من اللغات غير المستعملة كالمسمارية، والحقيقة أن الإنسان الذي استطاع بحماقته أن يثقب غلاف الأوزون الذي يحمي الكرة الأرضية، قد أحدث ثقبا كبيراً في غلاف القلب.. أيضا.

■ **عندما تأتي امرأة وتشكو لك زوجها، هل تنحازين لها فوراً؟**

- بالتأكيد لا، فالرجل ليس شرا مطلقا والمرأة ليست خيرا مطلقا.. يجب أن نعرف وجهتي النظر قبل الحكم في أمر الخلاف.

■ **ما نظرة د. سعاد الصباح للحجاب؟**

- يخلق لدى صاحبته راحة نفس تحتاجها، وارتداؤه شكل من أشكال التعبير عن حرية المرأة.

قلت لسعاد الصباح:

■ **على المستوى الشخصي، كيف وجدت بيتك المنهوب عندما عدت إلى وطنك الكويت؟**

تغيرت ملامح سعاد الصباح.

زادت حدة الغضب.

قالت في اقتضاب: النقلة متوقعة ولكنها مفاجأة!

قلت: إبحار معك لابد أن يتوقف قليلاً عند وطن تعرض لاغتصاب.

قالت وهي تتذكر:

- أنت تسأل على المستوى الشخصي، ماذا ضاع مني؟

قلت: نعم!

سكتت برهة:

وطلبت فنجان قهوة مرة.

وتكلمت!

العالم أنت

خُذ الخريطَهْ
وثبِّتها كما تشاءْ
فالقاراتُ أنتْ
والبحارُ أنتْ.
وأنا أنتْ..

من اسمكَ تبدأُ جغرافيةُ المكانْ
ومن عينيكَ تأخذُ البحارُ ألوانَها
ومن ثغركَ يولدُ الليلُ والنهارْ
ومن إيقاعات صوتكَ
ومن شرايين يَدَيكَ
أولدُ أنا...

يُطاردني حبُّكْ...
كَسمكةٍ قرشٌ لا تشبَعْ
يُطاردني فوقَ الماءِ، وتحتَ الماءْ
يختارُ نقاطَ الضَعْفِ في أنوثتي
ويضربُني بلا هوادَه
على وجهي يضربُني..
على صدري يضربني
على ظهري يضربني
على أصابعي يضربني..
حتى يصبغَ دمي
جميعَ المحيطاتِ باللونِ الأحمرْ..

من ديوان «فتافيت امرأة»

(٥)

لحظات أتخلّى فيها عن رصانتي

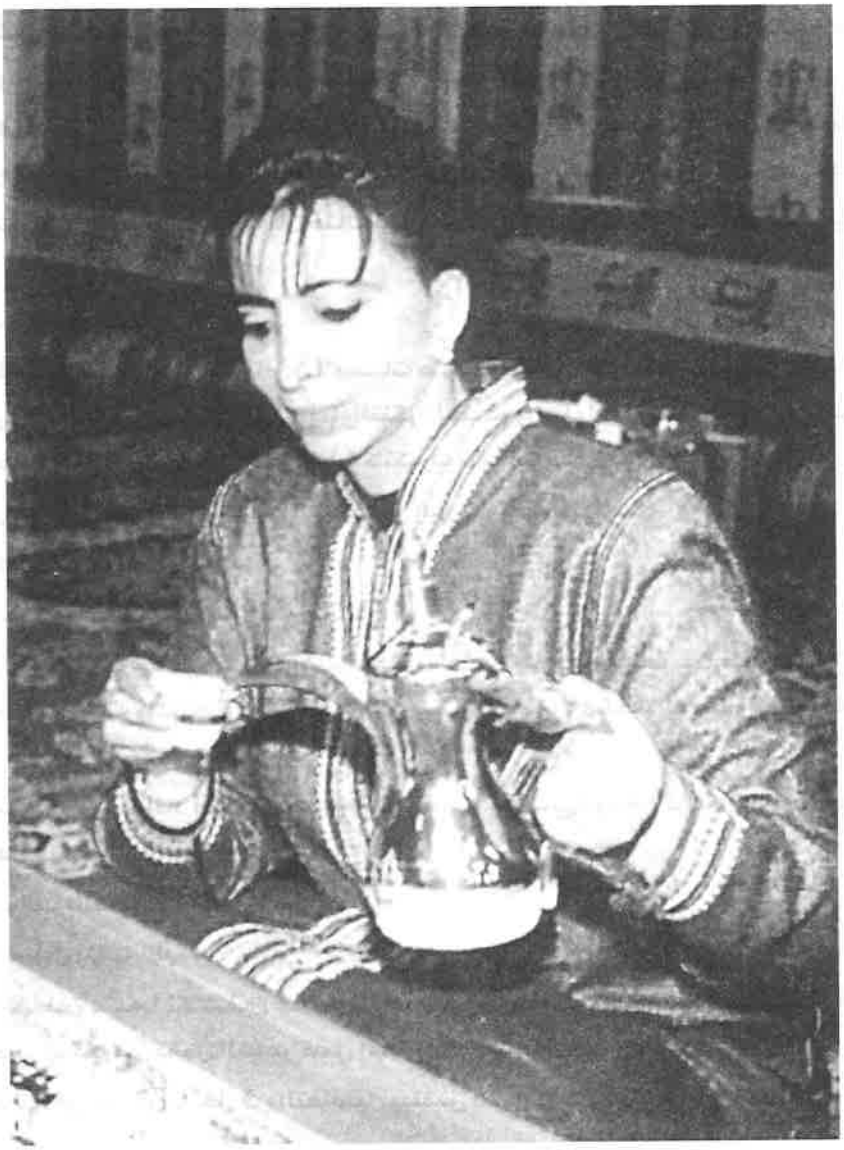

لا أسأل الشاعرة سؤالا من فراغ.

من الضروري أن يكون لدي «خلفيّة» عمن سوف أحاوره، فالإبحار له قواعد أهمها قراءتي المتأنية للملف الشخصية. ولا أقصد - بالطبع - ملفات مباحث أمن الدولة التي تحتفظ لكل إنسان بـ.. ملف.

ولا اقصد ملفات المخابرات في العالم الثالث وأوطاننا العربية، لكنى أريد أن أقول إنه كلما كان عندي «معلومات» عن الشخصية، صارت صياغة الأسئلة أمراً هيناً. وإلا كان الإبحار عشوائيا. سؤال من الشرق وسؤال من الغرب.

مثلا، عندما يعتزم المحاور الأمريكي الشهير لارى كنج إجراء حوار مع شخصية ما على شاشة C.N.N فإن فريق العمل الذي يعمل معه يجمع له المعلومات التي يصوغ منها عشرات الأسئلة التي تحاصر الشخصية. بالطبع، مهمة المحاور - مثلي - صعبة لأني أعمل بدون فريق عمل وأعتمد على معلوماتي وعلى مغامراتي المعرفية على حد تعبير الأديب السودانى الطيب صالح!

أنا أعرف - على سبيل المثال - أن الشاعرة د. سعاد الصباح كان لها مشروع ثقافي هام وكلفت به مجموعة رصينة من المثقفين. وثقت بهم وسلمتهم «رقبتها» كما يقول الحس الشعبي في مصر.

وسمعت سعاد الصباح همسات بأن هناك عملية «لعب» في الخفاء، وكذبت من همسوا في آذنها وقالت:

هذه وشايات رخيصة!

وبعد قليل، اكتشفت سعاد الصباح أن الهمسات صحيحة، وهي التي «شقيت بحسن ظنها» اكتشفت أن المال أغرى البعض إلى حد نسيان القيم والتنكر للثقافة والسلوك الحضارى، وذهلت سعاد الصباح وشعرت بغصة. وكتمت إحساسها، ولكن المرارة كانت رفيقتها في تلك الأيام!

كان أول قرار لها هو «نقل» المشروع الثقافي إلى بيروت ولاذت بالصمت.

من هنا كان سؤالى:

● ماذا تفعلين عندما تكتشفين غدر صديق؟

إنه سؤال يفتح جرحا في صدرها وقلبها مثل طعنة الجار يوم «اغتصب» وطناً اسمه الكويت. إن السؤال يجعلها «تجتر» ألما تحاول أن تطويه لكن يبدو أن غدر الأصدقاء له مذاق طعنة الخنجر في الظهر.

قالت سعاد الصباح وأكاد أشعر أن صوتها يتألم معها، قالت بهدوء من تريد أن تزيح كابوسا يجثم على صدرها:

- ما سؤالك بالضبط؟

أعدت السؤال بنفس الهدوء:

● ماذا تفعلين عندما تكتشفين عدم أمانة صديق؟ هل تطوين صفحته في نفسك؟ هل تدفنين ذكراه في صدرك كما كان يفعل الشاعر كامل الشناوي؟

أجابت الشاعرة دون أن تدخل في التفاصيل وبنفس تتسامى على ما جرى:

- ليست هناك لحظة أشد حزنا على النفس من غدر الصديق قد تجد الغدر خصم اختار خصومتك، ولكن أن يكون الغدار صديقا فتلك هي الكارثة ولقد تعودت أن أمسح اسم من يغدر بي من أوراقي ومن ذاكرتي.

● الغدر، هل هو طبيعة بشرية واردة، هل عرفت يوما ما طعمها؟

قالت الشاعرة:

- لا أحسب الغدر طبيعة، إنه سلوك أعوج شأن جميع مظاهر السلوك البشعة ولقد عرفته على الصعيد الشخصى وعلى الصعيد الوطني، وهذا هو أعمقها جرحا.

● هل أنت من اللاتي يبررن «ضعف» الناس وتجدين أعذاراً لهم؟

قالت سعاد الصباح:

- عندما يخطئون نعم. أما حين يغدرون فلا أقبل عذراً!

● ماذا كشف لك المال في أخلاق الناس؟

- كشف آخر ورقة تين تستر أجسادهم فإذا بهم عراة من كل ما كانوا يلبسونه من أقنعة الحضارة والثقافة والأخلاق.

كان من الضرورى أن أطوي صفحة الغدر والمال والأقنعة المزيفة.

وسألتها:

● هل الطفولة عندك، بنت؟

ابتسمت وأعجبها السؤال وأجابت:

- كل جمال هو أنثى. الشمس أروع من القمر.

الأرض أنثى.. الوردة أنثى.. الطبيعة أنثى.. والقصيدة أنثى.

● هل ترين صورة طفولتك وشبابك بأي من أبنائك؟

قالت وهي تتأمل نفسها في مرآة الذات:

- أولادي هم صورتي الثانية.. وكل واحد منهم يعكس قَسَمة من قَسَماتي، أو ملمحاً من ملامحي.

سألتها:

● هل البوح بالعواطف والأحاسيس حق مكفول للرجال.. أم أن العواطف والأحاسيس الإنسانية من حق كل إنسان أيًا كان جنسه أو هويته أو لونه؟!

أجابت: أتسالني وأنا القائلة:

يقولون: إن الكلام امتياز الرجال..

فلا تنطقي!!

وإن التغزل فن الرجال..

سألت فجأة:

فلا تعشقي!!
وإن الكتابة بحر عميق المياه
فلا تغرقي..
وهأنذا قد سبحت كثيراً
وقاومت كل الجدار ولم أغرق..
لماذا...
يقيمون هذا الجدار الخرافي
بين الحقول وبين الشجر؟

وبين الغيوم وبين المطر؟
وما بين أنثى الغزال، وبين الذكر؟
ومن قال: للشعر جنس؟
وللنثر جنس؟
وللفكر جنس؟
ومن قال إن الطبيعة
ترفض صوت الطيور الجميلة؟

«من ديوان فتافيت امرأة»

● هل للخوف مكان في صدرك.. وممّن؟

قالت بلا تفكير وكأنها تتوقع مثل هذا السؤال منّي:

- أخاف من ثلاثة: من الله، ومن ضميري، ومن ورقة الكتابة...

قلت:

● متى شعرت أنك ولدت ثانية؟

أجابت: لايعرف الشعور بالحرية إلا السجناء والمعتقلون، ولايعرف معنى استعادة الوطن.. سوى من فقدوا أوطانهم، ولذلك شعرت في الساعات التاريخية الحاسمة عندما حررت الكويت أنني أمتلك الدنيا وأنني ولدت من جديد.

سؤالي:

● ماذا كانت نوعية «الهموم» التي تحملها رأسك؟

إجابتها:

- لم يكن لي هموم بالمعنى الذى تعرف. كنت ممتلئة بالحياة والحيوية والثقة والتفاؤل حتى أنني بالكاد أمشى على الرمل أو أقفز فوق الأرض في خيلاء الصبية المدللة.

جاء فنجان قهوة تركي «على الريحة» فقلت لها وأنا أرشف الرشفة الأولى:

● ما جديدك؟ في الشعر.. في الاقتصاد...

قالت: على صعيد الشعر. اسأله «هو» - أي الشعر - متى سيزورني ويشعل النار في ثيابي وفي أوراقي. فالقرار هو قرار الشعر.. لا قراري.

أما على صعيد الاقتصاد فالمؤتمرات لاتتوقف.

قلت: بالمناسبة عندى سؤال. قلت السؤال كمن يتذكر شيئا:

● هل أنت «حماة» بالمعنى التقليدي لزوجه ابنك؟

ضحكت وقالت:

- لا .. لم تكن جدتي حماة لأمي.. وإنما كانت أمًا لها .. وكذلك أنا .. فزوجة ابني هي ابنتي الثالثة.

قلت لسعاد الصباح .. أريد أن أسألك:

● لحظات خاصة تتخلين فيها عن رصانتك التى تميزك؟

قالت بسرعة: حين يجيء حفيد أو أكثر تنسى سعاد الصباح نفسها وتتحول إلى لعبة سعادة لهم.

● متى تشعرين بالرغبة في العودة للطفولة؟ ماصورة هذه العودة؟

- حين ألاعب أحفادى أو حين تسرح بى الذكريات فتأخذني إلى الماضى بكل جماله: وبكل وأفراحه، عندما اذهب إلى بعض المدن التى عرفتنى اذهب إلى الشوارع التى كتبت اسمى على جدرانها، إلى المطاعم التى عرفتها، والفنادق التي سكنتها، وكثيراً ما أمسك بالهاتف لأتحدث إلى رفيقة عمري أو صديق قديم نستذكر الأيام ونضحك.

● ماذا يصنع الحفيد في حياتك؟ وكيف تعبرين عن حبك الخرافي لأحفادك؟

- ينقلنى من عالمى إلى عالمه، مع أحفادى أتحول إلى طفلة مهمتها جلب الفرح إليهم، أهتم بهم إلى حد أنني لاأحتمل البقاء لحظة واحدة حيثما كنت إذا عرفت بمرض أصاب أياً منهم.

مع أحفادي أعلق رصانتى وهدوئى وشخصيتى على الباب قبل أن أدخل عليهم.

● صِفي لي لحظات توديع أعزاء لك في المطار، هل تفقدين السيطرة على دموعك؟

أجابت وهي تحاول الثبات: أنا متماسكة في مثل هذه اللحظات، ولكن الدموع تخونني أحيانا ولاتنسى أننا لكثرة ما نرتحل فقد أصبح المطار محطة عادية في حياتنا، أفضل ما أفعله هو الدعاء حتى أطمئن إلى سلامة الوصول.

قلت وفي رأسي صورة حفيدي القادم، أول حفيد:

● ما مدى خطورة الاعتماد على المربية على الأجيال القادمة؟ وما مدى التأثير من الناحية النفسية والفكرية واللغوية؟

أجابت برصانة:

. استعمار الخادمات والمربيات القادمات من جنوب شرق آسيا هو الاستعمار الجديد الذي لايقل شراً عن الاستعمار القديم، وليس عمل المرأة وحده هو المسئول فالمرأة العاملة لايسمح لها مرتبها باستخدام مربية ولكن القضية قضية كسل واسترخاء.. من قبل الهامشيات من نسائنا اللاتي لاتسمح لهن مواعيدهن مع «الكوافير» و«الشوبينج» وشاي الضحى، وزيارة الصديقات برؤية أولادهن ولو لمدة خمس دقائق قبل أن يناموا.

إن الاستعمار كله واحد.. سواء كان جيشاً من المقاتلين أو جيشا من الخادمات، والنتيجة أن اللغة العربية ستتقرض بعد عدة عقود - إذا استمر الحال على ماهو عليه - لتحل محلها لغة الهند.. أو لغة سيرلانكا أو لغة الفلبين، وكل لغة وأنتم طيبون.

قلت:

● كيف نستطيع أن نحقق رباطا قويا بين أبنائنا ولغتنا العربية؟

أجابت:

- الطريقة هي: أولاً: أن نستغنى عن الخادمة السيرلانكية أو الفلبينية أو الهندية.

ثانيا: ننام في غرفة واحدة مع أولادنا.

- **ما البديل حتى لايقلد أبناؤنا تفاهات الغرب وأن يتمسكوا بما يتناسب مع تقاليدنا وعقيدتنا؟**

أجابت الشاعرة:

- عندما نستطيع أن نقدم لأولادنا بديلا ثقافيا وجماليا وعلميا وروائيا ومسرحيا وقصصيا يغنيهم عن شراء افلام الفيديو الأمريكية وقراءة مجلات الجنس والجريمة ومسلسلات «رامبو» البطل الذي لايقهر الذي اخترعه البيت الأبيض.

سألتها:

- **متى تبكين كإنسانة؟**

أجابت: أبكي.. كلما شعرت أن إنسانا يسحق حرية إنسان آخر.. وكلما شعرت أن الديمقراطية في بلد ما.. أصبحت تتسول على الرصيف.

- **هل يعيش الأولاد معك؟ ومتى ترينهم وفيم تتكلمون؟ وماذا تفتقدين بعد سفرهم؟**

قالت الأم سعاد الصباح:

- محمد وأسرته حاليا في لندن لإنجاز الماجستير في العلوم السياسية والاقتصاد. أمنية في بيتها القريب من دارنا. وبالطبع مبارك والشيماء معنا فيها، نلتقي كل يوم حول وجبة الغداء، أما وجبات الطعام الأخرى فغالبا ما نتناولها مع بعضنا، في المساء لاشيء يلغى برنامج متابعة دراسة الشيماء وواجباتها المدرسية ونتحدث شأن كل أسرة في مختلف المواضيع العامة والخاصة، وحين يسافر أحدهم نفتقده ولكن بالأمل في أننا سوف نلتقى بالقريب وفي المناسبات والأعياد نجتمع هنا أو نذهب نحن إلى المسافرين لنكون معا.

- **كيف وصلت لتأمين مستقبل «أولادك» كيف بدون تطفل عليك؟**

- إذا كان القصد هو الأمان المالى فلا أحسب أننا بحاجة إلى شرح كثير، الأهم عندي هو انني مع الأب الكبير حفزناهم على العلم لأنه الاستثمار الأعظم.. وكنوز الأرض تبدو أقل قدراً منه.

- **أسالك عن:**

١- رائحة عطر تفضلينه؟

٢- ساعة في اليوم تفضلينها؟

٣- هواية خاصة جداً؟

أجابت: عطرى المفضل هو «أرامتيكس» لكلينك.

وأفضل ساعة هي ساعة اللهو مع أحفادي، حين تمتزج ضحكاتنا لنعزف أجمل سيمفونية، وهواية خاصة جدا هي الكسل بعد يوم طويل.

- **ما الهم الذي يؤرقك وتحاولين التعبير عنه؟**

- نحن نعيش عصراً سقطت فيه الحدود بين الخاص والعام، فكل همومنا الخاصة ابتداء من الحب.. وانتهاء بالسياسة هي هموم عامة.

الهموم الذاتية أو الخصوصية انتهى أمرها.. لقد أصبح فنجان القهوة الذي تشربه في الصباح ممزوجا بدموع البشرية كلها.. وأصبحت قطعة اللحم التي نأكلها مختلطة بلحم الاطفال الجائعين في المخيمات.. وأصبحت «هيروشيما» تنفجر في ضمائرنا.

سألت سعاد الصباح:

● كيف رأيت عبدالحليم حافظ وهو يودع الحياة؟

أجابت وكأنها تقلب دفتر الأيام: زرناه أبو مبارك وأنا في المستشفى، وكان ينتظر الموت بإيمان، بيجامته الصفراء تعكس لون وجهه، كم كان مؤمنا ذلك الإنسان، وكم كان كبيراً في لحظات الألم، وكم كان صبورا على افتراء الناس.

● قلت للشاعرة الكبيرة ابنة الكويت:

أريد أسالك عن عدد من الشيخصيات المبدعة.

قالت بأدب جم: تفضل!

قلت: أريد أن أسألك عن رأيك في:

● ليلى عسيران. ● غادة السمان.

● ليلى بعلبكي. ● نازك الملائكة.

● ماجدة الرومي.

و

● صالح جودت. ● أحمد رامى.

● محمود درويش. ● فاروق جويدة.

● بلند الحيدرى. ● صلاح عبدالصبور.

● عبدالرحمن الشرقاوي ● أحمد عبدالمعطى حجازى.

قالت سعاد الصباح: كل هؤلاء؟!

قلت: نعم كل هؤلاء!

قالت: اتركني قليلا، افكر أنت تعلم أن آراء الناس في الناس لاترضي كل الناس، وأنا لاأحب إغضاب أحد وفي نفس الوقت أريد أن أكون موضوعية!

وقمت أتمشى في بهو واسع في القصر الأبيض وأتأمل الصور المعلقة بأناقة على الحائط والمرايا الضخمة التي تعكس اتساعا في المكان.

وتكلمت الشاعرة.

رائحةُ صوتكِ ..

1

تدورُ المقاهي حولَ نفسها...
تدورُ كلماتكِ حولَ أنوثتي...
تدورُ الذكرياتُ حولَ عنقي..
أهربُ من رائحةِ صوتِكِ..
إلى غرفتي.

2

يا هذا الذي احتكرَ جغرافيةَ العالم..
اتركْ إقليماً صغيراً في فكري..
لا يخضعُ لاستعمارِكْ..
اتركْ قلعةً واحدةً من قلاعي..
لا ترفرفُ فوقها أعلامُكْ.

3

أيا رجلَ الكبريتِ والنار
أعجنُي كقطعةِ صلصال..
اسمْني..
هضبةً من الفضّة...
وهضبةً من الذهب..
وحبةً من اللوز..
وحبةً من المانغو..
اسمْني على صورتِكَ..
فأنا لا أعترفُ بأيةِ صورةٍ لي
لا تحملُ توقيعَكَ.

من ديوان «خذني إلى حدود الشمس».

(٦)

رأيي في هؤلاء

سألتني قارئة ذكية: كيف اقنعت سعاد الصباح بالتصوير وتبديل ملابسها والذهاب للبحر بملابس الصيد.. والذهاب لمطار الكويت لتوديع أحفادها؟

وقالت القارئة: إن وقوف الدكتورة وامتثالها أمام عدسات «كل الناس» يعني انها نجمة وليست شاعرة ودارسة اقتصاد.

وقلت للقارئة الذكية: إن سعاد الصباح نجمة بكل المقاييس فهي نجمة الشعر العربي بلا منازع، ثم إنها امرأة لاتزال بكل البهاء الذي يغري عدسات التصوير. ولم أجد أية صعوبة في إقناع الشاعرة بالتصوير، فقد قلت لها عندما عرضت فكرة «الابحار»: وسوف أحضر للحوار بمسجلي الذي لا يفارقني، سوف تصحبني في رحلة الإبحار عدسة المصور فاروق ابراهيم. وسوف نتنقل في القصر الأبيض وخارجه. وسأعتمد على مدى حركة نشاطك وسترصدها العدسة، ولما كان البحّار على حلقات وليس حلقة واحدة، فأنا أطمع في تغيير الزي إذا أذنت. ثم ان الناس تشتاق لرؤيتك بالزي الوطني الكويتي. وردت سعاد الصباح بكلمتين اثنتين: كيفما تريد! وكما يشخلل الطفل بنقوده المعدنية في جيبه، شخللت كاميرات فاروق ابراهيم بين يديه ولمعت عيناه من السعادة ورأيت مصور «كل الناس» كنمر يثب ويحمل كل عدساته الملونة والأبيض وأسود والزووم فوق كتفه ويمضي.

كانت سعاد الصباح تستجيب أيضا للحوار مع الكاميرا مثلما تستجيب لأسئلتي وتبوح بالإجابات التي يحفظها المسجل في قلبه. وكنت أفهم جيدا ان الصورة لها سحرها وهذا ما تعلمته من التليفزيون. كنت أعرف أن العدسات تجيب عن فضول القراء أين تعيش هذه الشاعرة؟ وأين تكتب قصائدها؟ وكيف تلاعب أحفادها؟.

كنت. بعدسات فاروق ابراهيم. أقدم الصورة الإنسانية للشيخة سعاد الصباح أو «أم مبارك» كما تفضل أن يناديها أقرب الأصدقاء والصديقات، وكنت قد سألت الدكتورة سعاد الصباح عن بعض المبدعين والمبدعات وقالت لي بدماثتها الشديدة: «أعطني وقتا لأفكر».

وبالفعل ، أتذكر أني تركت الدكتورة في غرفة حوارنا تفكر، ونزلت أتمشى في رياض البيت أو القصر الأبيض. ثم عدت بعد قليل.

كنت أعرف أن سعاد الصباح لا تحب إغضاب أحد. فهي رقيقة وليست حادة. وهي لا تسخر من أحد ولديها فضيلة «احترام الصغير قبل الكبير» وهي تقدر المواهب وتعطيها حقها ولا تقلل من قيمة أي إنسان. وهي مقتضبة في الرأي إلا إذا طلبت منها مذكرة تفسيرية لرأيها.

١. صالح جودت: رومانسي أخذته الأغنية.

٢. أحمد رامي: كلمة الحب الصافي.

٣. محمود درويش: قيثارة الحلم.

٤. فاروق جويدة: نكهة إنسانية.

٥. بلند الحيدري: عميق كجراحه.

٦. صلاح عبدالصبور: أنشودة المطر في صيف الشعر المصري.

٧ـ عبدالرحمن الشرقاوي: خسره الشعر وربحه الفكر.

٨ أحمد عبدالمعطي حجازي: أستاذ .

٩ـ ليلى عسيران: وفية لبيئتها ولثقافتها ولقيمها.

١٠ـ غادة السمان: ما هذه الكاتبة؟ إنها جبل نسج خيوطه من جراح قلبه ويحفر كلماته بالسكين.

١١ـ ليلى بعلبكي: ثائرة حقيقية، خسارة أننا لم نفهمها حتى نحافظ على إشراقتها المتميزة.

١٢ ـ ماجدة الرومي: صوت يأخذني لعالم غير ملوث.

وسكتت سعاد الصباح برهة ورشفت رشفة من فنجان قهوتها الرابع.

وجدت نفسي أسألها:

● من هي الشاعرة العربية التي استوقفتك كلماتها المنظومة؟

ردت بسرعة وكأن الإجابة حاضرة في ذهنها:

ـ نازك الملائكة.

عدت أقول:

● «فتافيت امرأة».. هل هناك فتافيت رجل أم أن صلابة الرجل لا تتفتت؟

ـ الرجل أسهل من المرأة تكسّراً وأكثر قابلية للتفتت. إن امرأة واحدة خلعت ملك بريطانيا عن الحكم . كليوباترا أشعلت حرب القيصرين فأية صلابة هي هذه يا سيدي؟

سألت:

● ما إحساس الشاعرة بـ:

١. الفاكس.

٢. التليفون الصغير المحمول.

٣. الكمبيوتر.

ضحكت وقالت: أسئلتك القصيرة المفاجئة منشطة للذهن.

١ـ الفاكس رائع في خدماته.

٢ـ التليفون الصغير المحمول للضرورة القصوى.

٣ـ الكمبيوتر عقل في خدمة العقل

● السؤال هو: كيف تأتي القصيدة؟

ردت سعاد الصباح: والإجابة كما يلي: كيمياء القصيدة كيمياء غامضة، وليس ثمة شاعر في العلم يعرف كيف تتشكل القصيدة في داخله.

إن القصيدة هي مجموعة تراكمات ثقافية، وحضارية، وسيكولوجية، واحة تتجمع كلها في العقل الباطن.

ثم يحدث الانفجار على ورقة الكتابة.. دون أن نعرف متى.. وكيف؟

● **قلت: مقالاتك فيها نبرة الشعر. هل تعبرين عنها أكثر مباشرة؟**

أجابت: صدقني أنا لا أختار كلماتي، هي التي تختارني، دفق يمنحني الله فيه التعبير بالكلمات وهكذا تتسرب الكلمة الشعرية صورة أو تعبيراً ضمن المقالة.

● **ذكرتِ أن القصيدة لابد أن تحكي قضية وموقفا، وأن يكون لها دور تغييري وثوري، هل ترجمت تجربتك الشعرية حتى الآن هذا الدور؟**

قالت بتأنّ شديد:

- إذا لم تكن القصيدة خنجرا في خاصرة الخرافة.. فهي قصاصة ورق ولا شيء غير ذلك، والذين تابعوا شعري العاطفي وشعري القومي يعرفون جيدا أنني كنت أقاتل بالكلمات.. وأحفر الواقع بأظافري.. القصيدة في نظرى ليست حفلة عرض أزياء.. ولكنها قنبلة موقوتة تحت قطار التخلف.

● **متى تتوقفين عن كتابة الشعر؟ وخاصة أننا نعيش زمن الاحباط إن لم نقل زمن الانحطاط؟**

قالت الشاعرة:

- لا أحد يعرف متى يتوقف قلبه عن الخفقات.. إن كتابة الشعر ليست بيدى، والاستقالة منه ليست بيدي.

صحيح أننا نعيش في زمن الانحطاط.. ولكن الشعر يجمّل الحياة، ويعطيها معنى ساميا.. وظيفته أن ينقذ الانسان من مستنقع المادية، والأنانية، والجرائم والحروب، والتلوث المادي والأخلاقي.

إن الشاعر يكتب الشعر ليجعل العالم أكثر جمالا وأكثر حرية، وإذا تخلى الشاعر عن رسالته.. فسيتحول العالم إلى مقبرة كبيرة.. وغابة من الذئاب.

● **كيف ترين النقد يا دكتورة؟**

قالت:

- أنا مع النقد الذي ينصحني، ويوجهنى، ويعلمني. أما النقد الذي يحاول أن يغتال وردة طالعة، ويطفىء نجمة تتوهج، ويجهض محاولة إبداعية واعدة، فهو ليس أكثر من ميليشيات ثقافية تمارس القتل على قارعة الطريق.

إن النقد علاقة ديمقراطية بين كاتب حر، وبين قارىء حر.

● **هناك شعراء يفضلون أن تتغنى الأصوات محترفة الغناء بكلماتهم المنظومة.. وهناك شعراء يفضلون أن يقرأ الناس لهم ويتأثرون.. سعاد الصباح من أي نوع منهم؟**

قالت: أنا أعشق الغناء أصلاً، لذلك لا أخفي أنني أطرب لسماع قصيدة لي مغناة. ثم إنني لا أرى تناقضا بين ما ذكرت. لقد طبعت من دواويني عشرات ألوف النسخ، وأنشدت شعرى في عشرات الأمسيات، وأذيع عبر الاذاعات والتليفزيونات، ويدرسه الطلبة في المرحلة الثانوية والجامعات ومع ذلك فإن غناءه ييسر لمن لم يقرأه سماعه.

● **ألاحظ يا سيدتي أن قصائدك مبنية على الشكوى والتذمر من القيود المكبلة، إلى أي حد تعانين أنت من تلك القيود؟**

أجابت الشاعرة:

- ما أكتبه ليس تعبيرا عن حالة خاصة، وإنما وهو تعبير عن «وضع إرهابي» له صفة الشمول فيما يتعلق بالشرط النسائي.

قد أكون أقدر من غيري على التعبير، وعلى التحرك، وعلى التحدى وعلى المواجهة، ولكنني كامرأة تحترف الكتابة، لا أستطيع أن أغمض عيني عن معاناة ملايين النساء المعتقلات في سجون شهريار.

أما السفر فلا يعني أبداً أن المرأة المسافرة قد تحررت من جاذبية الكرة الأرضية.. ومن جاذبية القوانين الإنكشارية.

فالمرأة العربية في لندن، تحمل خشخشة قيودها معها.. في أوكسفورد ستريت، وحديقة الهايد بارك.. ومن المستحيل عليها أن تصبح خلال إجازتها الصيفية مارغريت تاتشر.

● **وهل سيجيء يوم تستقيلين فيه من مملكة الشعراء؟**

- الشاعر يقال من قبل الجماهير، ولكنه لا يستقيل. الشعر ليس مهنة كمهنة الخياطة.. والنجارة.. والبقالة.. يمكن لصاحبها أن يقفل دكانته.. ويقول: «السلام عليكم». الشعر مهنة لا نختارها نحن.. ولكنها هي التي تختارنا. ويوم يقول لنا الشعر. مع السلامة.. ولا أريد أن أرى وجهكم مرة أخرى.. فهذا يعني أن قسمتنا. انتهت مع الكتابة، ولابد لنا من البحث عن مهنة أخرى.

في الشعر لا توجد وساطات.. ولامجاملات.. ولا محسوبيات.. والجمهور وحده هو الذي يرمى الشاعر بالورد.. أو يرميه بالبيض والطماطم.

أما متى يمنحنى الشعر ترقية كبيرة؟

فأقول لك: حين أستحقها، فالشعر رب عمل صعب جدا.. وقاس جدا.. ولا يمكن لأي شاعر أن يرشوه بأي نوع من أنواع الهدايا والإغراءات.

● **أريد أن أسألك، وللدقة أسأل ذاكرتك:**

ما كلمة المديح التي أسعدتك من بين كل ما قيل عنك.. وما كلمة النقد التي أزعجتك؟

سرحت قليلا، وقالت:

- بصراحة أقول لك. لا هذه أرقصتني فرحا.. ولا تلك أسقطتني بالضربة القاضية.

الكاتب بمجرد أن يكتب، يدخل إلى محكمة الجمهور، بعض المحلفين يحكم عليه بالبراءة.. وبعضهم يحكم عليه بالاعدام.

نحن قوم لا توسط بيننا - كما يقول الشاعر - وما دمت أنتمي للجنس العربي.

وأتوجه بكلامى إلى الشعب العربي، فأنا على أن أستقبل قبلاته.. كما أستقبل لكماته.

ليس في الأدب شيء اسمه النوم على فراش من حرير.. فالكاتب الحقيقي عليه أن يتعلم، أيضا أن يمشى على المسامير كفقراء الهنود.

● **من من الشعراء كان له دور مميز في أدب الثورة؟**

أجابت وقد علّمت وجهها تقطيبة جدية شديدة:

- في تاريخ الأدب العربي كان الشاعر سلطة لا تقل عن بقية السلطات، وقد كانت القبيلة تعتبر ولادة شاعر فيها قوة لها وذخيرة معنوية وروحية.

ولا أبالغ إذا قلت إن الشاعر العربي كان بمثابة وزارة دفاع تحمي القبيلة، كما كان وزراة اعلام، ووزارة خارجية، إن الشعراء الكبار كانوا يهزون الحكومات ويهزون ضمائر الجماهير وعلى رأس قائمة الشعراء الذين كانوا يهزون الدول من سيف الدولة إلى طاغور، يأتي عملاق الشعر أبو الطيب المتنبي، الذي كان سلطة فوق السلطان.

أما المفكر العربي الكبير الحلاج فقد شُنق في بغداد لأنه كان محامي الحرية، وسقط الشاعر الأسباني العظيم (●) برصاص الظلم وهو يقاتل قوات النازية والديكتاتورية، كذلك فان صوت نيرودا كان يمثل صوت الحرية العظيم في أمريكا اللاتينية، وكان لصوت الشاعر الثوري ناظم حكمت دور في معركة التحرير من الظلم والتخلف.

● ما رأيك ببعض المواهب الشعرية النسائية المدفونة بسبب التمسك بعقدة الخجل من الجهر بالشعر.. وكيف نستطيع أن نفجر الطاقات؟

- وهل قول الشعر عيب.. حتى نشعر بعقدة من التلفظ به، إنني ضد هذا المنطق الجبان والمتخلف الذي يعتبر كتابة الشعر عدوانا على عذرية المجتمع. إن الموهبة الحقيقية، لاتستأذن أحداً لتتشكل على الورق ، والمنبع الصافي لابد أن يثقب قشرة الأرض، مهما وضعوا في وجهه العراقيل والسدود.

● هل الحركة الأدبية والفكرية متقدمة بمراحل عند الأديب الكويتي أكثر بكثير منها لدى الأديبة الكويتية؟

أجابت:

- ليس هناك أديب كويتي، عملاق، وخارق للعادة حتى نقيس المسافة بيننا وبينه، إن السؤال بهذه الشكل غير وارد، لأن المفاضلة تتطلب وجود النموذج.. والنموذج غير موجود حتى كتابة هذه السطور.

● هناك شعراء مداحون متملقون منافقون يعيشون على فتات الموائد أو فتات الأنظمة، فما رأيك بهذه الظاهرة الهابطة؟

أجابت:

- كنت أعتقد أن عصر الشحاذة انتهى من زمان بعيد.. على أن هذا النموذج من الشعراء المرتزقة لا مكان له على خريطة الشعر ومصيره دوماً في سلة المهملات.

● سألت سعاد الصباح:

. هل الغربة أحيانا تكون داخل الإنسان، وإن كان في وطنه، وبين أهله، وهل للغربة تأثير كبير على انفعالات الشاعر؟

أجابت:

- الغربة الجسدية لا أهمية لها. لأن كل الكائنات تتأقلم مع الظروف الجديدة والتغيرات الفيزيائية

(●)يبدو أن الشاعرة تقصد الشاعر الأسباني لوركا ، وربما سقط اسمه سهوا، أو حدث خطأ طباعي في اللقاء المنشور في المجلة.

التي تتعرض لها . فالنباتات تتأقلم والطيور تتأقلم.. والأسماك تتأقلم.. والثياب تتأقلم على جسد لابسها.. ولكن الغربة التي يعانيها المواطن العربي في هذا الزمن الذي لا تسميه له، هي غربة الروح، وغربة الفكر.

وفي هذا المعنى كلنا غرباء.. ومطاردون.. ومستلبون.. وهذه الغربة الداخلية لا علاقة لها بالمكان.. فقد يكون بيتك كالجنة.. ومع هذا تشعر بانك وحيد.. وغريب.. ومستلب.

وإن كان للعصافير مأوى تعود إليه في آخر الليل.. وللقطار محطة يستريح فيها من تعب النهار.. وللمراكب مرفأ تتجه إليه بعد طول السفر فإن المواطن العربي يشبه سفينة الأشباح التي ترفضها جميع المرافئ. وتلعنها جميع البحار.

● **سين سؤال يا دكتورة: ماذا تعنى لك القصيدة؟**

- جيم جواب يا أستاذ مفيد:

- القصيدة شهادة من دم ولحم، يقدمها الشاعر، يثبت أنه عاش حياته، بكل فصولها، وتحولاتها ، وصحوها، وعواطفها، وانفجاراتها.

إن الشعر هو انفجارى الداخلي، انفجار في اللغة، انفجار في التعابير، انفجار في الصور، وانفجار في الموسيقى.

كل قصيدة كتبتها، كانت نتيجة انفجار، ولا أتذكر أنني كتب قصيدة إلا والنار تشتعل في ثيابي، وفي صوتى، وفي كلماتي.

● **عودة بذاكرتك . فلاش باك وتذكري.. أين كانت أول امسية شعرية وكيف واجهت الناس وعيونهم المتفحصة؟**

كم أمسية في العالم العربي؟

كم أمسية في أوروبا؟

قالت الشاعرة:

- أول أمسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية . جامعة القاهرة والمناسبة وفاة الزعيم الراحل جمال عبدالناصر. كم أمسية في العالم العربي، إمسك الخشب. لا أعرف عددها من البحرين إلى الإمارات. مسقط، الرياض، بيروت دمشق، عمّان، القاهرة، الخرطوم، تونس، فاس، بغداد. في أوروبا، أمريكا، لندن، جنيف، واشنطن، باريس.

وعندما أواجه الجمهور أحس كأنني أقف لأول مرة على المنبر. أبدأ بخوف طفولي ثم استلهم من التجاوب الحار دفئا سرعان ما يشعل ثورتي وتحولاتي.

● **هل تكتبك القصيدة؟**

- بكل تأكيد.. القصيدة هي التي تكتبني.

فالشاعر لا يستطيع أن يفعل شيئا أمام هجمة القصيدة عليه.. ماذا تستطيع أن تفعل جزيرة صغيرة أمام حصار البحر؟

ثم ماذا يستطيع الجنين أن يفعل حين تجيء ساعة ولادته.. لا شيء.. لا شيء.

إنه يجد نفسه ملفوفا بقماطاته.. وموضوعا على السرير.. وفي فمه البيبرونة.

والشاعر الذي يقول لك إنني أفعل كذا.. وكذا.. وأجلس على مكتبي الساعة كذا وأستقبل القصيدة الساعة كذا.. وأودعها الساعة كذا.. هو شاعر لا يعرف شيئا عن ميكانيكية الشعر وكيمياء القصيدة.

● كيف تنظرين لحركة الشعر العربي عموما وفي منطقة الخليج بشكل خاص؟

- لا يمكن للحالة الثقافية والشعرية إلا أن تتأثر بالحالة السياسية وأعتقد ان المنطقة كلها تعيش في حالة تراجع وانكسار.

إن الخط البياني للشعر عموما يميل إلى الهبوط لأن المناخ إجمالا هو مناخ إحباط وهزيمة، إذا قيس بمناخ الخمسينيات العظيم، أما شعر الخليج فهو لا يزال يبحث عن هويته، وإن كنت أعتقد أنه فرع من شجرة الشعر العربية.

● كل أديب مشهور غالبا ما يتعرض للهجوم.. فهل الهجوم على أعمالك كان في بعض الأحيان لأنك امرأة.. أم لتوجهك نحو التوجهات القومية؟

قالت الشاعرة:

- السببان صحيحان. فحين تحاول المرأة العربية أن تدخل معترك الكتابة فإن آلاف البنادق والسكاكين تُرفع في وجهها.. لأنها تجاوزت الخطوط الحمراء التي وضعها الرجل حول أملاكه الشاسعة.. لذلك فإن كل محاولة لتوزيع الأراضي أو توزيع المحاصيل.. أو توزيع الدخل.. بين الرجل والمرأة تعتبر انتهاكا للقانون وتعديا على التاريخ «تاريخ الرجل طبعا».

أما السبب الثاني، فهو أنني وضعت أنفي في القضايا السياسية، والقومية والاجتماعية، وواجهت بشكل قاطع كل الفكر التجزيئي والفئوي، والإقليمي، والطائفي ولأنني كنت دائما ضد القبح بكل أشكاله.. والانحرافات بكل أشكالها.. وكل التسلط بجميع أشكاله، فقد كان لابد لي أن أتلقى العقوبة المناسبة. وكل العقوبات التي أصدرتها محاكم التفتيش لا تزعجني أبداً. بل أعتبرها ميداليات ذهبية وضعت على صدري.

● يلاحظ أن الشعر في العالم قد فقد أهميته، أمام زخم عالمنا الاستهلاكي والمادي. هل تعتقدين أن الشعر العربي أيضا لم يعد له التأثير والنفوذ الذي كان له في العصر الذهبي للشعر العربي؟

- أعطني عصرا ذهبيا مرة ثانية.. وسأعطيك شعرا ذهبيا رائعا مرة ثانية.. فالشعر لا ينفصل أبداً عن الظرف السياسي والقومي والحضاري للأمة.. فحين كان العرب أقوياء، وعظماء، ومتألقين.. كان شعرهم قويا، وعظيما، ومتألقا.. أما في عصر الانحطاط والتمزق، والهزائم.. فإن الشعر يكون متمزقا ومهزوما.

في العصر العباسي العظيم، أعطينا للعالم المتنبى وأبا تماما وأبا العلاء المعرى.. أما الآن.. فليس لدينا ما تعطيه سوى أحزاننا.

أما القول إن الشعر قد انتهى.. وإن العصر قد استغنى عن الكلمة الجميلة.. والعاطفة الجميلة.. وان الحب قد انتقل الى رحمة الله.. والعشاق قد استقالوا.. فكلام افتراضي.. إلا إذا تأكدنا أن القمر يمكن أن يستقبل.. وأن النجوم يمكن أن تنتحر.

● **سألت سعاد الصباح:**

تلقى قصيدتك القبول، ومرات تلقى الرفض، كيف تتعاملين مع الحالتين؟

أجابت بهدوء:

- الذين يتحمسون لقصائدى لهم الشكر مرة.

والذين يرفضونها لهم الشكر مرتين.

فأنا بشر أكتب إلى بشر مثلي.. لهم أفكارهم، ومواقفهم ومشاعرهم، إن الذين ينتقدون شعرى لهم عندى ذات الاهمية، وذات التقدير، لأنني أتعلم منهم كيف أتجنب عثراتي وأخطائى.

وليس هناك أديب أو شاعر في العالم، إلا ومشى على الورد مرة، وعلى الشوك مرات. لذلك فإن الكلمة التي تجرحنى لا تقل أهمية عندي عن الكلمة التي تعانقني.

● **هل للشعر مكان في زمان الفضائيات، واكتشاف الأجرام السماوية؟**

- للشعر فضاؤه الخاص.. كما للقلب شموسه ونجومه، وأجرامه السماوية، لا أتصور أن أحد يمكنه أن يهدد الشعر، ويلغي صوته، إن رواد الفضاء استطاعوا بقيادة آرم سترونج، أن يصلوا إلى قمر السماء وينتهكوا عذريته.. ولكنهم لم يستطيعوا أن ينتهكوا قمر العشاق.

قلت للشاعرة:

● **قصائدك جميلة في طفولتها، وجميلة في بساطتها.. مع أن الموضة الشعرية السائدة تعتبر التعقيد والغموض شرطين ضروريين من شروط القصيدة الناجحة. فكيف تفهمين اللغة الشعرية؟**

ضحكت بصوت عال من قلبها وكان ردها:

- إذا كنت أستطيع أن أجلس مع الناس ببساطة، وأتكلم معهم ببساطة وأنقل احاسيسي لهم ببساطة، فلماذا أفعل العكس؟

إن كل من في الدنيا يستهدف الإيصال.. أي يفترض وجود طرف ثان يقرؤه، أويسمعه، أو يتذوقه.. وحين ينتفى الطرف الثاني، أي المتذوق، ينتفى الفن.

إن اللغة الشعرية عندي لا تختلف كثيرا عن اللغة اليومية التي أتكلم بها.. فليس هناك في نظري لغتان للكاتب.

لغة سرية يتكلم بها مع نفسه.

ولغة علنية يخاطب بها الآخرين.

وبكلمة واحدة أقول: إنني ضد كل اللغات السرية.

فأنا أكتب، كما أتنفس.

● **بالمناسبة:**

. أي عذاب تعانينه أثناء الابداع الشعرى؟

ردت:

. أقرب صورة لهذا العذاب.. هو عذاب اللؤلؤة عندما تخرج من المحارة وعذاب البرعم في لحظة التشقق.. وعذاب الأم في لحظة التكوين.

● أسألك:

صدى القصيدة التي تكتبها وتلقيها سعاد الصباح يتجاوز حدود المكان الذى تكتبها فيه، أو تنطلق منه لتستقر في الوجدان، ترى ما السر الذي اعطاها هذه الجاذبية؟

قالت الشاعرة: وأنا أجيبك:

. إن جاذبية الشعر هي في صدقه، وقدرته على استيعاب مشاعر وأفكار الناس، والإجابة عن أسئلة التاريخ. الشعر حصاد إنساني يجب أن يوظّف لخدمة كل البشر.. وليس هناك شعر حقيقي يتوجه الى سكان الكواكب الاخرى.. إذا استطاع شعرى ان يتجاوز حدود المكان ويذهب بعيداً ليذوب في وجدان الناس فلأنه كان صوت من لا صوت لهم، وشفاه من لاشفاه لهم وكان دائما يثير قضايا ويطرح أسئلة.

الشعر فعل تغيير.. ولا سيما في عالمنا الثالث، الذي يسحقه الجوع والفقر والقمع والإرهاب والاعتداء على حقوق الإنسان. والشاعر الذي ينحنى أمام الأمر الواقع، ويعتبر أنه «ليس في الإمكان أبدع مما كان» عليه أن يستقيل من الشعر فورا.. ويذهب إلى بيته.. إن الشعر كان وسيبقى دائما لسان حال العرب، والناطق الرسمي باسم أفراحهم وأحزانهم وأحلامهم القومية.

فاذا فشل بعض الشعراء في أداء دورهم التغييري والنضالي.. فإن الفشل هو فشلهم لا فشل الشعر.

سألت الدكتورة سعاد الصباح:

● نزار قباني، ماذا يعنى لك شعريا؟

قالت الشاعرة:

. يعني الكثير.

وصمتت. وأصغيت.

ويبدو أن عبارة «يعنى الكثير» كانت مقدمة لما تريد أن تعبر به وتقول.

ولأن الإصغاء . في لغة المحاور. تحريض على البوح، أصغيت!

ف

فتكلمت.

سأبقى أحبك

1

أحبُكَ..
رغمَ ألوفِ العُيوبِ الصغيرةِ فيكَ
وأعرفُ أنكَ لا تستحقُ عطائي.
وأمضي بنفسي على ساعديكَ
ولا أتذكرُ أينَ أمامي...
وأينَ ورائي..

2

أحبُكَ...
حتى حُدودِ السذاجةِ
حتى حُدودِ الغباءِ..
وأعرفُ أني سأغرقُ في آخرِ الأمرِ،
في شبرِ ماءِ..
فسامحْ غبائي..

3

أحبُكَ جداً..
وأعرفُ أنَّ مزاجَكَ
غيمٌ.. وبرقٌ.. ورعدُ..
وأني تزوجتُ فصلَ الشتاءِ
وأعرفُ أنَّ التقدُمَ صعبُ
وأنَّ التراجعَ صعبُ
وأنَّ بحارَكَ دونَ ابتداءِ..
ودونَ انتهاءِ...

أحبُكَ جداً
وأعلمُ علمَ اليقينِ
بأني أؤسسُ مملكةً في الهواءِ...

4

أحبُكَ جداً..
وأعرفُ أني سأقتحمُ المستحيلْ
وألمسُ سقفَ السماءِ
أحبُكَ حتى التهورُ
حتى التبخُرِ
حتى التقمُّصِ فيكَ
وحتى فنائي.

5

أحبُكَ.. من دونِ قيدٍ.. ومن دونِ شرطٍ
وأعرفُ أني تجاوزتُ كلَّ الخطوطِ..
وأحرقتُ نصفَ البلادِ ورائي.
أحبُكَ.. من دونِ أيِّ حسابِ
وأعرفُ منذُ البدايةِ
أني سألقى جزائي..

6

أحبُكَ جداً
وكم كنتُ أرغبُ أن لا أحبُكَ
لأنها نُقطةُ الضعفِ عندَ جميعِ النساءِ
ففي حالةِ العشقِ..

لسنا نفرّقُ بين السُّفُوحِ
وبين الهضابِ
وبين السُّطُورِ وبين الكتابِ
وبين الثّوابِ وبين العقابِ
وفي حالة الفَوْقِ..
لسنا نفرّقُ بين النّبي وبين المُرابي
أُحبُّكَ جداً..
فهل يا تُراني، أحبُّ خَرابي؟

7

أيا أيُها الديكتاتورُ الصغيرْ
أنا لا أُلومُكَ مهما فعلتْ
ومهما قمعتَ شُعُوري
ومهما كسرتَ خيالي..
ومهما بطشتْ
فلم تَكُ يوماً قوياً
لكنَّ ضَعْفي خلاكَ تُحْسَبُ في الأقوياءِ
ولم تَكُ يوماً كبيراً
ولكنْ أنا..
قد رفعتُكَ بالحبِّ نحو السَّماءِ..

8

أيا سيّدي:
لا تؤاخذْ جُنُوني
فإنّي بدائيّةُ النزواتْ
وعشقي -- مثلي -- بدائي
سأبقى أُحبُّكَ
مهما ضجرتَ
ومهما صرختَ
ومهما احْتَجَجْتَ
ومهما أردتَ التحرُّرَ من كُحْلِيَ العربي..
ومن شعريَ الكستنائي..
سأبقى أُحبُّكَ
حتى تسيلَ دماكَ
وحتى تسيلَ دمائي...

من ديوان «خذني إلى حدود الشمس».

(٧)

أنـــا ونـزار

رغم أنني كنت أسجل حوارنا ـ سعاد الصباح وأنا ـ على شرائط حساسة تحتفظ بالآهة والضحكة المجلجلة وتقطيبة الجبين الغاضبة.. فقد اكتشفت أنني كنت أسجل بعض ملاحظاتي الخاصة فوق قصاصات من الورق بقلمي الجاف. هذه الملاحظات كنت أسمعها من الشاعرة وأنا معها ـ مثلا ـ في سيارتها أو في طريقها للمطار تودع أحفادها أو عندما خرجت للصيد في عرض البحر. كان جهاز التسجيل مغلقاً في هذه الأثناء، فكان قلمي يقوم بمهمة التسجيل!

هأنذا أقرأ من القصاصات، الملاحظات المدونة:

● القصيدة السياسية ـ بشرط ألا تكون شقة مفروشة للإيجار ـ هي قصيدة تعبر عن حالة.

● أنا سعيدة لأن شعري على اختلاف موسيقاه وأنماطه يجد في الأصوات الجميلة جسره إلى الناس.

ملحوظة: كنت أمتدح ماجدة الرومي عندما غنت قصيدة (كن صديقي).

● عندما قابَلَت سعاد الصباح بعض معجباتها سمِعتُ منهنّ غزلا حلوا في قصائدها خصوصا التي تضع الرجل في حجمه الحقيقي، احمرّ وجهها خجلاً من من المديح وأخذت تعبث في مفاتيح سيارتها!!

● أصارحك بأن طريقي ليس مليئاً بالأشواك ولولا بعض الأعشاب المريضة التي تريد أن تنقل عدواها إلى الأصحّاء، لكنت ـ والله ـ أكثر راحة!

● بالمناسبة، أنا لا أرسم لأولادى سكة حديد يعبرها قطار حياتهم كما أشاء! هذا خطأ.

● وكنت قد سألت الدكتورة سعاد الصباح: ماذا يعني لك نزار قباني، شعريا؟

ـ وتلقفت السؤال باهتمام. ذلك أن سعاد الصباح متهمة بأنها خريجة المدرسة النزارية في الشعر، ومن يقرأ قصائد سعاد الصباح يشعر أنها (الألفة)«●» على فصلها في تلك المدرسة التي هضمت قصائد نزار قباني، وعندما تخرجت صار لها أسلوبها ولكنه متأثر بنزار.

قالت سعاد الصباح: ذات مرة سئلت من مجلة (فنون) على ما أتذكر وربما في العدد الصادر في شهر يوليو عام 1995 قالت لي المحررة: لن نتحدث عما أثير من اتهامات حول موضوع نزار قباني وعلاقته بشعرك. بل نسأل سؤالا معاكساً: ما علاقة شعرك بنزار قباني؟

وقد قلت لها ـ والقصاصة أمامك من نفس ذات المجلة ـ لن أحيلك على عشرات الأجوبة التي أعطيْتُ رداً على هذه النكتة البايخة. إذ سوف أفترض بحسن نية أنك لم تقرئي ذلك من قبل. وإلا لكان تكرار السؤال مظنه سوء. أعيذك منها. ما هي علاقة شعري بالأستاذ الكبير نزار قباني.

سؤال معاكس.. لماذا؟ إنه السؤال ذاته يبحث عن رداء وأنا لا أحب الاختفاء وراء الألفاظ، أستاذي الكبير نزار قباني ليس شاعر شنطة وإنما شاعر بنى عمارات شعرية على امتداد الوطن. نزار جامعة شعرية تعلمنا فيها جميعاً. نزار ليس شاعراً سريا نخبئة تحت معاطفنا، إنما هو مطر شعري ضرب نوافذنا. نزار مد جناحيه على لغتنا أكثر من خمسين عاما. فمن منكم لم يتأثر بشعر نزار فليرفع اصبعه؟

«●»: الأولى

وصمتت سعاد الصباح وقد احترمت فيها عبارة (أنا لا أحب الاختفاء وراء الألفاظ)

● فقلت لها: هل يزعجك - يا دكتورة - أن يوصف شعرك بالتأثر بشعر نزار قباني؟

- مطلقاً، لا يزعجني ذلك. هل تنزعج المرأة عندما يشبهها أحد بالقمر؟ نزار قباني شاعر معروف جداً ونحن لم نستطع أن نتخلص من لغته فجيلي والجيل السابق واللاحق لم يستطيعوا التخلص من قاموس نزار، وإن كان لكل شاعر شخصيته. نزار قباني جامعة وعلى الدوام يرغب الإنسان بالانتماء الى الجامعات الكبرى وأنا أنتمي إلى هذه الجامعة العريقة.

ولأننا - يا سيدي - نعيش في عالم ذكوري لم يقل أحد لهؤلاء الرجال الذين تأثروا في بداياتهم بنزار ومازالت بعض كلماتهم مستقاة من قاموس نزار ولم تكتب عنهم الأقلام.

حتى محمود درويش قال لك مرة - في مجلة الدوحة القطرية قد حاورته أنت وقال لك - بالحرف الواحد: نعم تأثرت بنزار ومن لم يتأثر به؟

كثيرون لم يتعلموا الشجاعة وأنا امرأة فخورة بأني أنتمي الى جامعة نزار.

أعود إلى سؤالك: ماذا يعني لك الشاعر نزار قباني.. شعرياً؟

- وأجيب عنه عام 96 كما يلي. هل يسجل المسجل؟

قلت لها: لم تفته كلمة مما قلت يا دكتورة.

قالت سعاد الصباح: نزار قباني يعنى لي تاريخا شعريا طويلاً ومؤثرا يمتد من مقاعدنا في المدارس الثانوية إلى تفاصيل حياتنا اليومية، تعلمنا على يديه وأحببنا على يديه. وتزوجنا على يديه. كان دائماً عرابنا ومعلمنا.. ومستشارنا في القضايا الحياتية والعاطفية. أما لغتنا الشعرية، فهو موجود بها في لغة العشق حتى يأتي عصر لا يعرف ماهو العشق.

همست لسعاد الصباح بنفس الوصف الذي كان الموسيقار عبدالوهاب يتفوه به عندما يعجبه شيء: «حلو.. شيء خطير!!»

ابتسمت وقالت: (أنا لا أختفي - كما قلت لك - وراء الألفاظ) بالفعل نزار بنى عمارات أدبية.

● قلت لسعاد الصباح: أنت شاعرة عربية تتحدى كل الرياح والأعاصير التي أرادت أن تلوى عنقها.. ما السر في انتصارها النهائي عن كل التحديات؟

- **أجابت:** عندما يضع الكاتب نصب عينيه أن يستشهد على ورقة الكتابة.. تسقط كل الخيارات الأخرى..

الكلمات لا تعرف أنصاف الحلول.. ولا تجيد فن البهلوانيات والرقص على الحبال.. فإما أن نقول الكلمة بكل زخمها وأبعادها وإما أن نسكت. العالم العربي ليس بحاجة إلى مزيد من المشعوذين والدجالين ومسّاحي الجوخ، ومرتزقة الشعر.

ولقد حاولوا كسر عنقي ولكنهم لم يستطيعوا كسر عنق كلماتي.. وحاولوا أن يرجموني ولكنهم لم يستطيعوا رجم القصيدة .. وحاولت مقصات الرقباء أن تقص كتبي ولكن كتبي تناسلت كالأرانب في كل بيت عربي.

ومادام الشعب العربي معي.. يقرؤني ويسمعني ويتابعني فإن جبيني سيبقى دائما مرتفعاً.. ورایاتي ستبقى دائماً خفاقة.

● مارؤيتك للشعر الأوروبي المعاصر، وما موقفك من كل من نيرودا، إيليوت، بودلير، رامبو، باوند، وهل اطلعت على المدارس الحديثة في أمريكا أو الاتحاد السوفيتي أو أوروبا؟

- فكرت قليلاً وقالت: كنت في مرحلة من حياتي مأخوذة بالرومانسية الأوروبية (لامارتين، موسيه، بايرون، وودز ورث.. إلخ) وانعكاساتها العربية (مدرسة أبوللو، جبران خليل جبران، الشعر المهجري)..

مع دخول العصر المعدني، والواقعية الاشتراكية والماركسية، والمادية الجدلية، وغيرها من الايديولوجيات.. وجدت أن الرومانسية لم تعد ممكنة.. وأن الاستلقاء في ضوء القمر أصبح مهمة مستحيلة. وهكذا هربت الى أحضان الواقعية، ووجدت في بودلير، ورامبو، وبول إيلوار، وأراغون، ونيرودا، وإيليوت، ومایاكوفسكي، وويتمان، ملجأ يحميني من أسنان هذا العصر الفولاذي.

وبعد عصر العمالقة الذين ذكرتهم، لم يعد في الشعر الأوروبي ولا في الشعر الأمريكي أية إضاءات باهرة.

● هناك ملاحظة يا سيدتي.. لوحظ أن جمهور الشعر أصبح قليلا في الوطن العربي.. ماهي الأسباب؟ وهل هذا يؤثر على موقع الشعر لدى الأجيال المقبلة؟

- **وهكذا أجابت:** ظاهرة انحسار الشعر أمام هجمة التكنولوجيا لا تقتصر على الوطن العربي.. وإنما هي ظاهرة عالمية.. فالتقدم العلمي الهائل الذي حققه العالم خلال السنوات العشر الأخيرة على صعيد المواصلات والأقمار الصناعية. وتطور الأجهزة السمعية والبصرية يشكل خطرا حقيقياً على الشعر، لأن الذين كانوا يشترون كتاب الشعر.. بدأت تخطفهم صرعات العصر الحديث ولعبة الضوء والصوت.. وأشعة الليزر وهذا الزلزال الياباني في التكنولوجيا.. الذي سيقلب العالم رأساً على عقب سنة 2000.

أما الأجيال العربية القادمة.. فسيكون لها شعرها.. وموسيقاها.. وثقافتها الخاصة. ولا أتصور أن هذه الأجيال سوف تبقى على علاقة طيبة مع المتنبي وأبي تمام، وأبي نواس.

صحيح أن الشعب العربي عاشق للشعر بحكم غريزته ومرتبط بالأوزان والقوافي ارتباطا تاريخياً. ولكن من قال أن التاريخ لا يتطور؟ والأذواق لا تتغير؟.. طبعا.. لن ينقرض الشعر نهائياً في القرن الواحد والعشرين.. ولكنه سيجد طرقاً أخرى للتعبير عن نفسه.

● سؤال مباشر إلى الشخصية العامة سعاد الصباح: هل ثمة صعوبات تعترض عمل المرأة العلمي؟

- **أجابت:** بما أن الرجل تاريخيا هو الذي يملك سلطة القرار ومفاتيح الحكم والمؤسسات. فمن الطبيعي أن يعتبر دخول المرأة إلى مجال عمله وسلطته نوعا من المنافسة. وكل منافس بصورة عامة غير مرغوب فيه. واستنادا إلى هذا الواقع الذي يلعب فيه الرجل دور المشرِّع والمنفّذ فإن المرأة - أي امرأة - لا يمكنها أ تؤدى أي دور إداري أو سياسي أو علمي أو ثقافي إلا إذا كانت ترتكز على رجل يقف وراءها ويكون مؤمنا بقدراتها الذهنية والعلمية.

ومع الأسف فإن قلة من رجالنا تستطيع أن تتغلب على عقدة الرجل الحاكم وتقبل أن تتخلى للإبنة أو الزوجة أو الشقيقة عن الامتيازات التاريخية.

هذه هي الصعوبة الداخلية الأولى التي تواجهها المرأة.. أما الصعوبات الخارجية، منها صعوبة اختراق جدران الدولة التي هي - شئنا أم أبينا - دولة الرجال وتحكم على طريقة الشركات المحدودة الأسهم. أما الصعوبة الخارجية الثانية فهي صعوبة التشكيل البنيوي للمجتمع الذي لا يزال يعتبر خروج المرأة من دارها للمشاركة في بناء المجتمع نوعا من الخروج على التقاليد.

ولابد لكسر هذه الدائرة التاريخية من تغيّر منطق الرجل أولا ومنطق المجتمع ثانياً ومنطق الدولة ثالثاً. وأعتقد أن النماذج النسائية الناجحة المفروض أن تلعب دوراً في التغيير هي التي ستؤدى إلى إعادة التوازن بين الجناحين اللذين يرتفعان بالأمة إلى ذرى الرقي والحضارة وبناء مجتمع قائم على الاحترام.

● **تعيشين في أكثر من مكان. ألا يؤثر ذلك على الاستقرار المطلوب للعملية الإبداعية؟**

- ومن قال أن العملية الإبداعية تحتاج إلى (الثبات)؟ إن ثبات الإنسان في مكان ما يدخله في طور (الاعتياد) والروتين ويحوله إلى وتد خيمة.. أو عمود كهرباء.. أو خط من خطوط السكة الحديدية.

إن السفر هو ثقافة أخرى، وقراءة المدن لا تقل أهمية عن قراءة الكتب.. أهم نماذج الشعر العربي كتبت في حالات الارتحال. ولولا أسفار المتنبي لما كان هناك متنبي، ولولا الصعلكة لما كان هناك عروة ابن الورد. وارتحالات رامبو وهيمنجواي وشوبان ودالي وبيكاسو وعزرا باوند، ورفائيل البرتي، ويونسكو، وسان جون بيرس.. هي التي أعطت العالم هذه الثروة الشعرية واللونية والمسرحية الهائلة.. وأغاني (التروبادور) و(الجيتان) و(الهيبين) أليست هي الأخرى ثمرة الرحيل والمغامرة والحرية؟ قد يحتاج العالِم الفيزيائي أو الكيميائي إلى سنوات من الإقامة في مختبره ليتابع تطور خلية أو فيروس.. أما الفنان فإن مختبره العظيم هو الحياة.. واكتشافاته الكبرى تكون عن طريق الرحيل.. والإقلاع في بحار الحرية.. ومادمت أكتب.. فإن كل مدن العالم هي مدني.. وكل فنادق العالم هي بيتي.

● **بالمناسبة. في رأسي سؤال: لماذا تحرصين على حضور جلسات مجلس الأمة الكويتي؟**

- **أجابت وهي تنتقي كلماتها:** مجلس الأمة منبر لحرية الرأي والحوار في مختلف مناحي حياتنا، أتابعه لأعرف ما يدور في بلدي ولأتزود بفهم أوسع وأكثر واقعية لمجريات أمورنا، حتى أتمكن من المشاركة في الرأي، وهو ما أفعله عبر لقاءات مغلقة أو مفتوحة أو من خلال الصحافة.

● **أسأل عن: صفات أساسية تتوخينها في صداقاتك مع الجنسين ويفترض وجودها؟**

- وأجيبك، **هكذا قالت الشاعرة**، : أنا لا أميز في اختيار الأصدقاء لذلك فإن السمات يجب أن تكون واحدة. أولها: الصدق. أنا لا أريد صديقا يحرق لي البخور إطراء إذا كنت أستحق كلمة الثناء أقبلها، فإذا تجاوزت حدودها عافتها نفسي.

ثاني شروط الصداقة: ألا تكون غايتها أكبر من الصداقة أو أكثر شططا. ثالثها: أن يعاملني الصديق كصديقة إنسانة فلا يصنع لي مكانة عالية ولا يتصل بي عبر المراسم. أن يتذكرني الأصدقاء لحظة الحزن وليس في ساعات الفرحة، وأن يكونوا معي في وجه الإعصار لا خلفي.

أعرف رؤيتك ـ للمرأة العربية ـ في قصائدك ورؤيتك للرجل الشرقي؟

أجابت سعاد الصباح شعرا: يختلف التعبير من حال إلى حال دعنا نقرأ معا عن الرجل:

أمثقف؟؟
ويقول في وأد النساء..
فأي ثقافة هذي.. وأي مثقفين؟
أمثقف؟؟
ويريد أن يبقى حبيبته بسرداب السنين؟
أتقدمي في كتابته؟
آمنت أنك سيد المتعصبين..
ما كان يخطر لي بأنك جاهلي
من غلاة الجاهلين
فكرت أنك طبعة أخرى
ولكن وجدتك
طبعة عادية كالآخرين!!

«من ديوان فتافيت امرأة»

وعن المرأة:

لأن الحب عندنا
انفعال من الدرجة الثالثة
والمرأة مواطنة من الدرجة الثالثة
وكتب الشعر كتب من الدرجة الثالثة
يسموننا شعوب العالم الثالث

«من ديوان في البدء كانت الأنثى»

● سؤال بعيد عن الشعر يا دكتورة سعاد: ما هي مساهمتك كباحثة لها اهتمامات كبيرة وواسعة في مجال الاقتصاد؟

قالت الباحثة سعاد الصباح: الواقع أن علم الاقتصاد هو علم متشعب ويرتبط بالعلوم الاجتماعية الأخرى ارتباطا وثيقا، كما أن معالجته للسلوك الاقتصادى للإنسان تتطرق لاعتبارات سيكولوجية وإنسانية.. وعلم الاقتصاد يتقدم بسرعة مذهلة سواء في تخصصاته المتعددة أو في ظهور تخصصات جديدة أو في استخدام أساليب متقدمة ومتنوعة للبحث. منها: الرياضيات والإحصاء والهندسة، وعلى هذا الاساس فإن الباحث في علم الاقتصاد يظل دائما تلميذاً يتعلم في فروع الاقتصاد المتعددة، ومهما اكتسب الباحث ففي ظل التقدم العلمي السريع يجد نفسه دائما في المراحل الأولى لاكتساب

المعرفة، غير أن علم الاقتصاد من ناحية أخرى هو علم شيق يتطرق للإنسان وسلوكه الاقتصادى كما أنه يتدرج في أهميته ليرتقى إلى مستوى العلاقات الدولية، ولا أغالى إن قلت إن الاقتصاد هو صلب قضية الحرب والسلام، وفي هذه الخلفية فإن مساهمة الباحث تكون محدودة تتزايد مع مرور الزمن واكتساب الخبرة.

ومساهمتي حتى الآن تتمثل في عديد من الدراسات التي تتخذ من دراستي للدكتوراة منطلقا. وفيها حاولت أن أقدم إطارا لتخطيط التنمية يجمع بين الأهداف الاقتصادية والاهداف الاجتماعية ويأخذ في الاعتبار الطبيعة النفطية لاقتصاديات الدول الخليجية واعتمدت الدراسة اسلوبا كمّيًا في التقدير وفي القياس وفي استخلاص المعالم الكمية والسياسية التنموية، كما أنها استخدمت أساليب البحث الميداني لمحاولة التعرض للدوافع والحوافز التي تؤثر على السلوك الاقتصادى للمواطن الخليجي.

● مثلتِ الكويت في عديد من المؤتمرات والمنظمات، فما هو شعورك وأنت تقومين بهذه المهمة؟

- شعور المقاتل على خطوط الدفاع الأمامية.

● تنوعت اهتماماتك بين عضوية منظمات عربية ودولية أي الأدوار في هذه المؤسسات تحوز رضاك؟ ولو خيرت بينها، فأيّها تختارين؟

- عندما يكون إسعاد الإنسان هو المطلوب، فإن كل المؤسسات والتجمعات التي أشارك بها تسعدني. إن الإنسان هو خياري الوحيد.. وأنا مستعدة أن أعطى ضوء عيني من أجله.. بصرف النظر عن جنسه، ولونه، ولغته.

● هل أصبحت المرأة العربية عنصرا مؤثرا وفعالا في خطط التنمية الخاصة بالدولة؟ وما مدى هذا التأثير؟

- أي خطط تنمية؟ أي دولة؟ أي تخطيط؟ هذا حلم من أحلام اليقظة لا أعرف متى سيتحقق، لكن ما أعرفه أن الرجال وحدهم هم الذين يضعون خطط التنمية وهم الذين يرسمون استراتيجية المستقبل، وهم الذين يمسكون بمفاتيح السياسة والمال والإدارة، أما المرأة فكل ما تستطيع أن تخطط له هو قائمة الطعام.. وألوان أثوابها وأحذيتها.. حتى اختيار أسماء أولادها، لاتستطيع أن تقرره وحدها.

● كيف يمكن للمرأة الخليجية الإسهام الحقيقي في تنمية مجتمعها؟

- أعتقد أن مشكلة المرأة الخليجية - وربما مشكلة الرجل الخليجي أيضا- أنها غرقت في البحبوحة، وأمطار النفط، وسهولة الحياة الاستهلاكية بحيث صارت تعيش حاضرها فقط دون أن تفكر في المستقبل فلم تعد تنظر أمامها ولم تعد تتطلع إلى يمينها أو يسارها، معتبرة أن الأرض ستظل حبلى بالذهب الأسود.. والنخيل سيعطي الرطب.. والبحر سيعطى اللؤلؤ.. هذه النظرة الكسولة المسترخية المطمئنة أبعدت المرأة الخليجية عن القضايا الكبرى، وحبستها في دائرة مغلقة من الفردية وعبادة الذات.

والمطلوب من المرأة الخليجية أن تخرج من زجاجة الصمغ التي علقت أقدامها بها.. ويكون لها رؤية

مستقبلية وطموحات ثقافية وعملية، لأن الحياة ليست ركضا وراء السراب أو وراء غمامة نفطية سريعة التبخر..

● إلى أي حد استطاعت المرأة الكويتية المثقفة خدمة مجتمعها في غير مجال العمل الذي تمارسه؟

- استطاعت المرأة الكويتية اختراق جدران المجتمع الأسمنتية لتثبت وجودها وتفرض احترامها على الآخرين من خلال احترام نفسها والإتقان في عملها، وما كان دخولها الحياة العملية نوعا من التبرج ولكنه بهدف المشاركة في بناء المجتمع العصرى القائم على تعاليم الدين الحنيف، وقد استطاعت المرأة الكويتية إثبات نجاحها في كل مجالات العمل التي تقلدتها.

وذلك نابع من أن مشاركتها كانت نتيجة رغبة أكيدة في المساهمة بوضع حجر في بناء صرح المجتمع، كما كانت دائما العمود الفقرى للأسرة.

● تتحدثين في كتاباتك وقصائدك عن الغربة والاغتراب.. وهناك اتهام لك أنك تصنعين هذا الإحساس ولم تواجهي الاغتراب؟

- هناك غربتان: غربة الجسد وغربة النفس. فتغير المكان، أو تغير العنوان، أو تغير اللغات والأصدقاء لايسمى في اعتقادى غربة لأن الاغتراب الحقيقي هو في داخلنا.. إن الذين يعتقدون أنهم إذا لبسوا القبعات وارتدوا معاطف المطر، أصبحوا مواطنين فرنسيين أو بريطانيين، لايدركون أن غربتهم هي غربة سياحية، ومعاناتهم هي معاناة سطحية.

كم من مواطن موجود في وطنه هو أكثر اغترابا من المهاجرين عنها، وكم من مواطن يعيش في مسقط رأسه وهو بالفعل لايعيش.

والمواطنون العرب الذين حكمت عليهم الظروف أن يعيشوا في ظل أنظمة لاتعترف للإنسان بحرية الحوار، أو حرية الصراخ، أو حرية الغناء، أو حرية البكاء.. هؤلاء المواطنون يستطيعون أن يصفوا لنا ماهو المنفى الداخلي وماهي عذاباته.

هذا هو المنفى الداخلي وهو منفاي الحقيقي.. وأنا لا أخترعه أو أصطنعه لأن أحزان الإنسان لاتُصنع ودموعه لاتخترع.

● أصدقاء تعتزين بهم في العالم العربي؟

- أصدقاء كثيرون من قاع المدينة وآخرون في القمة، مرورا بمن عرفتهم وتربيت معهم وتعلمت معهم وعلى أيديهم.. رصيدى الكبير في هذه الدنيا هم الأصدقاء.. كم أنا ثرية بهم ومعتزة بدخولي عالمهم.

● الثقافة في رأيك؟

- الثقافة هي إبحار مستمر بين حروف الأبجدية، هي البحث عن النفس.. وعن آلاف الأسئلة التي تعذبنا علّنا نجد جوابا عليها.

إن الثقافة هي سؤال والإنسان الذي لا يسأل يأخذ أوصاف الحبر وثباته، إن حياة الذين يحترفون

الثقافة تشبه حياة البحارة الذين يحترفون المجهول، والمرافئ التي لاتأتي.

● **ناديت للحرية في أغلب أعمالك فما حدود هذه الحرية وأهدافها من وجهة نظرك؟**

- عندما أطالب بفتح باب سجن النساء فلكي تتمكن السجينات من استنشاق بعض الهواء ورؤية لون السماء الحقيقي، واستعادة اعتبارهن ككائنات بشرية لها كرامتها ولها قيمتها الإنسانية، ولما كانت الحرية مسئولية، فمن الطبيعي أن يكون استعمال هذه الحرية استعمالا مسئولا.. لا استعمالا عبثيا، أو فوضياً.

إنني لا أومن بالتسيب.. والفلتان.. ولا بالنقل عن نموذج الحرية الأوروبية، فللمجتمع الأوربي جذوره وميراثه ومكوناته وللمجتمع العربي جذوره وميراثه ومكوناته.

إن الحرية التي أطالب بها للمرأة العربية، هي الحرية التي تسمح لها بأن تختار دون أن يختار أحد عنها،.. وأن تقرر دون أن يقرر أحد عنها ألا تكون هناك حراسة على أفكارها وأحلامها وتطلعاتها المستقبلية، إنني أريد أن أفك هذا «الحجر التاريخي» عن عقل المرأة.. لأن بقاء المرأة في «الكرنتينا» أو في مستشفى المعاقين.. سيجعل المجتمع كله معاقاً.

الحرية رغيف خبز ساخن يقتسمه الرجل والمرأة معا.. وليس من المعقول أن يتصرف صاحب المخبز.. بكل الخبز.. ويترك لزوجته الفتات.. وإذا لم يفهم صاحب المخبز.. أن نظام السخرة قد انتهى.. وأن العاملات في المخبز لهن نصيب من الإنتاج فسوف يأتي يوم يجدون فيه صاحب المخبز محترقا داخل فرنه!

● **العقل العربي كيف ترصدينه كأمرأة لها رؤى؟**

- العقل العربي كالطفل بحاجة إلى من يرعاه، ويغذيه، ويعتني به، أما محاصرة هذا العقل وقمعه، والختم عليه بالشمع الأحمر، فيؤدي إلى ضموره وموته.

إن العقل العربي في الماضي والحاضر، كان عقلا متميزا وخلاقا.. ومتوهجا والحق ليس على العقل العربي، وإنما على الذين يتعاملون مع العقل العربي وكأنه قطعة روبابيكيا.

● **قلت لسعاد الصباح وكنا نجلس في مكتبها بأعلى عمارة في الكويت لماذا تفضلين الأماكن العالية «مكتبك مثلا»؟**

ضحكت، وفكرت وقالت: أعشق رؤية السماء من أقرب نقطة إليها، أعشق رؤية المدى في أوسع آفاقه، لا أحب الأماكن المحاصرة.

● **سعاد الصباح الإنسان ما الذي يحزنها وما الذي يدخل البهجة على قلبها وقسماتها؟!**

- يحزنني حزن من أحب، يحزنني العجز عن أن أكون يداً لكل من يحتاج وعياً، لكل من يطلب بصراً، تحزنني رؤية عجوز تعبر بشارع الحياة دون أن تجد من يأخذ بيدها.

أما البهجة فهي أن ترى السعادة في حياة وعيون من حولك، بالطبع يسعدني النجاح في عمل أسعى فيه، وفي أمسية شعرية أتلمس خلالها حباً كبيراً في العيون، سعادتي أن أرى سنابل البيت تعطى قمحها.. وتتكاثر.

● **لو طلب إليك أن تمنحي صوتك لإنسان مظلوم.. أو لشيء ما.. فلمن تمنحينه؟**

- أمنحه للحرية أولا.. وللحرية ثانيا.. وللحرية ثالثا..

● **هل وجدت مسز تاتشر «امرأة حديدية» عندما قابلتها؟**

- بالتأكيد أنها تعرف ما تريد، تنظر إلى البعيد وتستقرئ التاريخ تحكم بما تؤمن أنه حق ولاتجامل أو تضعف ولاتهون الصعب، حازمة في قرارها وتعرف أبعاده وتتحمل أخطاره بمسئولية واقتدار كاملين، ورغم ذلك فهي ست بيت من الطراز الأول.

● **ماذا أخذت سيمون دى بوفوار من جان بول سارتر وماذا أخذ هو منها؟**

- أخذا من بعضهما رحيق علاقة كاملة أنبل ما فيها الوفاء والتفاهم والرؤية المشتركة للحياة والكون والفن، لقد أعطيا بعضهما القدرة على البقاء أحياء وأحسب هذه العلاقة الكبيرة المعلنة مسئولة عن إطالة عمرها، فضلا عن إثراء التجربة الثقافية التي شكلت منعطفا فلسفيا في التاريخ البشري.

● **عندي أسئلة قصيرة جداً، أريد أن أعرف إجاباتها:**

١ - كبرياء مرفوضة.. ما هي؟

٢ - رجولة بلا رجولة.. متى؟

٣ - أم لاتستحق لقب أم.. من؟

٤ - ذكاء شرير.. متى؟

قالت: أنا جاهزة!

١- إذا كانت مبنية على الخطأ أو الجهل.

٢- إذا اقتصرت على الطعن من الخلف.

٣- حين تترك اطفالها في أحضان الهنديات والفلبينيات.. الخ

٤- عندما يستخدم للغدر والاحتيال.

● **ماذا قالوا عنك كامرأة؟**

- هذه امرأة قررت أن تخرج من قارورة التاريخ، وأن تركب سفينة الحرية.. حتى الغرق.

● **لحظة من الزمن تمنيت أن تتوقف..؟**

- لحظة العبور في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ على الجبهتين المصرية والسورية.

● **بالمناسبة: هاجرت غادة السمان من بيروت هجرة جغرافية إلى مدن العالم الأوربي.. فهل هاجرت كلماتها كمعان؟**

أجابت سعاد الصباح: مازالت غادة مسكونة ببيروت.. أقرأها كل أسبوع. العالم كله لم يأخذها من الروشة، لاتعجب بيروت مدينة المدائن التى هجرتها أو تهاجر منها، هي تختبئ في حقائب القلب.

● **ماذا يعطيك: الصيد.. هل هو الصبر؟**

الرياضة على الشاطئ هل هي رشاقتك؟

من علمك حرصك الشديد على احترام نفسك لتكسبى احترام الآخرين؟

. بهدوء أجابت سعاد الصباح: الصيد فيه متعة الصائد المرتقب إصابة ولست منهم.. الصيد هو الصبر والتأمل، والرياضة على الشاطئ هي الصحة النفسية التي يولدها المشى على أطراف الماء والانفصال عن العالم..

نفسي علمتني احترامها، واحترام الآخرين يعلمك احترام نفسك واحترامهم معا.

● **قلت لسعاد الصباح: أعرف علاقاتك الوثيقة بشخصيات مرموقة في الوطن العربي وربما في العالم.**

قالت همساً: هذا صحيح.

● **أكملت وقلت: كيف ترين الشخصيات التالية في مفكرتك؟**

أولا - سوزان مبارك.

ثانيا - الملكة نور

ثالثا - هيلارى كلينتون.

قالت سعاد الصباح: لا أستطيع الإجابة في الحال وإن كان وجدانى حاضرا للإجابة تعالَ نلتقى غدا في ساعة العصاري التي تحبها ونأخذ الشاي معاً، وأجيبك من مفكرتى، فالكلام عن شخصيات بهذا الوزن يحتاج للتأني.

قلت: أوافق

قالت همسا: اتفقنا!

صوتُكِ بيتي...

1

أتغطى بشراشف صوتكِ القمري
كما تحتضنُ طفلةٌ لُعبتها
في ليلةِ العيد...

2

صوتُكِ بلبلُ... وصيف
وغاباتٌ سويسريّة...
صوتُكِ.. أحطابٌ... وشموعٌ
وفحمٌ مشتعل...

3

صوتُكِ شالٌ من الصُّوف...
ألبسُه في ليالي البرد والصقيعْ
صوتُكِ مظلّةٌ.. وغمامةٌ... وديوانُ شعر...
صوتُكِ كُتُب...
صوتُكِ بيتي...

من ديوان «خذني إلى حدود الشمس»

(٨)

لا أزال تلميذة شعر

أشعر بالفعل وأنا أحاور الشاعرة العربية الكبيرة سعاد الصباح انني أحاوره «امرأة بلا سواحل»! إنها تغريني بالإبحار الدائم وتحرض قاربي على البقاء في الماء وألاّ ألجا إلى الشاطئ!

وقد ظل قارب الإبحار يدور ويلف حول جزيرة سعاد الصباح لأجيب عن عشرات الأسئلة ومئات الاستفسارات تطن في أذهان الناس. نعم الناس في شوق لمعرفة كل شيء عن «نجومهم» المفضلين، وسعاد الصباح نجمة أدبية جريئة ولها كلمة، ومع ذلك حولها أسوار والبعض يتوقون لتسلق سور حديقتها!

وأريد أن أصف لكم سعاد الصباح بعدسة عين تلفزيونية.. تسمع سؤالي إذا كان السؤال مقتحماً تأخذ رشفة قهوة حتى أني في بعض الأحيان أشعر أن فناجين القهوة صمامات أمان من بعض قذائفي! تجيب سعاد الصباح بهدوئها المعروف، أحيانا تندفع في الرد حتى إذا دق جرس التليفون بجوارها. تجاهلت الرنين من فرط حماسها فلا تريد شيئا يقاطعها.

وأفضل الطرق لمحاورة سعاد الصباح أن أتركها تسترسل دون مقاطعة، ذلك أنها مرتبة الذهن والمقاطعة تفسد سياق أفكارها المرتبة، أحيانا تحب أن تعدل كلمة في السؤال، مثلاً أسألها متى تعطين الجدية إجازة؟ فتطلب مني أن أجعل السؤال: متى تتخلين عن رصانتك قليلا؟! أحيانا أسألها: أنت والعشق يا دكتورة؟ فتقول: أفضّل كلمة «الحب» أكثر من العشق!

أحيانا أسألها: هل يسعدك عالم الحفيد؟

فتقول: قل لي .. هل أنت سعيدة بكونك جدة؟

أعترف أن هذا العقل الوثاب يسعدني في الحوار. إنها شاعرة «ع الخط» كما يقول الحس الشعبي وهذا التفاعل يجعلني أخوض في بحارها أكثر: نعم هي أمرأة بلا سواحل تماما مثل عنوان أحد دواوينها الجميلة، ومرة كنا في يخت الصيد ساعة عصرية وسألتها هل أنت امرأة بلا سواحل، وماذا تعنين بالعبارة؟ قالت لي: تكون المرأة بسواحل عندما تكون محدودة الرؤية والطموح.

تعرف أن لها حداً فيما تريده فتقف عنده وأنا امرأة بلا سواحل!

- و.. وكنت قد قلت لسعاد الصباح: أعرف علاقاتك الحميمة بشخصيات مرموقة في الوطن العربي وربما في العالم، وأريد أن أعرف كيف ترين هذه الشخصيات؟

١- السيدة الفاضلة سوزان مبارك

٢- الملكة نور

٣- السيدة هيلارى كلينتون

وأتذكر أنها طلبت مني أن نؤجل الحديث إلى عصر اليوم التالى. على الشاي. حتى تفكر بعمق وتصورْت أن سعاد الصباح سوف تسهب في الكلام ولكنها عبرت عما تريد أن تقول بكلمة وربما بكلمتين.

قالت سعاد الصباح عن سوزان مبارك: «إنسانة».

وقالت عن الملكة نور: امتزاج الغرب والشرق في امرأة.

وقالت عن هيلارى كلينتون «مثقفة مع بعض التسلط».

● تابعت سؤالها عن الشخصيات وتركت لها الاختيار ولم احدد أسماء وسألتها:

شخصيات عالمية أو عربية قابلتها ولك انطباعات عنها «من الحكام والرجال»؟

أجابت بنفس الاقتضاب والتركيز:

- فؤاد شهاب: متوازن ، طاهر اليد، عف اللسان، عاقل.
- جمال عبدالناصر: الزعيم بكل القيم التي تعنيها هذه الصفة.
- أنور السادات: ذكي، طموح، شجاع، مغامر، إنسان.
- الملك محمد الخامس: رصانة أمة ورجاحة عقلها
- البابا بولس السادس: طهارة وقداسة وحنان.
- مارجريت تاتشر: صلابة أفق غير محدود، جرأة نادرة، حسم

بنازير بوتو: سيف.

● قلت لنفسي: لماذا لا أتابع سؤالها عن الشخصيات مادامت مفتوحة المسام لهذا النوع من الأسئلة؟

أريد أعرف إحساس أذن سعاد الصباح بأم كلثوم، وفيروز، وعبدالحليم، ووديع الصافي؟

أجابت دون أقاطعها بكلمة..

١- أم كلثوم: تجعلني في حالة حب.

٢- فيروز: تحملنى فوق غيمة بنفسجية إلى عالم مسحور.

٣- عبدالحليم: قيثارة الحزن والعشق معا.

٤- وديع الصافي: جبل في صوت.

● سؤال يا دكتورة يفرضه سيناريو الحوار: كيف تنظر إلى الشهرة التي نلتها كشاعرة لها صوتها المميز وأسلوبها الخاص بين الشاعرات العربيات؟

- إن أضواء الشهرة لاتعمى عيني ولا تفقدني صوابي، إن الشهرة سيف ذو حدين، فإذا لم يعرف الإنسان كيف يمسكه قتله، وبكل تواضع أقول إنني لم أصل بعد.. ولا تزال أمامي مسافات طويلة لابد من أن أمشيها لأصل إلى جزيرة الشعر.

إنني لا أزال تلميذة شعر.. ولابد لي من مذاكرة دورسي جيدا حتى أنجح في امتحاناتي.

● ولكن.. لم تزل قضية إمساك المرأة بالقلم للتعبير عن نفسها يقابل بشيء من الاستهجان والاستنكار من قبل المجتمع.

فكيف استقبل المجتمع ميلاد المحاولات الأولى من أشعارك؟

ابتسمت وربما ضاقت بالسؤال، فقالت بعد رشفة قهوة:

- قضية المرأة مع الكتابة تشبة قضية التمييز العنصرى في جنوب أفريقيا.. فالرجل الأبيض

هناك هو صاحب الامتيازات الإقطاعية والسياسية والثقافية، والأسود ممنوع من ممارسة أي شيء.. حتى التفكير..

مجتمعنا لا يستهجن المرأة التي تكتب فقط.. ولكنه يخاف منها، لأن الكتابة هي نوع من السيادة، والرجل مثل الاستعمار القديم لايريد أن يتخلى عن سيادته التاريخية لأحد.. والكتابة هي حرية، والرجل لايعترف بحرية إلا حريته.

المرأة الكاتبة، المثقفة، الشجاعة، المناضلة بالكلمة والرأي هي عنصر هام في بناء الوطن.

ولكن ماذا تفعل إذا كان ذكور القبيلة يفضلونها خرساء؟؟

● قلت للدكتورة «المرأة» قبل الشاعرة، أسألك عن موقف ديانا حين فضحت نفسها على شاشة التليفزيون الإنجليزي.

كيف ترين اعترافها بالخيانة؟

ردت بكبرياء رصين:

- لكل مجتمع قيمة وتقاليده. الكارثة ليست في الاعتراف بل في الفعل ذاته.

● بالنسبة.. في تعاملاتك كامرأة ناجحة مع الرجال، ما المحاذير التي تفرضينها على نفسك؟

أجابت وهي تختار كلماتها بعناية:

- أتعامل مع الرجل كإنسان، لا محاذير خاصة بالرجال فكل منا يعرف الآخر جيداً، ويعرف كيف يكون تعامل الأنداد فأحترام النفس، واحترام الآخرين هو مفتاح أي علاقة إنسانية.

● ما الصفات الرئيسية الواجبة والبارزة في رجل ما، لكي تتوقف عنده سعاد الصباح؟

- أن يكون رجلا في الموقف، شجاعا في القرار، صادقا في الصداقة. كبيرا في الترفع عن الصغائر، أمينا، واعيا، مثقفا ولو بالثقافة الحياتية غير المكتوبة ورقاً ودراسة.

● أسأل الشاعرة والمرأة في آن واحد: حب الرجل.. أم حب الوطن.. أم حب الفن والإبداع أقوى وأبقى وأنقى؟

. قالت سعاد الصباح: إجابتي هي ببساطة لا شيء يشبه شيئا، لكل حب جذوته ومداه وصورته ولكن بالتأكيد يضحي المرء بحب المرأة أو الرجل من أجل الوطن، أما الإبداع وحب الفن فلست أحسب أننا في صراع حولهما مع أحد إلا ذواتنا.

● أقرب كلماتك إلى قلبك.. أن تصرخي بلسان امرأة طلبا للحرية الشخصية.. أم أن تصرخي من أجل وطن جريح.. أو وجدان جريح.. أو إنسان يلفظ أنفاسا مقهورة.. أو طفل واجه الظلم وافتقد الحنان؟!

قالت الشاعرة بالترتيب الآتي:

- من أجل الوطن أولا، والطفل ثانيا، والمقهورة ثالثا، والمقهور رابعا والجريح الوجدان.

● نظرت لسعاد الصباح نظرة فرَضت سؤالا: الثقة بالذات هل تملكين منها أكبر نسبة في شخصيتك.. من أين أكتسبتها؟

قالت بتواضع جم:

- أعترف نعم، اكتسبتها من ثقة الأبوين ثم من ثقة زوجي بي الثقة بالنفس يتراءى لي أنها جزء موروث مولود فينا لعلهم يكشتفون له «جينة» ذات يوم.

● **مامعنى التحضر؟**

- أن نتعامل مع المرأة كما تتعامل مع باقة الورد.

● **هل أنت زوجة تعشق زوجها أم تحترمه؟**

- شرطان ضروريان في كل مؤسسة زوجية فأنا لا أستطيع أن أحب رجلاً لا أحترمه، ولا أن أكون في كنف رجل لا أشعر بسموه النفسى والخلقي والحضارى، ولا يغطيني بجناح شهامته وفروسيته.

● **أريد أن أسال عن «مسرات» سعاد الصباح في الحياة؟ نوعية هذه المسرات؟**

- تسرني مسرحية تشرح الصدر بالضحك.

أغنية جميلة، نشيد وطني عميق الذكرى في النفس «وطني حبيبي»، أكلة طيبة ولو كانت مؤذية صحيا. الاستماع إلى الموسيقى. مشاهدة شريط فيديو لأمسية شعرية، مكالمة صديق، اللعب مع أحفادي، والسفر مع أولادي.

● **مكتبتك في بيتك ما القسم الذي يطغى عليها من الكتب وفى أي الفروع؟**

- كتب التاريخ، المذكرات السياسية، دائرة المعارف، الاقتصاد بفروعه المتعددة وعلى رأسها اقتصاديات النفط.. ودواوين الشعر من الجاهلية مرورا بكل العصور مكتبتي بازار يحتوى على كل أنواع الكتب.

● **سألتها: سعاد الصباح الخبيرة الاقتصادية بدرجة دكتوراة الشاعرة، الأم، الزوجة، الصوت العربي المتدفق باتجاه الوجه العربي الجديد، أين تكون أكثر كثافة ووجودا وما أولوياتها؟ ولماذا؟**

وكانت إجابتها:

- كل مكان يحرضنى على كتابة الشعر هو مكاني.. وكل موقع أستطيع أن أزرع فيه وردة محبة هو موقعي.. وكل مدينة أستطيع أن أكون فيها صديقة للإنسان.. هي مدينتي.

● **ما الفلسفة التي تقيك من السقوط في فخ الغرور؟**

- الله أكبر.

● **أي عواصم العالم الأوروبية «ترتاحين» فيها وما السبب؟**

- ليست هي العاصمة. جنيف ببحيرتها وطيورها وسكينتها تمثل لي بيتا كأنه خاص بي، إحب جنيف لأن هدوءها يكسب في نفسي راحة. وحين أتمشى على ضفاف البحيرة أحس أنني في حلم وكأنني أتجول على صهوة غيمة وردية.

● **سألت الشاعرة: في أي الدواوين تجد سعاد الصباح نفسها أكثر.. وهل كتبت حتى الآن القصيدة الطموح؟**

- **قالت:** كل مرحلة من مراحل العمر لها دواوينها الشعرية، في بداياتي كنت أحب الشعر المهجرى

وشعراء مدرسة أبوللو، والشعر الذي يوسدني على غيمة بنفسجية، مع الأيام ومع ازدياد تجاربي ومعاناتي وأحزاني أصبحت أكثر واقعية.. وأكثر اهتماما بهموم الشارع العربي، سياسيا واقتصاديا وعاطفيا واجتماعيا.

أما القصيدة الطموح فإنني أركض وراءها منذ عشرات السنين دون أن أستطيع الإمساك بها.

● **مبدعات شاعرات تتوقفين عندهن في الوطن العربي؟**

– في الحقيقة لا أدري ماذا يحدث على صعيد الشعر النسائي في الوطن العربي، وما سبب الانقطاع المفاجئ الذي يتعرض له الإبداع النسائي الشعرى فشاعرة رائدة مثل نازك الملائكة سكتت نهائيا.

وشاعرة مبدعة مثل فدوى طوقان دخلت العزلة.. فهل المرأة المبدعة تخاف دخول السباقات الطويلة؟ ليس لدي جواب على هذا.

على أن الوضع بالنسبة لكتابة القصة يبدو أفضل.. فلا تزال غادة السمان تركض بجدارة وإصرار في أولمبياد الرواية والمقالة.. ولاتزال حنان الشيخ تكتب بمثابرة ومسئولية.. ولاتزال سحر خليفة تكتب تجربتها الفلسطنية بجمال لافت.. ولاتزال القاصة العراقية لطيفة الدليمى مستمرة في عطائها الجميل.. وسكينة فؤاد وسهير القلماوي، أمينة السعيد ونهاد جاد من مصر.

● **سؤال اعتراضي يا دكتورة! هل عرفت طعم المعاناة؟.. لماذا تقفين مع الفقراء؟**

أجابت «أم مبارك»:

– إنني لا أعيش في صومعة أو في برج عاجي وإنما أعيش مع كل الطبقات وكل الناس وأشاركهم السراء والضراء، ثم إن الإحساس بأحزان الآخرين وهمومهم، معاناتهم، ليس محصورا بمن يعيشون في الأكواخ، والشوارع الخلفية، فأحزان الناس ومآسيهم ليست أسراراً.

● **قلت: سؤال اعتراضي شخصي!**

قالت الدكتورة: تفضل.

● **الحالة الإجتماعية لأولادك. من تزوج ومن لم تتزوج للآن؟**

أجابت:

– الحمدلله، محمد متزوج من الشيخة بيبى كريمة الشهيد فهد الأحمد وقد رزقا بـ عبدالله، سعاد وفضيلة.

أمنية متزوجة من الشيخ خالد فهد الأحمد وقد رزقا بمولودهما البكر فهد تيمّناً باسم أبيه.

ومودلودهما الثاني مقبل على الحياة في أوائل الربيع إن شاء الله.

مبارك تخرج أواخر العام ١٩٩٥ ضابطا من كلية سان هيرست الملكية العسكرية البريطانية.

الشيماء، حبة العنقود الأخيرة تتابع دراستها في الكويت.

● **هذا سؤال محدد يا سيدتي: الطقس الأوروبي، في الصيف بم يوحى لك؟**

والتجربة الأوروبية ما وزنها الانطباعي عندك؟ وكيف ترين رؤية الغرب للشرق؟

قالت: بالحرية الملتزمة، بالرغبة في المعرفة وبالبحث عنها. من هنا قيمة التجربة الأوروبية وغيرها من تجارب الأمم الأجنبية، وبالطبع ليست هناك رؤية أو نظرة موحدة أو واحدة لدى الغرب تجاهنا، تختلف النظرة حسب مفهوم وثقافة وتجربة الآخر بالاحتكاك بنا، نحن المسؤولون إذا كانت هذه النظرة سلبية في بعض الأحيان لأننا نقدم النموذج لها، كذلك هي مسؤوليتنا حين تكون إيجابية تكبر فينا تقدّمنا وإمساكنا بناحية حضارية وعلينا أن نستفيد من تجربة الصيف لنقول للعالم إن العرب ليسوا بقايا تخلف العصر بل هم شركاؤكم في التقدم، لنقدم النموذج الذي يستحق الإكبار وعندها لن تجد في الغرب من يرى فينا مجرد مستهلك شره.

● **بالمناسبة يا دكتورة: أي قصائدك، أرهقتك كتابتها؟**

قطبت جبينها بنظرة حزن وصمتت ثواني، ثم تكلمت: أكثر من واحدة تجدها في ديواني «إليك يا ولدى» أصابتني بشلل شعرى جزئي حسبت معه إنني لن أجد طريقا إلى الشعر بعده، ليس هيّنا أن تكتب الرثاء في أغلى الحبايب.

● **دكتورة.. هل تسمحين بتوجيه هذا الاتهام؟**

قالت: لاتستأذن في سؤال!

● **اتهموك أنك قمت بتمويل «مؤتمر ثقافي عقد في مصر» ما صحة هذا؟**

قالت: أتذكر هذه الحملة الشرسه وأصارحك.

كنت سأغضب لو اتهموني بتمويل مؤتمر يمجد الطغاة أو الإرهاب، أما الثقافة فدورى في تمويلها شرف لي، لا أدّعيه، خلال عقد الثمانينيات وجزء كبير من عقد التسعينيات، وإن كنت أمارسه باعتزاز وفي أكثر من موقع ولكن لغرض وحيد، هو أن يكون العمل الثقافي هادفا وخادما لقضايا الأمة الحقيقية، بعيداً عن التهريج وعن عقدة «البترودينار».

● **قلت لسعاد الصباح: لايمكن أن يمضى حوارنا دون توقف عند ميناء الكويت.**

قالت بسرعة: أنا مفترضة هذا.

● **قلت: أعلم أنك صريحة ولذلك سأوجه لك سؤالا مدببا؟!**

قالت: أنت تصف سؤالك قبل أن أصفه أنا

● **قلت: إنني أريد معرفة رؤيتك الكويتية وللدقة شهادتك الكويتية.**

قالت سعاد الصباح: شهادتي عن ماذا؟

● **قلت: عن صحافة الكويت ومدى حريتها.**

عن مجلس الأمة الكويتي ومدى أدائه. عن قضية الأسرى التي طالت، عن الشارع الكويتي.. ومشكلاته.

صمتت الشاعرة.. وطلبت منّي أن أذكر السؤال مرة أخرى «لأجيب على قد السؤال»

و.. وتكلمت..

خذني إلى حدود الشمس

1

قُلْ لي. قُلْ لي
هل أحببتَ امرأةً قَبْلي؟
تفقدُ، حين تكونُ بحالة حُبٍّ
نُورَ العقلِ...

2

قُلْ لي. قُلْ لي
كيف تصيرُ المرأةُ حين تُحبُّ
شُجَيْرَةَ قُلٍّ؟
كيف يكونُ الشَّبَهُ الصارخُ
بينَ الأصْلِ وبينَ الظِّلِّ
بينَ العين، وبينَ الكُحْلِ؟
كيف تصيرُ امرأةُ عن عَاشقِها
نُسْخَةَ حُبٍّ.. طِبْقَ الأصْلِ؟..

3

قُلْ لي لغةً..
لم تسمَعْهَا امرأةُ غيري..
خُذْني.. نحو جزيرةِ حُبٍّ
لم يسكُنْها أحدٌ غيري..
خُذْني نحو كلامٍ خلفَ حدودِ الشِّعْرِ
قُلْ لي: إنّي الحبُّ الأوَّلْ
قُلْ لي: إنّي الوعدُ الأوَّلْ
قَطْرُ ماءَ حنانِكَ في أذنَيَّا
إزرَعْ قمراً في عينَيَّا
إنَّ عبارةَ حُبٍّ منكَ..
تُساوي الدنيا...

4

يا مَنْ يسكنُ مثلَ الوردةِ في أعماقي
يا مَنْ يلعبُ مثلَ الطفلِ على أحداقي
أنتَ غريبٌ في أطوارِكَ مثلَ الطفلِ
أنتَ عنيفٌ مثلَ الموجِ
وأنتَ لطيفٌ مثلَ الرملِ..
لا تَتَضايقْ من أشواقي
كرِّرْ. كرِّرْ اسْمي دوماً
في ساعاتِ الفجرِ.. وفي ساعاتِ الليلِ
قد لا أُتقنُ فنَّ الصمتِ.. فسامِحْ جهلي..
فتّشْ. فتّشْ في أرجاءِ الأرضِ
فما في العالمِ أُنثى مثلي...
أنتَ حبيبي.. لا تتركْني
أشربُ صبري مثلَ النَّخْلِ..
إنّي أنتَ..
فكيف أُفرِّقُ.. بينَ الأصلِ، وبينَ الظِّلِّ؟

من ديوان «خذني إلى حدود الشمس»
ط الأولى ١٩٩٧ - دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع

(٩)

كل النساء.. كورس!

أحببت «الكويت» بعد عداوة.. كنت أرى الشخصية الكويتية مزهوة بنفسها إلى حد الاستعراض.

وكنت أفسر هذا الشعور الفوقي بالثراء، فالمال يغير النفس ويبدل المشاعر، والكويتي، من أعلى «الدخول» في العالم والكويتيون من أكثر بشر العالم استخداماً للسيارات الفارهة الغالية المصنوعة خصيصاً حسب الطلب!

واكتشفت بعشرتي الشخصية لبعض الكويتيين ومنهم أثرياء وفقراء «!» نعم، هناك في الكويت فقر نسبي! اكتشفت أن مظهر الجفاء الخارجي، خط دفاع أول في الحياة ثم - بعد ذلك - إنسان طيب القلب وعندما اقتربت من المرأة الكويتية وجدتها قوية الشخصية تميل للاستقلال برأيها.

وصار الإنسان الكويتي كتابا نصف مفتوح أمامي وخلال حرب الخليج، قرأته جيدا وشعرت أن الحرب علمته معنى «الانتماء» لتراب الوطن، وعلمته أن استمرار الحال في الرخاء من المحال، وبعد التحرير، عرفت كيف انحنى الكويتي فوق أرض الكويت يقبل أرض الكويت التي داستها النعال المغتصبة «بكسر الصاد» وذهبت مرات إلى الكويت، وفي كل مرة أشعر أنها كويت الحذر، وصارحت ولي عهد الكويت الشيخ سعد العبدالله بهذا الرأي فقال: «حذرنا لأننا لا نثق بنظام صدام».

من بين الشخصيات الكويتية التي كنت أرتاح لها د. سعاد الصباح برقتها ودماثتها، وقد تعرفت عليها في إحدى أمسياتها الشعرية في القاهرة وبالتحديد في معرض الكتاب، وتابعتها، وصارت تهديني دواوينها بإهداءات مميزة، واحد منها على الصفحة الأولى من ديوانها «امرأة بلا سواحل» فتقول: «أيها المفيد.. عاشقا للورد وللفيروز.. مع الصلاة لمودة دائمة» والإمضاء سعاد الصباح.

ورأيت سعاد الصباح في حرب الخليج رأيت «امرأة مناضلة» بكل ما أوتيت من وسيلة، بالقصيدة، بالمقال النثري، بالأحاديث الصحفية، بالأمسيات الشعرية، بكل شيء، رأيت «الوجه الآخر» من الشاعرة، فهي ليست ذلك النوع المخملي من النساء، وبإمكانها أن تتكحل بالطمأنينة وتصمت وتترك مهمة النضال للرجال، لكنها «تكحلت» بالنضال، وراحت - بكل وسيلة - تدافع عن التراب الكويتي، وصار حبي لها كشاعرة مقترنا باحترام أكبر.

وفي الإبحار مع الشاعرة رأيت أن أستطلع آراءها في وطنها «الكويت»، وأهمس لكم بسر صغير حين قلت لها في لندن «لماذا لا نسجل حوارنا الطويل في جنيف مدينتك المفضلة؟» قالت بغضب وعتاب: «بل مدينتي المفضلة هي الكويت، وسوف تسجل حوارك الطويل في الكويت، وفي القصر الأبيض» واستطردت تقول «أما جنيف ولندن، فهي مرافئ راحة صيفية من حر الكويت الذي تعرفه أنت»، وبالفعل، تم الحوار في القصر الأبيض بالكويت، وفي إحدى محطات الإبحار، سألتها عن شهاداتها الكويتية في موضوعات أربعة».. وهكذا أجابت سعاد الصباح.

سألتها: ما دور المرأة الخليجية في تنمية الحركة الثقافية المحلية؟ وهل هناك من يعطل هذا الدور؟

قالت الشاعرة «ابنة الكويت»: أخشى أن أقول إن دور المرأة الثقافي في الخليج دور باهت، فلقد جرفت الحياة الاقتصادية والمادية في الكويت كل شيء في طريقها، وأكلت الأخضر واليابس ولم تترك للقلب الإنساني فرصة لينبض، إننا نعيش العصر الجليدي في الثقافة وهذا العصر الجليدي قد

غطى بصقيعه الرجل كما غطى المرأة، وجعل من الخليج «سوبر ماركت» كبيراً يبيع كل أنواع الأطعمة، ما عدا طعام الروح، وإذا تجاوزنا بعض الأصوات الفردية التي تنطلق من هنا وهناك.. فإن الأفق الثقافي مغلق.

أما سؤالك عمن يعطل دور المرأة الثقافي؟ فأقول إن دورها معطل منذ الأزل وكلنا نتحمل مسؤولية هذا التعطيل، المجتمع يعطل دور المرأة الثقافي، والتقاليد تعطله، وأنصاف المثقفين يعطلونه، يمكن أن يقال «لا صوت يعلو على صوت الرجل..»، إنه المغني الوحيد في أوبرا الحياة العربية.. وكل النساء كورس.

فحين كنا فتيات صغيرات علمونا أن قواعدالسلوك والحشمة تفرض أن يتكلم الرجل وحده.. وتكتفي المرأة بالموافقة وهز الرأس.. كما علمونا أنه عندما «يغني الرجل» فإن على المرأة أن «تطرب» بالإكراه.

شهادتي الكويتية عن:

(أ) صحافة الكويت، ومدى حريتها.

(ب) مجلس الأمة ومدى أدائه.

(ج) قضية الأسرى وعودتهم.

(د) الشارع الكويتي ومشكلاته.

(أ) حُرة إلى حد يثير الإعجاب.. وأحياناً يثير التمني في حسن استخدام الحرية.

(ب) كل نهر ديمقراطي خير من ألف بحر ديكتاتوري.

(ج) شهادة مغولية لمن يعذبهم بالأسر وعمل دؤوب لإطلاقهم وأمل في أن ينجح الجهد الكبير في عودتهم سالمين من غياهب السجان الأكبر في تاريخ العرب.

(د) كثيرة كثيرة حاليا يشكل الإسكان والعمل بعضها منها الأهم في نظري أن نرى ما يدور في صفوف شبابه من تغيرات سلوكية فذلك مكمن الخطر الاجتماعي.

■ **قلت لسعاد الصباح: صارحيني يا دكتورة «الطبيعة الجبلية.. أم الغوص بالفكر في الحياة.. أم اغتسال العين في الخضرة.. أم طلب الدفء في المناخ الجليدي.. الحالة التي تفجر كلمات سعاد الصباح على الورق..؟!».**

. **قالت ضاحكة:** كلها صدقني، إن من نعم الله عليّ ولا أعدها أن بمقدوري السفر والتنعم بجميع المناخات التي ذكرت، وفي تلك الدنيا الواسعة تتفجر الرغبة في استيعاب اللحظة وفي ا لنيل من جمال ما خلق الله، وتصفو النفس ويهدأ صخب الحياة مما يعمّق إدراك معنى الحياة وروعة المخلوق بعظمةالخالق، ومن نعمته الكلمة التي يودعها في صدر المبدع.

■ **سألت: أي الأماكن تفضلين بعد الكويت.. هل ترتبط هذه الأماكن بإيحاءات أو حوادث معينة؟**

. **أجابت الشاعرة:** أنا لا أنظر إلى المدن نظرة سياحية.. فثمة مدن في غاية الجمال ولكنها لا تقول لي شيئا.. وثمت مدن صغيرة ومتواضعة أشعر فيها بإنسانيتي وبسلام مع نفسي ومع الآخرين، أحب

المدن التي تحترم صمتي.. وحريتي.. ولا تضع أنفها في شؤوني الشخصية وأكره المدن التي تتدخل في قضاياي الصغيرة.. وتقتحم طمأنينتي.. وتلاحقني في المطعم.. والمقهى.. وفي المصعد.. كأنها مخبر سري.

أحب المدن التي تحترمني وأهرب من المدن التي هوايتها مراقبة الناس، ومضغ لحوم الآخرين.

■ **وككويتية لها رؤية خاصة سألتها: الإعلام الكويتي ما مهمته الآن في تقديرك كراصدة؟**

. أجابت: مهمة الإعلام الكويتي في هذه الأيام صعبة ودقيقة جدا، إذ عليه قبل كل شيء أن يصحح الصورة المشوهة التي روجها الإعلام الغربي عن الأوضاع والممارسات في الكويت ثم على هذا الإعلام أن يكون إعلاماً منفتحاً على كل الآفاق وكل الأفكار والطروحات والأسئلة، وأن يستوعب النقد الذاتي بروح رياضية وألا يكون إعلاماً عصبيا ومغلقا، ولعل ما يبشر بالخير، هو القرار الذي اتخذته الحكومة الكويتية في إلغاء الرقابة على الصحافة والمطبوعات، إنها خطوة أولى على طريق حرية الرأي والتعبير وهدية جميلة للمؤسسة الديمقراطية.

■ **من المهم كباحثة اقتصادية أن أسألها هذا السؤال: أزمة النفط وتأثيرها علينا يا دكتورة؟**

. أجابت: إن أزمة النفط منذ منتصف الثمانينات هي في الواقع أزمة أسعار في المقام الأول، وهي لا تقتصر على كون هذه الأسعار منخفضة نسبيا أو إلى استمرارها في الانخفاض منذ بدء التخمة النفطية فحسب، وإنما من حيث الانخفاض الكبير في «قيمتها الحقيقية»، أي قدراتها الشرائية، إذ أننا أخذنا في الاعتبار الارتفاع الكبير في معدلات التضخم منذ السبعينات وحتى بداية التسعينات وإذا أخذنا في الاعتبار أيضا الانخفاض في سعر الدولار نسبة إلى العملات الأخرى، والدولار هو العملة الشرائية للنفط، إذا أخذنا كل ذلك في الاعتبار لوجدنا أن القيمة الحقيقية من السلع والخدمات في الأسواق العالمية قد انخفضت إلى مستوى يقل بدرجة كبيرة عن المستويات التي كانت عليها قيمة البرميل في نهاية الستينات وبداية السبعينات، أي أنه يمكن القول إنه من الناحية الواقعية أمكن تدمير كل ما تم تحقيقه في السبعينيات من ارتفاع في الأسعار، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه في السابق مع بعض اختلافات طفيفة من ناحية الشكل وليس الجوهر.

ويمكن تفسير أسباب ما حدث في عوامل متعددة أهمها: أن السياسات التي اتبعتها منظمة الأوبك في اعتبارات الأجل القصير من تعظيم وقتي للإيرادات على حساب متطلبات الأجل الطويل، التي تتمثل في إطالة عصر النفط لأقصى فترة ممكنة مع تحقيق الاستقرار في الأسواق وتعظيم القيمة الحقيقية والقوة الشرائية لبرميل النفط، الأمر الذي أدى في النهاية إلى تخمة نفطية وتغيير هيكلي في الصناعة النفطية أدى إلى انتقال زمام المبادرة من منظمة الأوبك إلى حكومات الدول المستهلكة التي تستحوذ الآن على نسبة كبيرة من «الريع» بعد أن كانت من نصيب الدول النفطية.

والأهم من الأسباب هو تأثير هذه الأزمة السعرية علينا وبصفة خاصة على اقتصادياتنا، فالتخمة النفطية في حد ذاتها أدت إلى انخفاض النصيب النسبي للدول النفطية الخليجية في الطلب العالمي، ومن ثم انخفاض كبير في الإيرادات النفطية وما نتج عنه من تحول الفوائض المالية الى عجز في الميزانيات والموازين التجارية، وما نتج عنه من كساد في النشاط الاقتصادي وتباطؤ معدلات النمو،

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن انخفاض القيمة الحقيقية أو القدرة الشرائية لبرميل النفط يعني انخفاضاً نسبيا في مستويات المعيشة وتحول معدلات التبادل التجاري لصالح الدول الصناعية الكبرى، بما لذلك من تأثير على كافة مؤشرات النشاط الاقتصادي، ومع استمرار اعتماد هذه الدول على النفط اعتماداً رئيسياً فإن انخفاض نصيبها النسبي في الطلب العالمي وانخفاض القيمة الشرائية لإيراداتها النفطية، إنما يعني انخفاضاً كبيرا في أهميتها النسبية في الاقتصاد العالمي وعجزها عن تحقيق أهدافها الإنمائية وتفاقم مشاكلها الاقتصادية بما لذلك من أبعاد اجتماعية وسياسية.

■ **قفز هذا السؤال بعد «محاضرتها» عن النفط: المرأة العربية كوزيرة ما تقييمك لها.. وكسفيرة ما نظرتك إليها.. وهل المرأة خلقت للدبلوماسية أو السياسة.. أم لتستظل برجل؟!**

قالت بسعادة: خلقت لما هو أكبر أيضا.. وزيرة: خذ السيدة آمال عثمان.. عشرون عاما أو أكثر من موقع أكثر خطورة اجتماعياً من موقع أي وزير، الدكتورة نجاح العطار: عشرون عاما في ميدان التحدي الثقافي، تاتشر: يقال إن عهد الرجال بعدها قد نضب، بوتو قادرة على قيادة أمة حربا وسلما، قصة ظل الرجل باتت قديمة وتصلح لأفلام الدرجة الخامسة.

■ **الحركة الإبداعية بشكل عام، هل استطاعت أن تجسد ما يدور بأعماق المواطن العربي.. ما المطلوب الأدبي؟**

. أجابت سعاد الصباح: المبدع العربي لا يستطيع في ظل استلاب الحريات أن يترجم إبداعاته بشكل صادق وحقيقي، فالكلمة تعاني من الإقامة الإجبارية، والقصيدة تعاني من الإقامة الإجبارية واللوحة التشكيلية تعاني من الإقامة الجبرية وكذلك الرواية والمسرحية وبقية أدوات التعبير، وما دامت الحرية غائبة غياباً كلياً أو نسبياً في الوطن العربي، فإن حركة الإبداع العربي لابد لها أن تعاني نوعا من الشلل وتصلب الشرايين يمنعها من أن تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل، فالغائب الكبير هو الحرية، والحرية هي خبز الإنسان المبدع.

المطلوب هو فك السلاسل عن أيدي الكتاب العرب وإنهاء الإقامة الجبرية التي يعيشون فيها، ورفع الوصاية عن أوراقهم وكتبهم وأفكارهم، لأن الكاتب الذي يعيش بنصف حرية.. أو ربع حرية لا يستطيع أن يشارك مشاركة فعالة في تغيير صورة العالم العربي وبعثه من رماده.

■ **سؤال: ما رأيك في مدى مشاركة المرأة العربية بالحياة السياسية داخل المجتمعات العربية، وهل حققت وجودها على المسرح السياسي؟!**

. جواب الشاعرة: لو كنا على المسرح السياسي لما نزلت كل هذه المصائب على رأس العالم العربي، فالمرأة ممنوعة من دخول «مطبخ السياسة العربية»، مع أنها طباخة ماهرة.. ولكن من بيدهم السلطة لا يريدون مستشارات.. ولا خبيرات.. ولاعالمات.. ولا مثقفات.. وإنما يريدون مضيفات جميلات على طائرة الجامبو التي يقدوها ذكور بني العرب.

■ **يا دكتورة: ما مواصفات المرأة المناضلة؟**

– المرأة المناضلة تنذر نفسها لغاية تتجاوزها، تقيم من نفسها درعاً يحمي سواها، وسيفاً مشهرا

بالحق لا تتراجع عنه في خوف أو طمعاً في غنيمة، تؤمن وتعمل بما تؤمن من أجل هذا الإيمان.

■ **قلت لها: من يقرأ شعرك يحس بنبرة غضب واضحة تستهدف إشعال الغابة اليابسة، وبذر بذور فكر جديد، هل استطعت أن تقولي كل ما لديك.. أم أن ثمة عوائق تفرض على المرأة الكاتبة أن تقول «نصف» ما تريد أن تقوله؟**

بعد ثوان من التفكير، قالت: الحواجز في وجه المرأة موجودة منذ عهد بعيد، حواجز تاريخية واجتماعية ونفسية وعائلية وقبلية، ووظيفة الكاتبة الأنثى أن تتصدى بكل شجاعة لهذه الحواجز إلى أن يتم القضاء نهائياً عليها.

كل امرأة مثقفة يجب أن تصرخ بطريقتها الخاصة، كل امرأة مثقفة يجب أن تطلق النار على عصور الانحطاط.

كل امرأة مثقفة يجب أن توظف ثقافتها لطرد الخرافات التي تعيش في عقلنا الباطن كالعنكبوت.

كل امرأة مثقفة يجب أن يكون لها صوت في معركة التغيير.

ولأن المرأة العربية كانت لا تتكلم.. أو كانت ممنوعة من الكلام فقد أقنعوها أن الصمت هو من مستلزمات الجمال والأنوثة.. مع أن الأنوثة هي أنوثة الذكاء.. لا أنوثة الإذعان.. إن الأنثى الحقيقية في نظري هي التي تعرف ما لها وما عليها.. لا تلك التي يمرون على كرامتها كما يمرون على سجادة عتيقة.

■ **بالمناسبة: الشهادة الجامعية، ماذا تعني للفتاة الكويتية؟**

أجابت «أم مبارك»: الشهادة بيد الفتاة الكويتية هي طريقة لتأكيد الذات وإعادة الاعتبار الاجتماعي والعلمي، ويخطئ الذين يظنون أن الفتاة الكويتية تستعمل شهادتها الجامعية للاستعراض وحب الظهور، واللواتي حصلن على درجات علمية من النساء الكويتيات وظفن ألقابهن العلمية بجدارة وكفاءة كبيرتين، أي أن المرأة المثقفة الكويتية لم تعلق شهادتها في خزانة ثيابها، ولم تتعامل معها كقطعة من أدوات زينتها، وإنما جعلت منها حجراً حضاريا لبناء المجتمع ومصباحا لإضاءة طريق الآخرين.

■ **كيف تقيمين إقبال الفتاة الكويتية على التعليم الجامعي؟**

- الفتاة الكويتية تتميز بطموح كبير للغَرْف من مناهل العلم والمعرفة وبصرف النظر عن الاكتفاء الحالي للفتاة الكويتية وعن عدم حاجتها إلى قضاء أجمل سنين العمر على مقاعد الدراسة فإنني أرى أن الفتاة الكويتية هي أكثر فتيات المنطقة تشبثاً بمستقبلها العلمي وأكثرهن رغبة في تغيير شروطها التي كانت عليها قبل خمسين عاما، وهنا نماذج مشرفة للفتاة الكويتية المتعلمة على جميع المستويات وفي شتى الحقول مما يؤكد جدارة المرأة لتأسيس الوطن على قدم المساواة مع الرجل.

■ **هذا سؤال ينبثق من الحوار، ويفرض نفسه فرضا: المجتمع الكويتي عن ماذا يجب أن يبحث؟**

صمتت برهة، فأعدت نطق السؤال على مهل، وأجابت: على المجتمع الكويتي أن يبحث عن تأكيد هويته العربية وسط خضم حضارة مزيفة وقيم دخيلة وعادات اجتماعية واقتصادية ضارة، المجتمع

الكويتي يقف صامداً في وجه التيار الأصفر الذي يخشى أن تضيع في موجاته الشخصية الكويتية وتذوب معالمها، إن التفكير بتفجير اللحظة التي هو فيها دون أن يكون له أي نظرة مستقبلية يشكل خطرا على هوية الكويتي القومية ومستقبله الاقتصادي، وسبب هذا يعود في نظري إلى البصمات السيئة التي طبع النفط بها حياتنا. فالنفط أفرز بعض السلبيات جعلت حياتنا تدور في دائرة من الاتكالية والإسراف والبذخ، وقتل كل ما في الإنسان من نزعة الابتكار والمشاركة الفعلية في الإنتاج، وهنا فلابد من وقفة صادقة مع النفس لتلافي أخطاء الماضي، وإقامة مجتمعنا على أسس علمية والبداية تكون من بناء الإنسان الكويتي.

■ **كيف تعود لأمة العرب القدرة على الحلم مرة أخرى؟**

أجابت: حين يخرجونها من الزنزانة.. ويعطونها جناحاً في فندق الحرية.. لأن الزنزانات التي طولها متر، وعرضها متر.. لا تسمح لها بأن ترى أحلاماً جميلة.

■ **هل تنشيط الساحة الثقافية في الكويت يحتاج إلى مؤسسات، أم أن الدور يقع على الأفراد، وعلى عاتق المجموعات النوعية؟**

قالت سعاد الصباح: الدولة بجميع وزاراتها ومؤسساتها.. لا تستطيع أن تكتب قصيدة شعر واحدة.. أو تكتب رواية ناجحة.. هي تستطيع أن تساعد.. وترعى.. وتمنح أبوتها للأدباء الطالعين.. ولكنها لا تستطيع أن تطلق عصفورا أو تصنع بنفسجة.

فالعصافير والورود.. تخرج من معاطف الإنسان وحده.

الدولة تستطيع أن تكرر النفط، وأن تؤسس المصانع.. وأن توزع الكهرباء والماء وأن تقيم مستشفيات عظيمة وأن تحافظ على الأمن، ولكن القصائد العظيمة ترفض أن تولد في مستشفيات الحكومة.

■ **قلت لسعاد الصباح: أتذكر أنه طبع لك أول ديوان شعر، ضم قصائدك البكر، كما أن أول أمسية شعرية لشاعرة كويتية كانت لسعاد الصباح، ووقف - البعض - في صف المعارضة، هل هو تصور أم حدث بالفعل؟**

قالت الشاعرة: يا سيدي، لو أن الشاعر فكر بالمعارضة والمعارضين قبل أن يضع أفكاره فوق الورق لما قدم للناس شيئا، الأصوات المعارضة لي تقويني لا تقتلني كما يقول مثل أسباني «ما لا يقتلك، يقويك»، أعرف جيداً أن هناك من يريد أن يشدني إلى القاع لتأكلني التماسيح، لا يهم! في العالم الثالث تحولت كتابة الشعر إلى عمل انتحاري.. تصور!

■ **سألت سعاد الصباح: ما مدى حرصك على حضور جلسات مجلس الأمة لقد ذهبت مرة ورأيتك تجلسين في حالة متابعة؟**

قاطعتني وردت: أذهب إلى مجلس الأمة لأتعلم.

■ **كيف تفهيمن الديمقراطية؟**

- أن تكون الشعوب صاحبة الأمر في رسم مصائرها.

■ **كيف تفهمين الحرية؟**

قالت: الحرية تصل بالسفينة إلى الشاطئ.

■ **.. والفوضى؟**

قالت: تحاول إغراق السفينة!

■ **هل أنت مع دخول المرأة الكويتية البرلمان؟**

قالت سعاد الصباح: المهم أن تشارك، لا أن تجلس في مقاعد المتفرجين، المهم أن تكون عنصراً فعالاً، هل جاء الأوان؟ لا أدري.

■ **من هي الشخصية النسائية التي تلفت نظرك في الحكم؟**

. **دون تفكير قالت:** بناظير بوتو.

■ **ماذا فيها من سمات؟**

. مناضلة.. مقاتلة، تملك الإصرار.

■ **كيف تستثمرين عضويتك العالمية لعدد من الجمعيات الهامة لصالح الكويت.. وطنك؟**

. الهجمة الشرسة علينا بعد التحرير وقد استطعت في كل منتدى أن أوقفها.. بل وأفسرها وبالتالي أي حضور كويتي في أي مكان على خريطة العالم مفيد للغاية، إن الكويت تسكنني حيثما ذهبت.

■ **أريد أن أسمع «القصيدة السوداء» فإن غضبك يسكن الأبيات؟**

قالت:

كم غيرتني الحرب.. يا صديقي..
كم غيرت طبيعتي.. وغيرت أنوثتي..
وبعثرت في داخلي الأشياء..
فلا الحوار ممكن..
ولا الصراخ ممكن.. ولا الجنون ممكن..
فنحن محبوسان في قارورة البكاء..
قد كسرتني الحرب يا صديقي..
ولخبطت خرائط الوجداء..
وحطمت بوصلة القلب
فلا زرع..
ولا فرع..
ولا عشب..
ولا ماء..

ولا دفء.. ولا حنان..
قد شوهتني الحرب يا صديقي..
والحرب كم تشوه الإنسان..
فهل هناك فرصة أخرى.. لكي تحبني؟
وليس في عينيّ إلا مطر الأحزان..
يا سيدي..
ما عدت بعد الحرب.. أدري من أنا؟
أقطعة جريدة؟
أم نجمة ضائعة؟..
أم دمعة خرساء؟..
أم مركب من ورق..
تمضغه الأنواء؟
أين ترى سنلتقي؟
وبيننا داحس والغبراء..
فهل هناك فرصة أخرى..
لكي تحبني..
من بعد ما حولني الحزن إلى أجزاء..
قد سرقتني الحرب من طفولتي..
واغتالت ابتسامتي.. ومزقت براءتي..
واقتلعت أشجاري الخضراء..
فلا أنا بقيت من فصيلة الزهور..
ولا أنا بقيت من فصيلة النساء..
فمتى ترى يقنعني؟
إن السماء لم تزل زرقاء؟
وأننا..
في زمن التلوث الروحي..
والفكري..
والقومي..
يمكن أن نظل أصدقاء؟؟

يا سيدي:
لست أنا جزيرة السلام..
ولا أنا الأنثى التي كان على أجفانها يستوطن الحمام..
ولا أنا.. نافورة الماء..
وسيمفونية الرخام..
يا سيدي:
قد يبس العشب على شفاهنا..
وانكسر الكلام..
فكيف نسترجع أيام الهوى؟
ونحن مدفونان..
تحت الوحل والركام..
يا سيدي:
أنا التي غير التي تعرفها..
ذاكرتي مثقوبة..
فلا التواريخ على جدرانها باقية..
ولا العناوين.. ولا الوجوه..
والأسماء..
أين ترى تذهب يا صديقي وما هناك بوصة واحدة نملكها في عالم الأرض،
ولا في عالم السماء..
وما الذي نفعله في بلاد؟
يصطف فيها الناس بالطابور..
كي يستنشقوا الهواء!!
يا سيدي:
لكم أنا أشعر بالإحباط والدوار..
والإعياء.. فلا تؤاخذني على كآبتي..
إذا قرأت هذه القصيدة السوداء..

فهرس الأعلام

(أ)

أبو تمام ١١٠ ، ١١٨

أبو العلاء المعري ١١٠

احسان عبدالقدوس ٨٦

أحمد رامي ١٠١ ، ١٠٤

أحمد شوقي ٧٦

احمد عبدالمعطي «حجازي» ٧٨، ١٠١ ، ١٠٥

أدونيس ٧٨

أراغون ١١٨

آرم سترونج ١١١

آمال عثمان ١٣٩

أم كلثوم ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ١٢٩

أمل دنقل ٧٨

أمنية «عبدالله المبارك» ١٠٠

أنور السادات ١٢٩

أمينة السعيد ١٣٢

أمينه رزق ٧٣

أنسي الحاج ٧٨

إيليوت ١١٨

(ب)

باوند ١١٨

بايرون ١١٨

بطرس غالي ٨٨

بلند الحيدري ١٠٤ ، ١٠١ ، ٧٨

بودلير ١١٨

بول إيلوار ١١٨

بولس السادس «البابا» ١٢٩

بيبي فهد الأحمد ١٣٢

البياتي «عبدالوهاب» ٧٨

بيكاسو ١١٩

بيل كلينتون ٤٦

بي ناظير بوتو ١٢٩، ١٤٢

«ت»

تشارلز ١٦

(ج)

جان «بول» سارتر ١٢٤

جان جاك روسو ٥٤

جبران «خليل جبران» ٨٥ ، ٨٦ ، ١١٨

جمال عبدالناصر ٨٢ ، ١٢٩

جميلة بو حريد ١٧

جورجي زيدان ١٣

جورجينا رزق ٧٣

(ح)

حصه صباح السالم ٣٤

الحلاج ١٠٨

حنا مينا ٢٢

حنان الشيخ ١٣٢

(خ)

خالد فهد الاحمد ١٣٢

(د)

دالي «سلفادور» ١١٩

ديانا «سبنسر» ١٣٠

«ر»

رامبو ١٠٠، ١١٨، ١١٩

رؤوف ذهني ٧٦

(س)

سان جون بيرس ١١٩

سحر خليفه ١٣٢

سعاد «محمد عبدالله المبارك» ١٣٢

سعد العبدالله «الشيخ» ١٣٦

سعد الله ونوس ٥٤

سكينه فؤاد ١٣٢

سلمان رشدي ٥٤

سمير سرحان ٧٣

سندباد ٤٣

سناء جميل ٧٢

سهير القلماوي ١٣٢

سيمون دي بوفوار ٧٣، ١٢٤

سوزان مبارك ١٢٥ ، ١٢٨

السياب «بدر شاكر» ٧٨

(ش)

شهرزاد ١٧

شوبان ١٩

شيراك «جاك» ٤٠

الشيماء «عبدالله المبارك» ١٠٠، ١٣٢

شوقي أبو شقرا ٧٨

«ص»

صالح جودت ١٠٤، ١٠١

«ط»

الطيب صالح ٩٦

(ع)

عبدالله «محمد العبدالله المبارك» ١٣٢

عبدالله المبارك ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٥٥ ، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢

عبدالرحمن الشرقاوي ١٠١ ، ١٠٥

عبدالحليم «حافظ» ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ١٠١ ، ١٢٩

عبدالصبور «صلاح» ٧٨، ١٠٤، ١٠١

عبدالله الجفري ٥٣

عبدالرحمن بن مساعد ٧٦

عبله الرويني ٤٢

عروة بن الورد ١١٩

عزرا باوند ١١٩

علي السمان ٧٣

عماد أديب ٧٦

«غ»

غادة السمان ٢٤، ٥٣، ٧٢، ٧٤، ٨٨،

فهرس الأعلام

١٠١، ١٠٥، ١٣٢
غنيمة فهد المرزوق ٦٨

(ف)
فاروق ابراهيم ٧٤ ، ١٠٤
فاروق جويده ١٠١ ، ١٠٤
فدوى طوقان ١٣٢
فضل الامين ٧٣
فضيله «محمد عبدالله المبارك» ١٣٢
فهد «خالد فهد الاحمد» ١٣٢
فؤاد شهاب ١٢٩
فيروز ١٢٩

«ك»
كارولين موناكو ١٦
كليوبترا ٦٠
كوليت خوري ٧٢
كامل الشناوي ٩٦

«ل»
ليل عسيران ٧٣، ١٠١، ١٠٥
لاري كنج ٩٦
لوركا ١٠٨
ليلى بعلبكي ١٠١، ١٠٥
لطيفه الدليمي ١٣٢

(م)
ماجدة الرومي ٤٠، ٤١ ، ١٠١ ، ١٠٥، ١١٦
مارك تاتشر ١٢
الماغوط «محمد» ٧٨
مايا كوفسكي ١١٨
مبارك «الشيخ مبارك الكبير» ١٨ ، ٣٤
مبارك (١) «عبدالله المبارك» ٤٠، ٨٣
مبارك (٢) «عبدالله المبارك» ٤٠ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٣٢
متعب ابو حديده ٧٤
المتنبي «ابو الطيب» (٥٢ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ١١٩)
محمد الحربي ٥٢
محمد الخامس «الملك» ١٢٩
«محمد» عبدالله المبارك ٤ ، ٤٠ ، ٨٩، ٩٢ ، ١٠٠
محمد الفايز ٥٣
محمد عبدالوهاب ٧٦ ، ٨٨، ١١٧
محمود درويش ١٦، ٧٨، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٧
مارغريت «تاتشر» ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٩
مفيد «فوزي» ٨ ، ٧١، ٨٢ ، ٩٢ ، ١٠٩

(ن)
نوح «عليه السلام» ٤٦
نازك الملائكة ٧٨ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٣٢
ناظم حكمت ١٠٨
نبيل راغب ٨٢
نتنياهو ٥٥
نجاح العطار ١٣٩
نزار قباني ١٥ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٥٢، ٥٥ ، ٧٢ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧
نهاد جاد ١٣٢
نور «الملكة نور الحسين» ١٢٥ ، ١٢٨
نوال ٤١
نيرودا ١٠٨ ، ١١٨

«هـ»
همنغواي «آرنست» ٢٣، ١١٩
هيكل «محمد حسنين» ٨٨
هيلاري كلينتون ٢٩، ١٢٨، ١٢٥

«و»
وايتمان ١١٨
وديع الصافي ١٢٩
وودز ورث ١١٨

«ي»
يوسف وهبي ٧٣
يونسكو ١١٩

المحتويات

- إهداء ..... (٤)
- امرأة من الزمن الجميل ..... (٥)
- اوردة البحر ..... (٩)
- أنا الخليجية التي يمر من بين شفتيها خط الاستواء ..... (١١)
- بصمات ..... (١٩)
- إذا انفجرت الكلمات الأولى شممت رائحة احتراقي ..... (٢١)
- المجنونة ..... (٢٩)
- الانشغال بموضوع لايشغل صاحبته ..... (٣١)
- أنوثتي ويديك ..... (٣٦)
- مشروع قديم مع أم كلثوم وعبدالحليم ..... (٣٧)
- نحن باقون هنا ..... (٤٣)
- قد كان بوسعي مثل جميع نساء الأرض ..... (٤٥)
- حماقات ..... (٥٠)
- كم غيرتني الحرب ياصديقي ..... (٥١)
- برسالة إلى يديك ..... (٥٦)
- لن أتخلى قط عن أظافري ..... (٥٩)
- الإقامة الدائمة ..... (٦٤)
- حين يتحول مفهوم حقوق الإنسان إلى الفوضى ..... (٦٥)

المحتويات

- قهوة ..... (٦٩)
- لاتستأذن في السؤال اقتحم بالصورة ..... (٧١)
- الذي يذل أعناق الرجال ثلاثة ..... (٧٥)
- هذه مصر في ملاعب صباي ..... (٨١)
- لا يجرؤ أحد على عرض زواج! ..... (٨٧)
- العَالم أنت ..... (٩٣)
- لحظات أتخلّى فيها عن رصانتي ..... (٩٥)
- رائحةُ صوتك .. .. (١٠٢)
- رأيي في هؤلاء ..... (١٠٣)
- سأبقى أحبك ..... (١١٣)
- أنـا ونزار ..... (١١٥)
- صوتُك بيتي.. ..... (١٢٦)
- لاأزال تلميذة شعر ..... (١٢٧)
- خذني إلى حدود الشمس ..... (١٣٤)
- كل النساء.. كورس! ..... (١٣٥)

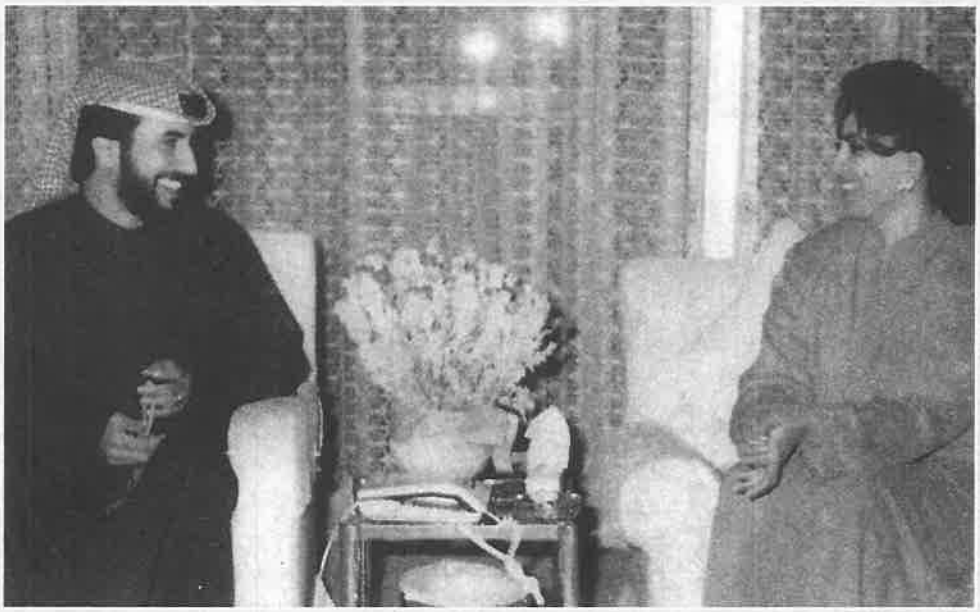

للمؤلف:

❖ مملكة الشمس. قصص. دار سعاد الصباح. القاهرة ١٩٩٢

❖ ر... جوع. قصص. دار الجديد. بيروت ١٩٩٤م

❖ تقاطيع. قصص. دار الحدث. الكويت ١٩٩٨م

● عري. نصوص. الكويت ٢٠٠٠

❖ لغة الممنوع. دراسات تاريخية وبحوث اجتماعية. (مخطوطة)

❖ وقائع امرأة خيالية. (مخطوطة)

■ يصدر:

حمامة السلام

الجزء الثاني:

انطباعات عن قرب وقراءات في أعمال سعاد الصباح الأدبية والفكرية.

أنا محتاجة جداً
لميناء سلام
وأنا متعبة من
قصص العشق
وأخبار الغرام